تعليقات على

كتاب الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

التعليقات

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان بن جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الأول

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

تعليقات على

كتاب الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

(١)

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الإمام الذهبي

شركة مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

❖ الرئيسي ـ حولي ـ شارع المثنى ـ مجمع البدري
ص. ب: ١٠٧٥. الرمز البريدي ٣٢٠١١
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
❖ فرع حولي ـ شارع المثنى ـ تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦
❖ فرع المباركية ـ مقابل مسجد ابن بحر ـ ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤
❖ فرع الفحيحيل البرج الأخضر شارع الدبوس ـ ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩
❖ فرع المصاحف ـ حولي ـ مجمع البدري: ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨
❖ فرع الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ التراث الذهبي ت: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E – mail: z.zahby74@yahoo.com

تعليقات على
كتاب الفرقان
بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
أجزل الله له المثوبة والمغفرة

التعليقات
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان بن جابر عثمان الجلاهم الثويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الأول

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد فقد أذنت للشيخ الدكتور سلمان بن جابر المحيلم بطباعة كتاب التعليقات على كتاب الفرقان للإمام ابن تيمية رجاء الاستفادة والأجر وصلى الله وسلم على نبينا محمد

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

٢٦/٦/١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ فهذه تعليقات على كتاب:

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لِشَيخِ الإسْلامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

أَجْزَلَ اللهُ لَهُ المَثُوبَةَ وَالمَغْفِرَةَ

التعليقات لفَضِيلَةِ الشِّيخِ العلامة

صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْفَوْزَانِ

غَفَرَ الله لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

وكان ذلك في دروس ألقاها فضيلته في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، ابتداءً من الحادي والعشرين من شهر صفر من عام ثمان وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة -على صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم-، وخُتمت في يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول لعام ثلاثين وأربعمائة وألف.

نسأل الله ﷻ أن ينفع بها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجزي الماتن والشارح خير الجزاء؛ إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بسم الله المجيد، والحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا وأسوتنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما عظيما، أما بعد:

فهذا كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، من أنفع ما كتب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية -رحمه الله رحمة واسعة- في مفهوم ولاية الله - تعالى - الحقيقية الصادقة المنجية، والتحذير من ولاية الشيطان الكاذبة الزائفة المهلكة، فقد تناول قضايا فاصلة بين سبيل الصالحين من عباد الله المتقين المتبعين لرسولهم ونبيهم محمد ﷺ -الذين كان شعارهم فهم حقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة على ميزان الوحي الكتاب والسنة -، وبين المفسدين الخارجين عن سنة النبي محمد وطريقته ﷺ، وعدم متابعته ظاهرا وباطنا، ممن تكتنفهم الأحوال الشيطانية الخبيثة المبتدعة.

ومن أبرز ما تعرض إليه المؤلف ثلاث قضايا حاسمة، هي: الولاية، والخوارق، وأحوال الجن مع الإنس. وقد فصل هذه القضايا في أربعة عشر فصلًا، بدأها في بيان معاني الولاية والعداوة، ووجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأن أفضل أولياء الله هم الأنبياء عليهم السلام،

وأن أولياء الله منهم سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، وذكر أصناف المصطفين من أمة محمد ﷺ، وأن من أصول الإيمان الإيمان بالرسل، وأن أولياء الله متفاضلون، وأن الايمان والتقوى شرط في ولاية الله ﷻ، وأنه لا يوجد ما يميز أولياء الله في الظاهر في الأمور المباحة، وأن العصمة ليست شرطا في الولاية، مع بيان حقيقة دين رب العالمين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وأن الأنبياء أفضل من الأولياء، الذين ليسوا بأنبياء، وذكر اشتباه الحقائق الدينية والكونية على كثير من الناس، وبيَّن عموم رسالة محمد خاتم الأنبياء وسيد الأولياء ﷺ لجميع الثقلين الإنس والجن، موضحًا الحق المريء، كاشفًا للباطل الوبيء، وقد ازدانت القلادة بماستها، وزادت الرسالة بركة على بركة بتعليق شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ **صالح بن فوزان الفوزان** - نفع الله بعلمه العباد والبلاد -؛ فقد كشف عن مراد المؤلف، وأوضح وأبان مباحث الكتاب ومسائله، أثابه الله - تعالى -، وغفر لنا وله، وختم لنا بالصالحات والحسنات المتقبلات!

وقد تم إعداد هذا الكتاب على نفقة الفقيرة إلى عفو ربها ورضاه/ **سارة بنت علي بن محمد زيد الشايجي** غفر الله لها ولوالديها ولآل بيتها، نسأل الله أن يتقبل من الجميع، والله أعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

✎ كتبه

د. سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدِّمَةُ الشَارِح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

هذه الرسالة أو هذا الكتاب القيم من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة مهمة، التبس فيها الحق بالباطل في وقته، ولا يزال هذا الالتباس موجودا، إلا أنه لابد من بيان الحق عند الالتباس، ولايسع العالم أن يسكت، بل لابد له أن يبين الحق للناس؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قام بهذه المهمة العظيمة إلى جانب مهمات عظيمة قام بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وقته؛ من نصرة الحق، وبيانه، وتوضيحه، والرد على الباطل، وكشفه؛ حتى لا يبقى الأمر ملتبسا على الناس، فمن ذلك هذه المسألة - مسألة أولياء الرحمن وأولياء الشيطان -. لابد أن هناك صنفين من الناس، وهما المؤمنون والكفار، فالمؤمنون هم أولياء الله، أولياء الرحمن، والكفار

هم أولياء الشيطان، لكن الخرافيين في وقته -ولا يزالون- لا يفرقون بين أولياء الله وأولياء الشيطان، فيعتبرون الكهان والسحرة والمشعوذين أولياء لله؛ لما معهم من الخوارق الشيطانية، فيعتبرونهم من أولياء الله بحكم ما معهم من الخوارق، ويظنون أنها كرامات، يظنون أن هذه الخوارق التي معهم كرامات؛ يطيرون في الهواء، ويمشون على الماء، ويدخلون النار رأي العين؛ فيظن الناس أنهم أولياء الله، وأن هذه كرامات، في حين أنها خوارق شيطانية، الشياطين هي التي تحملهم وتطير بهم، وتعمل لهم الخوارق التي لم يألفها الناس؛ فيظنون أنهم أولياء لله، وأن هذه الخوارق كرامات، ولا ينظرون إلى أعمالهم.

الخوارق وحدها لا تكفي، حتى ينظر إلى عمل الشخص الذي تجري على يده، فإن كان عمله صالحا، فهي كرامات؛ قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] فإن كانوا مؤمنين متقين، فهذه الخوارق كرامات من الله ﷻ، وليس بلازم لكل ولي من أولياء الله أن تجري على يده كرامات، لكن قد تجري، وقد تقع، أما إذا كان عمله خبيثا -كان مضيعا للصلوات، مرتكبا للمحرمات-، فإن ما يجري على يده خوارق شيطانية، وليست كرامات من الله ﷻ، فهم لبسوا على الناس في هذا الأمر، وجعلوا أولياء الشيطان أولياء لله، بحجة أن معهم خوارق، دون نظر إلى عملهم، وما هم عليه، وهذا لا شك أنه خطير -تضليل-، وبهذه الطريقة انحرف كثير من الناس، فعبدوا الأولياء والصالحين أحياء وأمواتا، بحجة أنهم أولياء لله، وأن لهم

خوارق، دون نظر إلى أعمالهم التي كانوا عليها.

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أراد في هذا الكتاب أن يجلي هذه المسألة، وأن يبين من هم أولياء الله؛ حتى نواليهم، ومن هم أعداء الله؛ حتى نعاديهم؛ لئلا يلتبس الحق بالباطل، وباب الولاء والبراء -الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله- الناس فيه مختلفون، إلا من هدى الله، وبصره بالحق، فهناك من يغلو في الولاء والبراء؛ فيخرج بالتكفير على الناس -كالخوارج وغيرهم ومن سار على نهجهم-، يأخذ الآيات التي فيها البراءة من أعداء الله -وهذا حق-، لكن لا ينظر إلى الآيات التي فيها التعامل مع أعداء الله. هذا الصنف يريد أن يقطع التعامل معهم نهائيا، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شرع التعامل معهم في أمور الدنيا، أمور لا تمس الدين، فتجرى معهم المعاهدات، ويجرى معهم الصلح، يعقد لهم الأمان، ويأخذون بموجب ذلك عدم الاعتداء عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين بموجب العقود التي تجري بينهم وبين المسلمين، كذلك لا مانع من التعامل معهم بالتجارة والبيع والشراء، لا مانع من الانتفاع بخبراتهم التي يحسنونها، هذا لا مانع، ولا يتنافى هذا مع الولاء والبراء، لكن هؤلاء الصنف ألغوا هذا كله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، ففرق تَبَارَكَ وَتَعَالَى بين أصناف الكفار.

وكذلك الوالدان إذا كانا على الكفر، فإن الله أوجب على الولد برهما،

مع عدم متابعتهما على دينهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥] فالاتباع يكون للمؤمنين، وأما البر بهما والإحسان إليهما، فهذا واجب على الولد المسلم لوالديه الكافرين، هذا من التعامل مع الكفار.

صنف ثان: على النقيض من ذلك تماما، يميعون الولاء والبراء، ويقولون: تجب المحبة لكل إنسان، وديننا دين التسامح، دين المحبة، ودين التآلف بين البشرية، فهؤلاء على النقيض من الصنف الأول، يميعون الولاء والبراء، ويقولون: لا ولاء ولا براء بين الإنسانية، إنسانية إنسان، حقوق الإنسان -كما يقولون-، إلى غير ذلك.

فهم على النقيض من الصنف الأول؛ أولئك غلوا، وهؤلاء تساهلوا، حتى إنهم يحاولون أن يلغوا الولاء والبراء من كتب التوحيد والمقررات الدراسية، ويحاولون إلغاء الجهاد من المقررات الدراسية؛ كما لا يخفى عليكم أنهم يتكلمون في هذه الأمور، ويهونون من شأنها، ويستدلون بسماحة الإسلام، الإسلام لا شك سمح، ولكن السماحة لها حدود، ليست سماحة مطلقة، سماحة لها حدود وفي مواضعها، تستعمل في مواضعها، لها حدود وضوابط شرعية، ليست مطلقة، هذا صنف.

صنف ثالث: وهم الخرافيون، وهم الذين عناهم شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الكتاب، الخرافيون الذين جعلوا كل من معه خارق للعادة وليًّا لله،

دون نظر إلى عمله وما هو عليه، وكل من معه خارق -ولو كان سحرا، ولو كان كهانة، ولو كان تنجيما ولو كان. . . - يعتبرونه وليًّا لله، ولا ينظرون إلى عمله وتقواه، ولا ينظرون في الآيات التي ذكرها الشيخ في هذا الكتاب - كما سيأتي إن شاء الله-.

وصنف رابع: يجعلون الولاء والبراء للجماعات والفرق، فلا يوالون إلا فرقتهم وجماعتهم، ويعادون من سواها، فيجعلون الولاء والبراء للفرق، فمن وافقهم على مذهبهم وفكرهم، فهو وليهم وأخوهم، ومن خالفهم، فهو عدوهم، وهذا موجود بلا شك، فهذه أربع فرق، كلها ضلت في هذا الباب.

أما الفرقة الخامسة: -وهم أهل السنة والجماعة-: الذين ذكرهم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الكتاب، فهم الذين أخذوا بالكتاب كله، فجمعوا بين الآيات، ونظروا إلى صفات الأولياء -أولياء الله-، وصفات أولياء الشيطان، وهذا ما يدور عليه هذا الكتاب، يدور على هذا الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فهو كتاب قيم، والحاجة إليه ماسة؛ لأجل إزالة هذا اللبس الذي التبس الولاء والبراء فيه عند الناس: بين غال وجاف، وبين منكر له نهائيا؛ فالنبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم، ليس عندهم من العلم شيء، وإنما يتبعون أهواءهم، ويتبعون آباءهم وأجدادهم، فأنزل الله عليه القرآن والسنة، وهدى الله به من شاء له الهداية ممن يستحق الهداية، وأضل الله من أعمى الله بصيرته وطمس على قلبه، فلم يقبل هذا الحق، فتميز أولياء الله من أعداء الله ببعثة هذا الرسول ﷺ، وما أنزل الله

عليه من الكتاب والسنة، بين من هم أولياء الله الذين نحبهم، ونقتدي بهم، ومن هم أعداء الله الذين نبغضهم، ونتجنب طريقتهم، وبين لنا التعامل معهم، كيف نتعامل معهم، هذا هو ما يدور عليه هذا الكتاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَشْهَدُ[١] أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. أَرْسَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَهَدَى بِهِ مِنْ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنْ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنْ الْغَيِّ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالْغَيِّ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ،

---

(١) في بعض النسخ المطبوعة (وأشهد)، وهي الموافقة لألفاظ حديث خطبة الحاجة، ونقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد، ولا تُقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها، ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار يقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره، ويستعين الله له، ويستعيذ بالله له، أتى فيها بلفظ الجمع؛ ولهذا يقول: اللهم أعنا وأعذنا واغفر لنا... إلى أن قال: وفيه معنى آخر وهو أن الاستعانة والاستعاذة والاستغفار طلب وإنشاء، فيُستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين، وأما الشهادة فهي إخبار عن شهادته لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله بخلاف إخباره عن غيره، فإنه إنما يُخبر عن قوله ونطقه لا عن عقد قلبه، والله أعلم». انظر: تهذيب السنن لابن القيم (٣/ ٥٤).

وَالسُّعَدَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْأَشْقِيَاءِ أَهْلِ النَّارِ، وَبَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ. وَقَدْ بَيَّنَ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ أَوْلِيَاءَ مِنَ النَّاسِ وَلِلشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ، [١] فَفَرَّقَ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. **[٢].**

الشرح:

[١] هذا موجود في القرآن، وسيذكر آيات فيها أولياء الله، وفيها أولياء الشيطان، فالله ﷻ فرق بين أوليائه وأولياء الشيطان، وذكر صفات هؤلاء وصفات هؤلاء.

[٢] هاتان الآيتان فيهما بيان أولياء الله وصفاتهم، وما يحوزون عليه من الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾.

(ألا): أداة تنبيه.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: تأكيد.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: إثبات لولايتهم، ونفي للخوف والحزن عنهم، لا خوف عليهم في المستقبل، ولا هم يحزنون على ما فاتهم

في الدنيا، لا يحزنون على ما فاتهم، ولا يخافون مما أمامهم، ثم قال ﷻ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾، ذكر أن أولياء الله من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، إذًا الكافر ليس وليًّا لله.

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، إذًا الذي لا يتقي الله ليس وليًّا لله، يتقون محارمه، ويتقون عذابه، يتقون محارمه؛ فيجتنبونها، ويتقون عذابه؛ فيعملون الأعمال التي تقيهم من العذاب، هؤلاء هم أولياء الله.

إذًا الذي لا يتقي الله ليس من أولياء الله، الذي يترك الصلاة، ويزني، ويشرب الخمر، ويعمل الفواحش ليس من أولياء الله، إما أنه ليس من أولياء الله أصلا، أو أنه ليس من أولياء الله الذين لهم الولاية التامة، فإن الناس على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يكون وليًّا لله ولاية خالصة، وهؤلاء هم الرسل، وأتباعهم على الحق، الذين سلموا من الذنوب والمعاصي، هؤلاء ولايتهم تامة.

القسم الثاني: وهناك من هو عدو لله عداوة تامة، وهو الكافر والمشرك، هؤلاء أولياء الشيطان وأعداء الله، عداوة تامة ليس معها ولاية لله، وإنما هم أولياء الشيطان، ليس معهم ولاية لله أصلا، وهم الكفار والمشركون.

القسم الثالث: وهناك من يجتمع فيه ولاية الله من جانب، وولاية

الشيطان من جانب، وهو المؤمن العاصي، فهو ولي لله بما معه من الإيمان والتوحيد، وهو ولي للشيطان بما معه من كبائر الذنوب والمعاصي التي دون الشرك والكفر، تجتمع فيه الولاية والعداوة. لايخرج الناس عن هذه الأقسام الثلاثة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]. [١].

الشرح:

[١] هذه الآية فيها بيان أولياء الله وأولياء الشيطان، فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فالله ولي المؤمنين الذين آمنوا، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ يخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والشبهات إلى نور الإيمان ونور العلم والهداية، فهذه ثمرة ولايتهم لله ﷻ، ثمرة ولايتهم لله أنه يخرجهم من الظلمات، وتأمل ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، جاءت بصيغة الجمع؛ لأنه ليس لها حد؛ ظلمات كثيرة، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾، النور واحد، لم يقل: إلى الأنوار، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ نور واحد؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فصراط الله واحد، والسبل المخالفة لصراط الله كثيرة، الظلمات كثيرة، والنور واحد، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ هؤلاء أولياء الله.

من هم أولياء الشيطان؟ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ الكفار الذين كفروا بالله ﷻ أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، والطواغيت كثيرون، لكن كلهم يشملهم اسم الطاغوت، الطاغية الذي خرج عن طاعة الله، فالشيطان طاغوت، وكل الشياطين شياطين الجن

والإنس كلهم طواغيت، لا حصر للطواغيت، وكل طاغوت له أتباع، أما المؤمنون، فمتبوعهم واحد، وهو الله ﷻ، الله وليهم، انظر ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وحده ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ لهم أولياء كثيرون من الطواغيت، أولياؤهم الطاغوت، والطاغوت اسم جنس يدخل فيه كل شيطان من شياطين الإنس، وشياطين الجن، ودعاة الضلال، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾؛ نور الرسالة والإيمان والهدى، إلى ظلمات الكفر والشرك، وهذا مستمر إلى أن تقوم الساعة، ثم بين ﷻ عاقبتهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ (أصحابها) يعني: الملازمين لها، الذين لا يتخلصون منها، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾، ثم قال: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ مصاحبون لها، وخالدون فيها، هذه نهايتهم -والعياذ بالله-.

عرفنا إذًا الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، أولياء الله هم المؤمنون، وأولياء الشيطان هم الكفار.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦]. [١].

الشرح:

[١] هذه الآيات من سورة المائدة فيها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، خاطبهم باسم الإيمان؛ لأن الإيمان يقتضي أنهم يمتثلون أوامر الله، ويصغون لندائه، ثم نهاهم: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾، لا تتولوا اليهود والنصارى: تحبونهم، وتناصرونهم، وتدافعون عنهم، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾ اليهود هم الذين نزلت عليهم التوراة، وهم أمة موسى عليه السلام، والنصارى الذين نزل عليهم الإنجيل، وهم أمة عيسى بن مريم عليه السلام، لكنهم انحرفوا عن اتباع موسى وعيسى عليهما السلام، ولما بعث محمد ﷺ كفروا به، واليهود كفروا بعيسى عليه السلام

وبمحمد ﷺ، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ، ومن كفر بنبي واحد، فإنه كافر بالله وبجميع رسله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، لا مرية فيه، فمن كفر بنبي واحد، كفر بالجميع، وهو كافر بالله الذي أرسل الرسل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾، فأبطل إيمانهم برسلهم، لما كفروا بمحمد ﷺ، وأبطل إيمان اليهود بموسى عليه السلام، لما كفروا بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾، إذا كان هذا في اليهود والنصارى، وهم أهل كتاب، كيف بغيرهم من الوثنيين وعباد الأصنام، والملاحدة من باب أولى؟! ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾

لا تتولوهم بالمحبة والمناصرة، بل أبغضوهم لله ﷻ؛ لأن الله يبغضهم، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ثم قال ﷻ: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾، الكفار بعضهم أولياء بعض، قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، بعضهم أولياء بعض، فالكافر ولي الكافر، اليهودي ولي اليهودي، والنصراني ولي النصراني، ففرق بينهم وبين المؤمنين، ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ يكون يهوديا أو نصرانيا إذا تولاهم[١]، يكون منهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٧٦)، وتفسير القرطبي (٦/ ٢١٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٦٩).

لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ عقوبة لهم، وسمى ذلك ظلما، وأخبر أنه لا يهدي من اتصف به، فمن والى اليهود والنصارى، فإنه ظالم، والله لا يهدي القوم الظالمين؛ عقوبة لهم، وإنما يهدي أهل الإيمان الذين يقبلون الحق، أما من أعرض عن الحق، فإن الله يحرمه منه؛ عقوبة له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم أخبر عن المنافقين الذين يدعون الإسلام، وما أكثرهم! لا كثرهم الله! يدَّعون الإسلام، وهم يوالون اليهود والنصارى ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مرض النفاق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يتولون اليهود والنصارى، يضعون معهم يدهم؛ لو أن اليهود والنصارى انتصروا على المسلمين، فيكون لهم عندهم يد، فهم يسيئون الظن بالله ﷻ، ويظنون أن الله سيخذل المسلمين، وينصر أو يرفع اليهود والنصارى، هذا سوء ظن بالله ﷻ، ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ قال الله ﷻ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾؛ أن ينصر المسلمين، و(عسى) من الله واجبة، هذا وعد من الله أنه سينصر المسلمين، ويفتح لهم بالنصر، أو أمر من عنده ﷻ ينفذه في اليهود والنصارى، فيصبح هؤلاء المنافقون مفتضحين ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾، والعياذ بالله، وقد حصل هذا، الله فضح المنافقين، وخذل اليهود والنصارى، وأعز الإسلام والمسلمين، فافتضح المنافقون في مواقف كثيرة، ولا يزال هذا إلى أن تقوم الساعة، ما بقي الإسلام وبقي مسلمون، ثم إن أهل الإيمان يتعجبون من هؤلاء المنافقين: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ١-٣]، إلى آخر السورة، ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ۝٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣﴾، أحبطها النفاق - والعياذ بالله -، أعمالهم الظاهرة طارت، صارت هباء منثورا، لا قيمة لها، ثم قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾؛ كما ارتد هؤلاء المنافقون: ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، هذا فيه أن الله يحب المؤمنين، وهذا هو الولاية، الولاية هي أن الله يحبهم ويحبونه، يحبون الله، والله يحبهم: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ يلينون للمؤمنين -لإخوانهم-، يلينون لهم، ويرحمونهم، ويحمونهم، هذا شأن المؤمنين؛ كالبنيان يشد بعضه بعضا؛ كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، أقوياء على الكافرين العزة هي القوة، فهم يلينون للمؤمنين، ويشتدون على الكافرين، ولا يلينون لهم.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجاهدون الكفار وأعداء الله، يجاهدونهم باللسان، ويجاهدونهم باليد، ويجاهدونهم بكل أنواع الجهاد، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾؛ لأن الجهاد هو قوام الدين، فلا يقوم الدين بدون الجهاد في سبيل الله، الذي يقمع أولياء الشيطان، ويقمع الكفار، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، هذا الإيمان

وهذه القوة في دين الله، وهذه الرحمة للمؤمنين، وتولي المؤمنين هذا فضل الله، يوفق الله له من يشاء من عباده ممن يقبل الحق، ويريد الحق، أما من أعرض عن الحق، فإن الله يحرمه، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع الرحمة، واسع الرزق، واسع الملك، واسع بكل أنواع السعة ﷻ، وعليم بكل شيء، فيعلم المؤمن الحقيقي من المنافق، الذي يظهر الإيمان، ويبطن الكفر، الله يعلم، لا يخفى عليه شيء، ثم قال ﷻ لما ذكر هؤلاء الذين يتولون اليهود والنصارى، وهم يدعون الإسلام، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، الذين يجب أن تتولاهم هم: الله ﷻ في محبته وطاعته، وخوفه، ورجائه، وعبادته بجميع أنواع العبادة، ورسوله بطاعته، واتباعه، ومحبته، التمسك بسنته ﷺ، والذين آمنوا هم إخوانكم، وهم أولياؤكم، وأنتم أولياؤهم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا شأن المؤمنين، بعضهم أولياء بعض، واليهود بعضهم أولياء بعض: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ يعني: لا تتولوا غير الله ورسوله والمؤمنين، لا تتولوا الكفار، سواء كانوا كتابيين أو غير كتابيين، لا تتولوهم بالمحبة والنصرة، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾، هذه صفة أولياء الله، صفة أولياء الله أنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾؛ ملازمون للصلاة، عبر عن الصلاة بالركوع؛ لأن الركوع هو أعظم أركان الصلاة، ويدخل فيه السجود، السجود يسمى ركوعًا؛ لأنه

خضوع لله ﷻ، ثم بيَّن ﷻ من الغلبة له؟ هل الغلبة تكون لأولياء الشيطان وأولياء اليهود والنصارى، أو تكون الغلبة لأولياء الله؟

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، سماهم حزبه، إذًا الفريق الثاني حزب من؟ حزب الشيطان. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾، هم الغالبون، نعم قد يحصل عليهم بعض النكسات، يحصل عليهم بعض المصائب، لكن هذا بسبب من قِبَلهم، فإذا أصلحوا خللهم، أعطاهم الله الغلبة، والعاقبة، العاقبة للمتقين.

فبيَّن في هذه الآيات أن أولياء الله هم أهل الإيمان، الذين يتولى بعضهم بعضا، وأن أولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون، الذين يتربصون ويترددون بين هؤلاء وهؤلاء، ليسوا مع المؤمنين، ولا مع الكفار ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، هؤلاء هم أولياء الشيطان، هذا فرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] [١]، وذكر أولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۞ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]. [٢].

الشرح:

[١] في اليوم الآخر لا يبقى إلا ولاية الله ﷻ، وقوله ﷻ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ (الوَلاية) بالفتح معناها: المحبة، أما (الوِلاية) بالكسر فمعناها: الإمارة وتولي الأمور، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ ما يبقى غيرها، وما عداها، فإنه يزول ويضمحل: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾، أما من تولى الشياطين، فإنه سيجد العاقبة السيئة، ويجد العقاب بدل الثواب، هذه صفات أولياء الرحمن.

[٢] هذه الآيات من سورة النحل، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ يعني: أردت القراءة؛ مثل: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]؛ يعني: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۞﴾؛ تبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لماذا؟ لأجل أن يعتزلك الشيطان؛ فلا يلبس عليك القراءة، ولا يحول بينك وبين التدبر، ولا يشغلك بالهواجس والأفكار عن كتاب الله ﷻ، فمن آداب تلاوة القرآن أن يستعيذ القارئ قبل أن يبدأ القراءة، سواء من أول السورة أو من وسط

السورة؛ من أجل أن يطرد الشيطان عنه؛ لأنه يحضر ليلبس على القارئ، وليشغله عن التدبر والانتفاع بالقرآن، فإذا استعاذ بالله، أعاذه الله منه، وطرده عنه، ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ هؤلاء أولياء الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، هؤلاء يخرجون من ولاية الشيطان إلى ولاية الرحمن تبارك وتعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾؛ أي: سلطة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾ حصر سلطان الشيطان على من؟ ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠﴾ الشيطان يستولي عليهم، ويستحوذ عليهم، ويصبحون حزبا له - حزبا للشيطان -؛ بسبب أنهم أطاعوه، تولوه، وأحبوه وأطاعوه، فصار هو وليهم، وصاروا حزبه، فهذه الآيات فيها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأن أولياء الرحمن يتولون الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾، هذه صفات أولياء الرحمن، وهذه صفات أولياء الشيطان، الذين يتولون الشيطان يكون للشيطان سلطان عليهم، حجة عليهم، وقوة عليهم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦]. [١].

الشرح:

[١] قال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥]، انظر: تبرؤوا من الكفار، وهم في ديارهم، وطلبوا من الله أن يجعل لهم وليًا من المؤمنين: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، ثم قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾، هم يتقاتلون، الكفار يقاتلون، ويقدمون أنفسهم وأموالهم، ويقدمون على الخطر وعلى الموت نصرة لماذا؟ نصرة للشيطان - والعياذ بالله -، هذا العجيب! انظر! إنهم يستميتون في الدفاع عن كفرهم وعن شرهم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ إنهم يقاتلون في سبيل الله، لا يقاتلون رياء، ولا سمعة، ولا طمعا في المال، ولا طمعا في الملك، وإنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾؛ يقاتلون، يقدمون أنفسهم وأموالهم دفاعا عن الشيطان -والعياذ بالله-، هذا التولي، هذا غاية التولي للشيطان، ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

ثم قال الله ﷻ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾، هذا فيه وجوب الجهاد مع الاستطاعة، وأن المسلمين أولياء الرحمن يقاتلون أولياء الشيطان؛

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ كيده مهما كان، فإنه ضعيف إذا قام أهل الإيمان بالجهاد في سبيل الله، قد حصل هذا لما جاهد الرسول ﷺ وأصحابه، وجاهد أصحابه من بعده، اندحر الشيطان وحزبه، ظهر الإسلام، وسقطت دول الكفر تحت راية الإسلام؛ لأنه ضعيف، كيد الشيطان ضعيف، ما نفعتهم قوتهم وهيبتهم، الفرس والروم اندحروا أمام جند الله ﷻ: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، فهذه الآية فيها بيان أن من صفات أولياء الرحمن أنهم يقاتلون في سبيل الله، وأن من صفات أولياء الشيطان أنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠] [١].

الشرح:

[١] لما خلق الله آدم عليه السلام، خلقه بيده، خلقه من طين، وهذا تكرمة لآدم أن الله خلقه بيده، ثم علمه أسماء كل شيء؛ فظهر على الملائكة بالعلم، ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود إكرام، لا سجود عبادة، سجود إكرام وتحية لآدم، وهو عبادة لله تعالى، عبادة لله لامتثال أمره، وهو إكرام لآدم، الملائكة لم يترددوا، أولياء الله لم يترددوا، فسجدوا، أطاعوا الله تعالى، وهذا هو غاية العبادة لله ﷻ، ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾؛ هو رأس الشياطين، استثناؤه من الملائكة هل هو من جنسهم، فيكون الاستثناء متصلا -كان من جنس الملائكة، ثم لما أبى السجود، واستكبر، خذله الله ﷻ، ولعنه، وطرده -، أم هو من غير جنس الملائكة؛ فيكون الاستثناء منقطعا، بمعنى (لكن)؟ الراجح - والله أعلم - أنه من غير جنس الملائكة[1]، وإنما كان يتعبد معهم؛ ولهذا قال: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، ولو كان من الملائكة، لما قال: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، كان من عالم الجن، وعالم الجن فيهم شياطين ومردة، كل من تمرد عن طاعة الله من الجن، فإنه

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٢٥، ٢٢٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٩٤، ٢٩٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٧٨).

شيطان، ورئيسهم إبليس، هو رأس شياطين الجن، وهناك شياطين للإنس أيضا، ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وهم عالم لا نراهم؛ ولذلك سموا بالجن من الاجتنان(١)، وهو الاستتار، هم عالم الجن، العالم الذي لا نراه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ يعني: الشيطان؛ فلذلك سموا بالجن، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ يعني: عصى أمر ربه؛ لما قال الله للملائكة: اسجدوا، وكان إبليس معهم، سجدوا، وامتنع إبليس، فخرج عن أمر الله ﷻ، هذا هو الفسق، ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ ثم قال ﷻ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ هذا استفهام إنكار، يخاطب به بني آدم، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ تكونون من أولياء الشيطان، والواجب عليكم أن تكونوا من أولياء الرحمن، هذا استنكار من الله ﷻ: ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ﴾؛ تحبون أعداءكم، وتوالون أعداءكم، هذا من العجائب وانتكاس الفطر، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ١، ٢]، هذه سريرة

---

(١) الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، ولأنهم استجنوا من الناس؛ فلا يرون، والجمع جنان، وهم الجِنة. انظر: لسان العرب (١٣/ ٩٥)، ومختار الصحاح (١/ ٤٨)، وتفسير الطبري (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

الكفار دائما وأبدا نحو المسلمين، إذا تمكنوا منهم، فكيف تطمئنون إليهم؟ كيف توالونهم، وهم يضمرون لكم العداوة؟ ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾ [آل عمران: ١١٩]، هذه طبيعتهم، لا يمكن للكفار أن يتحولوا عن هذا أبدا، مهما تصنعون، ومهما قالوا وقالوا، فهم أعداء، كفار، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ دل على أن إبليس له ذرية؛ كما أن آدم له ذرية، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، الذي يستبدل ولاية الله ﷻ بولاية الشيطان، هذا بئس البديل، نسأل الله العافية!

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]. [١].

الشرح:

[١] ذكر الشيخ هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ الآية التي قبلها التي ذكرها الشيخ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، وفي هذه أنه قد خسر خسرانا مبينا، وهو يظن أنه يربح، وأنه يكون دبلوماسيا، وأنه يصلح مع الناس، وأنه لا يكون فيه خشونة، يكون مندمجًا مع الناس - كما يقولون -، وهذه صفة المنافقين، نحن لا نقول: اعتدوا على الكفار، اظلموا الكفار. لا، ما يجوز الظلم، ولا الاعتداء، ولا نقول: لا تتعاهدوا مع الكفار أو تصالحوا معهم، أو أن تنتفعوا، أو تبيعوا وتشتروا معهم في أمور الدنيا، أو أن تحسنوا إلى من أحسن منهم إليكم؛ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] بل نقول: هذا كله ليس من الموالاة، وإنما هو من تبادل المصالح، ومن المكافأة على الإحسان، والمؤمنون أوفياء بالعهود، وبالتعامل الطيب، هذه صفة المؤمنين، وليس هذا من الموالاة كما يظن بعض الجهال، هذا ليس من الموالاة، هذا من تبادل المصالح والمنافع، ولا يدخل في أمور الدين[١].

---

(١) للشارح - حفظه الله- تفصيل في هذه المسألة المهمة. انظر: شرح نواقض الإسلام (ص١٥٥ : ١٦٦) الناقض الثامن.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥]. [١].

الشرح:

[١] هذه الآيات من سورة آل عمران، التي ذكر الله فيها قصة غزوة أحد مفصلة، وجاءت هذه الآيات في آخرها تبين أولياء الله وأولياء الشيطان، فأولياء الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ثم ذكر أولياء الشيطان فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وذلك أنه لما حصلت الوقعة عند أحد، وحصل على المسلمين ما حصل من القرح، واستشهد منهم العدد الكثير، وجرح منهم العدد الكثير، وذلك بسبب مخالفة وقعت من بعضهم لأمر الرسول ﷺ، فلما حصلت منهم المخالفة، عمت العقوبة، وذلك أن النبي ﷺ نظم المسلمين(١)، وجعل ظهورهم إلى الجبل، وجعل على الجبل رماة يدفعون عن ظهور المسلمين

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١)، والبداية والنهاية (٤/ ١٤).

- ولذلك يسمى بجبل الرماة -، فامتثلوا، وأمسكوا الجبل، ولم يحصل للمشركين فرصة أن يأتوا المسلمين من خلفهم؛ فتفرغ المسلمون للقتال، ففتكوا بالعدو، وكاد العدو أن ينهزم، فشرع المسلمون في جمع الغنائم، فلما رأى بعض الرماة الذين على الجبل أن المسلمين انتصروا، وأنهم شرعوا يجمعون الغنائم، ظنوا أن المعركة قد انتهت، فقالوا: ننزل مع إخواننا؛ نعينهم على جمع الغنائم، فقال لهم قائدهم عبد الله بن جبير ﷺ: «إن النبي ﷺ قال لنا: «لا تتركوا الجبل سواء انتصرنا أو هزمنا»، ذكرهم بذلك، ولكنهم أصروا على النزول، فنزل بعضهم، وثبت بعضهم، ومنهم قائدهم عبد الله بن جبير ﷺ ثبت، حتى جاء المشركون من الخلف، ورأوا أن الجبل قد خف الرماة الذين هم عليه، فتقاتلوا معهم، حتى قتلوا بقية الرماة، ثم انقضوا على المسلمين من الخلف، والمسلمون لم يشعروا إلا وقد أحاط بهم المشركون من الإمام ومن الخلف، فحصلت النكبة بسبب مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ، ولهذا قال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥]؛ أي: أنتم السبب، وقبل هذا يقول: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾ [آل عمران: ١٥٢]؛ يعني: تقتلونهم ﴿بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، بشرهم الله بأنه عفا عما حصل منهم من المخالفة؛ ليطمئنهم، وبعد ذلك انتهت المعركة،

وانصرف المسلمون، دفنوا شهداءهم في محل المعركة في مقبرة الشهداء التي عند أحد، وحملوا جرحاهم، وعادوا إلى المدينة، وقفل المشركون إلى مكة، ثم إن المشركين تلاوموا، وقالوا: كيف نترك بقيتهم؟ لماذا لا نرجع ونستأصل بقيتهم؟ فأرسلوا مندوبا منهم إلى الرسول ﷺ أننا سنعود إليكم، ونستأصل بقيتكم، فالنبي ﷺ أمر كل من حضر المعركة من الأصحاء والجرحى أن لا يتخلف أحد، فنهضوا ﷺ بجروحهم مع الرسول ﷺ، وأمر ألا يخرج إلا من حضر الوقعة، فخرجوا بجروحهم ﷺ مع الرسول ﷺ، وساروا في أثر المشركين، ثم نزلوا منزلا يقال له: حمراء الأسد، نزلوا منزلا، فلما بلغ المشركين أن المسلمين خرجوا في أثرهم أصابهم الرعب، وقالوا: ما خرجوا إلا وفيهم قوة، فهزمهم الله، ولم يرجعوا إلى المسلمين، بل أصابهم الرعب، ومضوا في طريقهم إلى مكة، وكفى الله المؤمنين شرهم، لكن بعد ماذا؟ بعد الامتحان، وبعد إظهار القوة والإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: مندوب من المشركين، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: المشركين، ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾؛ قد جمعوا لكم يريدون الرجوع، هم على أثر المعركة، وفيهم الدماء والجروح ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ما تضعضعوا، ولا جبنوا، زادهم ذلك قوة؛ لأنهم يؤمنون بالله ﷻ، وهؤلاء هم أولياء الله، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾؛ أي: الله كافينا، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ الموكول إليه أمرنا، فلم يتضعضعوا من التهديد، ولم يخافوا من المشركين؛ لقوة إيمانهم، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، هذا ما قالوه، وخرجوا بأمر الرسول ﷺ، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قال الله ﷻ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾؛ يعني: رجعوا سالمين ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾

نتيجة ماذا؟ نتيجة الإيمان والصبر، وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، هذه النتيجة، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾، هؤلاء هم أولياء الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾؛ حيث منَّ عليهم بالأجر والسلامة، وأمدهم بالقوة في خروجهم، فلم يتضعضعوا، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾، قال ابن عباس ﵄: «(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﵇ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. قال الله ﷻ: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] «وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾»[1]، فكانت النتيجة أنهم انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، هذه النتيجة، وهؤلاء هم أولياء الله ﷻ، دائما وأبدا يكون الله معهم، ثم ذكر أولياء الشيطان، فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: هذه الشائعة التي سمعتم، وهذا الكلام، وهذا التهديد إنما هو من الشيطان.

﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ فيها وجهان[2]:

الأول: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ المفعول الأول محذوف، تقديره: يخوفكم أولياءه، يخوفكم -أيها المسلمون- أولياءه من الكفار والمشركين.

والوجه الثاني: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ يخوف ضعاف الإيمان من المنافقين، الذين هم أولياء الشيطان، ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾، هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) من حديث ابن عباس ﵄.
(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٣٤٩- ٣٥٠)، والقرطبي (٤/ ٢٨٢).

نهي من الله ﷻ أن يخاف أولياؤه أولياءَ الشيطان، الله ﷻ قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ ﴿وَخَافُونِ﴾ مخففة، أصلها: خافوني. بالياء، حذفت الياء تخفيفا، ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فالمؤمن الحقيقي لا يخاف إلا الله ﷻ، مهما هدد، ومهما فعل، فإنه لا يخاف إلا الله، قلبه معلق بالله ﷻ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فالمؤمن لا يخاف إلا الله، ولا يخاف غير الله ﷻ، فهذه الآيات فيها بيان صفات أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٧-٢٨] إلى قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] [١].

الشرح:

[١] ﴿جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾؛ سلط الله الشياطين على الذين لايؤمنون؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣]، فالكفار أولياؤهم الشياطين ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، السبب أنهم لا يؤمنون، فلما كانوا لا يؤمنون بالله، سلط الله عليهم الشيطان، وجعله وليهم؛ كما قال ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذا هو السبب أنهم لا يؤمنون، فدلت الآية على أن الذين يؤمنون، فإن الشيطان يبتعد عنهم، ويكون وليهم الله ﷻ، ثم قال ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٨-٣٠]، لماذا حقت عليهم الضلالة؟ لأنهم ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، إذا فعلوا فاحشة، وهي أنهم يطوفون بالبيت عراة، ويكشفون عوراتهم، فكشف العورة فاحشة، سماه الله فاحشة، والفاحشة هي المتناهي في القبح[١]، فكشف العورات والسفور للنساء هذا فاحشة، والذي يأمر بها هو الشيطان وجنوده من الجن والإنس، ودعاة الفتنة الذين يدعون الآن إلى خلع الحجاب وإلى السفور هم مثل الذين كانوا يدعون إلى الطواف بالبيت عراة في الزمان الأول؛ سواء بسواء: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾، يحتجون بما وجدوا عليه آباءهم، ولا يحتجون بما قال الله وقال رسوله، إنما يحتجون بآبائهم وأجدادهم، هذه حجة باطلة، تكررت منهم، وهي باطلة، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾، هذه أشد، نسبوا إلى الله أنه أمرهم أن يطوفوا بالبيت عراة، وأن يكشفوا عوراتهم، فكذبوا على الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾، رد الله عليهم، وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾؛ هذا يتنافى مع شرع الله ﷻ، لا يأمر بالفحشاء أمر تشريع، أما الأمر الكوني والقدري، فهذا يقدره الله عقوبة على من قدره عليه، لكن الأمر الشرعي أبدا مستحيل أن يشرع الله لعباده كشف العورات؛ لأنه فحشاء، والله لا يأمر بالفحشاء من هذا وغيره، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾، هذا قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم أشد من الشرك، قال ﷻ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، هذا الذي أمر الله به عند كل صلاة، عند كل مسجد؛ يعني: عند كل صلاة، أقيموا

---

(١) انظر مادة (فحش) في: مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٨)، ولسان العرب (٦/ ٣٢٥).

وجوهكم؛ يعني: أخلصوا نياتكم وقصدكم لله ﷻ، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾؛ يعني: بالعدل. وكشف العورات ليس من العدل، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؛ أخلصوا لله في صلواتكم وطوافكم بالبيت؛ لأن البيت مسجد، وكشف العورة عند البيت هذا ليس من إقامة الوجوه، بل هو من الظلم، ومن صرف الوجوه عن الله ﷻ إلى الشيطان، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: الدعاء، فسمى الدعاء دينا، وفي الحديث: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»[1] الدعاء هو أعظم أنواع العبادة، وهو أعظم أنواع الدين، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ كما خلقكم أول مرة، فإنه يعيدكم يوم القيامة، والإعادة أهون من البداءة في نظر العقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ حيث خلقكم من العدم، تعودون عند البعث كما كنتم في خلقتكم الأولى، ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ هدى الله ﷻ ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾؛ بسبب كفرهم وتوليهم للشيطان، السبب ما هو؟ حق عليهم الضلالة، ما السبب؟ هل الله ظلمهم؟ لا، ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، هذا هو السبب ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾؛ فتركوا ولاية الله، وأخذوا ولاية الشيطان - والعياذ بالله - ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ﴾، التي تدعوهم إلى الشرك، وإلى كشف العورات، وإلى الضلال

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث البراء ؓ.

وإلى السفور، اتخذوهم أولياء، تولوهم وأحبوهم، واتبعوهم من دون الله، والمصيبة أشد ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ويقولون: هذا هو الصحيح. يزين لهم - والعياذ بالله -، ويقولون: هذا هو الصحيح، وهذا هو الرقي، وهذا هو الحضارة، والدين تخلف ورجعية. . . ، إلى آخر ما يقولون، هم لو كانوا يعرفون أنهم على ضلال، لهان الأمر؛ لأنهم يرجى أن يرجعوا، لكن المشكلة أنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ فلا يرجعون، هذا من تمام الابتلاء - والعياذ بالله -، يحسبون أنهم هم الذين على الحق، فدل على أن من خالف الحق وهو يعلم أنه لا يعذر، ولو كان يرى أن ما هو عليه حق، ما دام أنه يخالف الوحي، فهو باطل، ولو رآه حقا، فهو باطل، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، اتخذوا الشياطين، ولم يكتفوا بذلك، بل يظنون أن هذا هو الحق، وهذا هو الرقي، وهذا هو الحضارة، وهذا هو التقدم. . . ، إلى آخر ما تسمعون من الهذيان الفارغ والباطل؛ من مدح الشرك وأهله، ومدح الإلحاد والكفر، ومدح الضلال. بعض الناس يقول: إن الذي يظن أنه على حق هذا معذور؛ لأنه لم يصل إليه الوحي، يكون معذورا إلى أن يتبين له، أما الذي لم يصله الوحي، فيخالف، ويظن أنه على حق، هذا غير معذور، هذا غير معذور، قامت عليه الحجة، ولو كان يرى أنه على حق، هو ليس على حق، ما دام أنه يخالف الوحي، وقامت عليه الحجة، ليس على حق، وليس معذورا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. [١].

الشرح:

[١] ﴿أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ أولياء الشياطين من الكفار والمنافقين، والآية من سورة الأنعام في سياق استباحة الميتة؛ لأن المشركين يستبيحون الميتات، كانوا يستبيحون الميتة، ويقولون: إن الله هو الذي ذبحها، فكيف لا نأكل مما ذبحه الله، ونأكل مما ذبحتم؟ هذه مقالة المشركين، يقولون: إن الميتة الله هو الذي ذكاها، أما الذبائح أنتم الذين ذبحتموها، وهذه المقولة أوحاها إليهم شياطين فارس من المجوس(١)، يوحون إلى أوليائهم من مشركي العرب، أوحوا إليهم هذه الفرية، فقالوا: إن الذي ذبحه الله - وهو الميتة - أولى من المذكاة التي ذبحتموها ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾؛ أي: شياطين الإنس، ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ بهذه الحجة الباطلة، ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾؛ ليجادلوكم أيها المؤمنون، ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ إن أطعتموهم في استباحة ما حرم الله، إنكم لمشركون بالله؛ لأن التحليل والتحريم حق لله ﷻ، لايجوز لأحد أن يحلل ويحرم، هذا حق الله ﷻ، هو الذي يحلل ويحرم، وليس لأحد أن يحلل ويحرم من دون الله، هذا شرك في الطاعة - والعياذ بالله -، ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾، وشرك الطاعة نوع من

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٧٢)، والقرطبي (٧/ ٧٤).

أنواع الشرك، والشاهد من الآية: ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾، فدل على أن من استحل ما حرم الله، وحرم ما أحل الله، فإنه من أولياء الشيطان، وأما من أحل ما أحله الله، وحرم ما حرمه الله، فإنه من أولياء الله.

وَقَالَ تَعَالَى عن الخليل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾ [مريم: ٤٥]. [١].

الشرح:

[١] إبراهيم عليه السلام لما نور الله قلبه بالإيمان والتوحيد من بين قومه الذين يعبدون الكواكب، ويتخذونها آلهة من دون الله، ويصنعون لها التماثيل على صور الكواكب، ويعبدونها من دون الله، أرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام يدعوهم إلى الله ﷻ، وينكر عليهم عبادة الكواكب والتماثيل، وبدأ بأبيه، وهذا دليل على أن الذي يدعو إلى الله أول ما يبدأ بأقاربه، ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، أما أن تذهب للناس، وأهل بيتك وأقرباؤك على الضلال، تسافر وتبعد تدعو الناس إلى الله، وتترك أهلك، وتترك عشيرتك، وتترك أهل بلدك، فهذا خلاف سنة الأنبياء عليهم السلام؛ ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: ٤٤]، فإبراهيم عليه السلام بدأ بأبيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١]، كان صديقا، الصديق هو المبالغ في الصدق، ولا أحد أصدق من إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾، انظر: يخاطبه بقوله ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؛ من باب الاستعطاف، ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، هذا من باب المخاطبة بالعقل، هذا التمثال الذي تصنعه أنت -لأن والد إبراهيم عليه السلام كان يصنع التماثيل-، والتمثال لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئا، لماذا تعبده؟ يخاطبه بالعقل: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ

﴿وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾، فدل على أن الله ﷻ موصوف بالسمع والبصر؛ لأن الله لو لم يكن يسمع ويبصر، لقال والد إبراهيم: وأنت أيضا تعبد من لا يسمع ولا يبصر. فهذا فيه إثبات السمع والبصر لله ﷻ: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾؛ ما يدفع عنك إذا نزل بك مرض، أو نزل بك شدة أو ضيق، هذا حجر ما ينفعك في شيء، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ [مريم: ٤٢-٤٣]، بين له أنه يدعوه عن علم، وليس عن عاطفة، ولكن عن علم، فيدل هذا على أن الداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، لا يدعُ، وهو جاهل: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٣-٤٤]؛ لأن عبادته للتماثيل هي عبادة للشيطان، هو الذي أمره بذلك، التمثال ما أمره، التمثال حجر، وما أمره أن يعبده، من الذي أمره؟ الشيطان، ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾، هذا من أول الخلق وقت آدم عليه السلام خرج عن أمر ربه، عصى ربه ﷻ، فسق عن أمر ربه، لما أمره الله بالسجود لآدم، عصى وأبى؛ ﴿كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٤-٤٥]؛ عذاب من الله ﷻ؛ لأن الله هو الذي يمرض ويشفي، ويحيي ويميت، ويدبر الأمر، أما هذا حجر ما عنده أي شيء، لا أمر ولا نهي، ولا يملك ضرا ولا نفعا، ولا يسمع، ولا يبصر ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، يتخلى الله عنك، ويكلك إلى الشيطان، الشيطان لا يستطيع أن يخلصك من عذاب الله ﷻ. كلام بليغ يدخل القلوب، حجج واضحة، حجج براهين،

﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ يتولاك الشيطان، ولا يستطيع أن يخلصك، أو لا يريد أن يخلصك أيضا، الشيطان عدو لا يريد لكم الخير أبدا، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾، ويتخلى الله عنك، ولا تكون وليًّا للرحمن ﷻ، فهذا من أوصاف أولياء الشيطان؛ أنهم يعبدون غير الله ﷻ؛ من الأشجار والأحجار، والأضرحة والقبور، والأولياء والصالحين، كل هذا من الشيطان، هو الذي يأمر بهذا، ومن فعله، ولم ينته عنه، فإنه يكون من أولياء الشيطان، نسأل الله العافية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] **الآيات إلى قوله**: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥][١].

الشرح:

[١] هذه الآيات في مطلع سورة الممتحنة، صدرها الله بقوله - مخاطبا المؤمنين -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾، إلى قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في دعاء إبراهيم عليه السلام وقومه، وهذه السورة نزلت بسبب، وهو أن النبي ﷺ لما أراد أن يغزو المشركين في مكة؛ لأنهم خانوا العهد الذي بينهم وبينه، نقضوا صلح الحديبية، فالرسول ﷺ عزم على غزوهم، لكنه أخفى ذلك، وأسره، ولم يبين وجهته لأصحابه؛ لأن هذا من أسرار الحرب، التي لا تظهر للناس، فتوجه إلى مكة في رمضان، وكان من جملة الصحابة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه؛ من سادات الصحابة وممن شهدوا بدرا، لكنه اجتهد، فأخطأ، فكتب إلى المشركين كتابا سريا يخبرهم أن محمدا ﷺ أراد غزوهم، وأرسل الكتاب مع امرأة خُفية، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ بالأمر، فأرسل الزبير والمقداد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم في أثر المرأة، وقال: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا». قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا

لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١)، وسبب النزول هو قصة حاطب، وصفه بالإيمان، فدل على أنه لم يتأثر إيمانه رضي الله عنه، ولم ينافق، وإنما وصفه الله بالإيمان مع إخوانه من المهاجرين والأنصار، لكنه نهى عن هذا الفعل، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، والموالاة هي المحبة والنصرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، وحاطب لم يحبهم، ولكنه أراد نصرتهم، وهذا من الولاية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]، أليسوا طردوا الرسول ﷺ، وأخرجوا المسلمين، حتى اضطروهم إلى الهجرة، ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾، لأي سبب؟ ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، هذا هو السبب: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، فدل على أن الذي يوالي الكفار قد ضل سواء السبيل، إلى آخر الآيات، التي فيها اللوم والعتاب، وفيها التحذير في المستقبل أن يفعل مسلم هذا الفعل. وفيها أن سبب عداوتنا لهم أنهم أعداء لله وأعداء للمؤمنين ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، هذا هو سبب عداوتنا لهم، أنهم أعداء لله، ونحن نعادي من عادى الله ﷻ وعادى رسوله ﷺ، هذا هو السبب، لا نعادي من أجل الدنيا أو من أجل العاطفة، أو من أجل ... لا. نعادي من أجل الله، فنحب في الله، ونوالي في الله، ونعادي في الله ﷻ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

فَصْلٌ

وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ النَّاسَ فِيهِمْ «أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ» فَيَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَمَا فَرَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بَيْنَهُمَا، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. [١].

الشرح:

[١] لما ذكر الشيخ رحمه الله هذه الآيات في مطلع هذا الكتاب المبارك، التي فيها أوصاف أولياء الله، وأوصاف أعداء الله، عند ذلك عقد هذا الفصل؛ ليبين النتيجة مما سبق.

عُرف من ماذا؟ من الآيات السابقة التي أوردها هذه هي النتيجة.

ويجب أن يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، فلا يخلط الأمر، ولا يقال: كلهم بنو آدم، وكلهم إخوان في الإنسانية، وكلهم من بني آدم. لا، المسألة مسألة كفر وإيمان، وليست مسألة إنسانية، أو مسألة عاطفة، إنما هي كفر وإيمان. والذي لا يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، هذا دليل على عدم إيمانه؛ لأن الله فرق بينهم، فيجب أن تفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، لا يلتبس عليك الأمر، فهذا فيه الرد على من يعتقد أن السحرة والكهان والمنجمين بما معهم من الخوارق الشيطانية أنهم أولياء الله، وأن هذه الخوارق كرامات من الله ﷻ، هذا لا يفرق بين الحق والباطل، ولا بين

أولياء الله وأعداء الله. فالله فرق بينهما في الآيات؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾، ثم فسرهم وبيّنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، فكل مؤمن تقي فإنه ولي لله، وكل كافر ومشرك ومنافق فإنه عدو لله.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»(٢) -أَوْ: فَقَدْ آذَنْته بِالْحَرْبِ-. [١].

الشرح:

[١] هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، ورواه غيره، وله طرق كثيرة تقوي بعضها بعضا، فيرتفع إلى درجة الصحة، ولذلك خرجه البخاري في صحيحه، فلا التفات إلى من تكلم في هذا الحديث، وعتب على الصحيح، وهو حجة عند المسلمين، لا يشكك في صحيحه أو في أحاديث في صحيحه أبدا، فهذا الحديث حديث قدسي؛ لأنه من كلام الله ﷻ، يرويه عنه رسوله ﷺ أن الله ﷻ قال، وهذا فيه إثبات الكلام لله ﷻ والقول لله.

«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»: هذا إعلام من الله ﷻ أن الذي يعادي المؤمنين أنه معادٍ لله ﷻ، وأن الله أعلن عليه الحرب؛ مثلما أعلن الحرب على أكلة الربا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وهل أحد يطيق أن يحارب الله ﷻ؟!

«فَقَدْ آذَنْتُهُ»؛ أي: أعلمته بأني محارب له -والعياذ بالله-؛ لأن الله ينتصر

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٦٥٠٢)، ولفظه عنده: «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».

(٢) هذا اللفظ أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص٩)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨)، والديلمي في الفردوس (٣/ ١٦٧) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٣٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

لأوليائه، فالذين يقعون في أعراض العلماء الآن، ويتنقصونهم، ويغتابونهم في المجالس، هؤلاء من هذا الصنف من الذين يعادون أولياء الله، لماذا؟ لأن العلماء ورثة الأنبياء، قد قال ﷺ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»(١)، فهم ورثة الأنبياء، ولما قال ناس في عهد النبي ﷺ: «**مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ**»(٢)، قال الله ﷻ فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، لا يجوز أن الإنسان يتكلم في العلماء ورثة الأنبياء، ولو أخطأ من أخطأ منهم عن غير قصد، فلا يتخذ الخطأ وسيلة للطعن فيه، وترخيصه على الناس، واغتيابه عند الناس، فهذا يجب يتنبه له، هؤلاء الذين يقعون في أعراض العلماء، ويعمرون بها مجالسهم، ويوالون ويعادون على هذا - لا حول ولا قوة إلا بالله -، حتى تفرقوا، واختلفوا، وتعادوا فيما بينهم، وهم يزعمون أنهم طلبة علم، أو أن بعضهم يزعم أنه شيخ ومن العلماء، فهذا من الشيطان في الحقيقة، هذا من كيد الشيطان.

«**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»: أعلن الله عليه الحرب، ومن حاربه الله، فهو مخذول، ولن ينتصر أبدا، فهذا فيه التحذير من معاداة أولياء الله ﷻ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦) وابن حبان (١/ ٢٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) ورواه البخاري معلقًا في كتاب العلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩) وابن كثير (٢/ ٣٦٨) من حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه.

«فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ، أو فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»؛ أي: أعلنت عليه الحرب، فالروايتان بمعنى واحد: أن من عادى أولياء الله، فهو محارب لله ﷻ، والله يحاربه.

«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْت عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، . . . » [١].

الشرح:

[١] هذه صفات أولياء الله؛ أنهم يتقربون إلى الله. لما ذكر التحذير من معاداة أولياء الله، من هم أولياء الله؟ هم هؤلاء الذين يتقربون إلى الله بأداء الفرائض، ثم بالنوافل: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»، هذا فيه الحث على أداء الفرائض التي فرضها الله، قد قال ﷺ: «إِنْ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا»(١)، ولأن الفرائض هي الأساس، فمن ضيع الفرائض، فإن النوافل لا تنفعه؛ لأنه يبني على غير أساس، لو أن الإنسان يقوم الليل كله، كل الليل يقوم، يتهجد، ويبكي، لكنه لا يحافظ على الفرائض، يضيع الفرائض (الصلوات الخمس)، فعمله يصبح هباء منثورا، تعب بلا فائدة، فإذا حافظ على الفرائض، فإنه يأتي بالنوافل؛ لأنه أتى بالأساس الذي يبني عليه، والفرائض أحب إلى الله من النوافل، إذا كنت تريد محبة الله لك، فتأتي بما يحبه الله، وهو الفرائض، التي أوجبها الله على عباده: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ»، هذا فيه الترغيب في النوافل، ولكن بعد أداء الفرائض.

«حَتَّى أُحِبَّهُ»: فدل على أن أداء الفرائض وفعل النوافل سبب لنيل محبة

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٢١) من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه.

الله للعبد، وهذه هي الولاية، الولي هو المحبوب، الله يحب من هذه صفته: يحافظ على الفرائض، ثم يتبعها بالنوافل؛ فالصلاة لها نوافل، والزكاة لها نوافل، والصيام له نوافل، والحج له نوافل، وكل شيء من الفرائض له نافلة من جنسه، والأساس هو الفرائض، «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ**».

فهذا الحديث فيه بيان من هم أولياء الله، وفيه أن الله ﷻ يدافع عنهم، أما من هم أولياء الله؟ قد بينهم بقوله ﷻ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، فدل هذا على أن ولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بالطاعات -فرائضها ونوافلها-، وهذا مطابق للآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فليست الولاية دعوى؛ لا يقال: فلان ولي -لأنه عنده كرامات أو خوارق-، حتى ينظر عمله: هل هو عمل صالح موافق للشرع؟ فهو ولي الله، وهذا الحديث فصل في هذه المسألة: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»؛ الواجبات.

«**حَتَّى أُحِبَّهُ**»: فيه أن الله يحب أولياءه، والمحبة من صفات الله الثابتة له ﷻ، فهو يحب، ويبغض، ويكره، ويسخط، ويرضى، ويغضب، كل هذه من صفاته ﷻ اللائقة بجلاله، وليست كصفات المخلوقين كسائر الصفات.

فَإِذَا أَحْبَبْته كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»، وفي رواية(١): «فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، . . . [١].

الشرح:

[١] هذا فيه أن الله يكون معهم، يوفقهم، ويسددهم في حركاتهم، وفي حواسهم وأعضائهم، فيستعملونها في طاعة الله ﷻ، وقوله: «**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ**» يفسر قوله: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»؛ في أنه لا يسمع إلا ما يفيده وينفعه، يسمع القرآن، يسمع الذكر، يسمع العلم؛ لأن الله سدده في سمعه، يتجنب المحرمات؛ فلا يسمع اللغو، واللهو، والأغاني، والمزامير، والغيبة، والنميمة، لا يسمع شيئا مما يسخط الله، وكذلك لا يبصر إلا ما ينفعه من النظر في مخلوقات الله، وفي آيات الله، يتدبر ويتأمل، ويستدل بها على قدرة الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة، ولا ينظر إلى المحرمات؛ كأن ينظر إلى النساء، أو ينظر إلى المناظر الكريهة، أو إلى العورات، أو إلى ما يسخط الله ﷻ؛ عملا بقوله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، ولأن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهو يستعمل سمعه وبصره فيما ينفعه ويفيده،

---

(١) أخرجها الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٦٥)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٤٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٠).

ويترك ما يضره ويفسد عليه دينه وأخلاقه، وكذلك لا يمشي إلا فيما فيه مصلحته، لا يأخذ بيده ويعطي بيده إلا ما فيه مصلحته، فلا يتناول الحرام، ولا يضرب أحدا بيده، ولا يظلم أحدا، لا يستعمل يده في الحرام والظلم، وإنما يأخذ ويعطي لله ﷻ، فيستعمل يده في طاعة الله، كذلك لا يمشي إلا لما فيه مرضاة الله ﷻ؛ كالمشي إلى المساجد، المشي إلى حلق الذكر، المشي إلى طاعة الله أينما كانت، يذهب إليها، فلا يمشي إلا فيما فيه طاعة لله ﷻ، ولا يمشي إلى ما حرم الله، لا يمشي إلى المسارح والملاهي، ودور البغاء، والسينمات، ومحلات اللهو واللعب. يتجنبها، وإنما يذهب إلى الأمكنة التي فيها الطاعة، والخير، والذكر، وتعلم العلم النافع.

وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنهُ، وَمَا تَرَدَّدْت عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»[1]. [١].

الشرح:

[١] قال تعالى: «وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»، هذا أيضا من ثمرات ولايته لله ﷻ؛ أن الله يجيب دعاءه، ويعيذه مما يخاف من أعدائه وشياطين الإنس والجن، يتولاه، ويحفظه، هذا نتيجة كونه وليًّا لله ﷻ، ثم قال ﷻ: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ»، هل الله يتردد؟ فسر هذا بقوله: «يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، التردد في حق الله معناه: كراهية هذا الشيء، أن الله يكره ما يكرهه وليه، ووليه يكره الموت، فالله يكره ما يكرهه وليه، هذا معنى (ترددت)؛ يعني: أكره ما يكرهه.

ثم قال ﷻ: «وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»، قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، الله قضى وقدر أن كل نفس ذائقة الموت، الأولياء وكل من له حياة وروح، فإن الله قضى بالموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

---

(١) جملة: «وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ» ليست في البخاري، وإنما رواها الشهاب القضاعي في مسنده (٢/ ٣٢٧)، وابن أبي الدنيا في الأولياء (ص٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢، ٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٩٥) من حديث أنس ﷺ.

ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، فلا بد له منه، ولكن الله يكره له ذلك، ومع هذا يجريه عليه قضاء وقدرا.

وَهَذَا أَصَحُّ حَدِيثٍ يُرْوَى فِي الْأَوْلِيَاءِ، [١] فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَنْ عَادَى وَلِيًّا لِلَّهِ، فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ. [٢].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَإِنِّي لَأَثْأَرُ لِأَوْلِيَائِي، كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ الْحَرِبُ»(١) أَيْ: آخُذُ ثَأْرَهُمْ مِمَّنْ عَادَاهُمْ؛ كَمَا يَأْخُذُ اللَّيْثُ الْحَرِبُ ثَأْرَهُ، ... [٣].

الشرح:

[١] هذا أصح حديث يروى في الأولياء، وفيه رد على الذين يطعنون في هذا الحديث، وهو في صحيح البخاري.

[٢] يعني: عرض نفسه لغضب الله وعقوبته، هذه المحاربة.

[٣] الله ﷻ ينتصر، (يثأر) يعني: ينتصر لأوليائه ممن ظلمهم، ومن عاداهم.

«**كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ** -يعني: السبع- **الْحَرِبُ**» حينما يهجم على فريسته، فهذا ليس من تشبيه المخلوق بالخالق، وإنما تشبيه للثأر بالثأر. للفعل بالفعل.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الحكيم الترمذي في النوادر (٢/ ٢٣٢)، والديلمي في الفردوس (٣/ ١٦٧)، وهكذا نقله عدد من المفسرين كابن كثير وغيره، لكن رواه والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٢)، وفي تفسيره (٧/ ١٩٤) سورة الشورى آية ٢٧ بلفظ: «وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد» ا.هـ. وكذا ذكره القرطبي في تفسيره من حديث أنس ﷺ، وذكر ابن فارس في معجم المقاييس (ص٢٤١) ثلاثة أصول للحرد منها: الثاني: الغضب، يقال: حرد الرجل: غضب، ويقال: أسد حارد. وقال الفرزدق: لعلك يومًا أن تَرَيْني كأنما بَنِيَّ حوالَيَّ الليوث الحواردُ. ا.هـ.

الليث وهو السبع إذا أوذي واعتدي عليه، فإنه يهجم على من آذاه، وينتصر لنفسه.

هؤلاء هم أولياء الله الذين أحبوا ما يحبه، وأبغضوا ما يبغضه؛ من الأقوال والأعمال والأشخاص، فهم يحبون ما يحبه الله، ويبغضون ما يبغضه الله، لا يحبون بموجب الهوى، أو يعادون بموجب الهوى، وإنما يوالون ويعادون في ذات الله ﷻ.

وَهَذَا لِأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَوَالَوْهُ، فَأَحَبُّوا مَا يُحِبُّ، وَأَبْغَضُوا مَا يُبْغِضُ، وَرَضُوا بِمَا يَرْضَى، وَسَخِطُوا بِمَا يَسْخَطُ، [١] وَأَمَرُوا بِمَا يَأْمُرُ، وَنَهَوْا عَمَّا نَهَى، [٢]، وَأَعْطَوْا لِمَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعْطَى، وَمَنَعُوا مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُمْنَعَ، [٣].

الشرح:

[١] يرضون بما يرضي الله، ويسخطون عما يسخط الله ﷻ، هذا معنى الولاية الحقيقية.

[٢] أمروا بما يأمر الله ﷻ، ونهوا عما ينهى، ولا يثبتون شيئا من عند أنفسهم؛ فيأمرون بشيء لم يأمر الله به، أو ينهون عن شيء لم ينه الله عنه؛ كالمبتدعة الذين يأمرون بأشياء ما شرعها الله، أو ينهون عن أشياء قد شرعها الله لعباده، هؤلاء مبتدعة قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

[٣] أعطوا من يحب الله أنه يعطى؛ كالفقراء، والمساكين، والأيتام، وذوي القربى، ومن أمر الله بإعطائهم، وأمسكوا عمن نهى الله عن إعطائهم؛ من أعداء الله ورسوله، الذين يستعينون بما يعطون على عداوة الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة ﵂.

كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»(١). [١].

الشرح:

[١] يعني: أقوى عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، عرفنا فيما سبق أن محبة العبد لله من أعظم أنواع العبادة، وكذلك محبة من يحبه الله من رسله، وأنبيائه، وعباده الصالحين، فهو يحبهم؛ لأن الله يحبهم، لا لطمع دنيوي، ولا لغرض نفسي، ولا لهوى، وإنما يحبهم؛ لأن الله يحبهم، كذلك البغض؛ لا يبغض بحسب هواه، أو رغبته، وإنما يبغض من يبغضه الله ﷻ، والله يبغض الكفار والمنافقين، ويبغض أهل المعاصي والسيئات، فهو يبغضهم، يعاديهم، فيوالي من يوالي الله، ويعادي من عادى الله ﷻ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فهم يوالون هؤلاء، ويعادون الكفار والمنافقين والمخالفين؛ لأنهم أعداء لله، فهم يعادونهم؛ لأن الله عدو لهم. قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فلا يمكن أن تحب الكفار، والله يبغضهم، وقد عاداهم.

---

(١) ورد عن عدد من الصحابة ﷺ منهم: ابن مسعود عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٣)، والطيالسي (١/ ٥٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧١) ح (١٠٣٥٧)، و(١٠/ ٢٢٠) ح (١٠٥٣١)، والأوسط (٤/ ٣٧٦)، والبراء بن عازب عند أحمد (٤/ ٢٨٦)، ولفظه: «**أَوْسَطُ عُرَى الْإِيمَانِ**»، والطيالسي (١/ ١٠١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٠).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: «وَمَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(١) [١].

الشرح:

[١] من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، ومن نقص شيئا من ذلك، نقص إيمانه، فإذا كان على هذا الميزان يحب من يحبه الله، ويبغض من يبغضه الله، ويعطي من يحب الله أن يعطى، ويبغض من يبغض الله، ويمنع من يحب الله أن يمنع، فهو يعطي ويبذل المال في طاعة الله، لا يبذله لأعداء الله ﷺ ومن يبغضهم الله، فهذا استكمل الإيمان، وإذا نقص شيء من ذلك، نقص إيمانه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (٢٥٢١)، وقال: هذا حديث منكر، وفي بعض النسخ: هذا حديث صحيح، وأحمد في المسند (٣/ ٤٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٠)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٤١)، والكبير (٤١٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧).

وَالْوِلَايَةُ(١): ضِدُّ الْعَدَاوَةِ، [١] وَأَصْلُ الْوِلَايَةِ: الْمَحَبَّةُ وَالْقُرْبُ، وَأَصْلُ الْعَدَاوَةِ: الْبُغْضُ وَالْبُعْدُ. [٢] وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْوَلِيَّ سُمِّيَ وَلِيًّا مِنْ مُوَالَاتِهِ لِلطَّاعَاتِ؛ أَيْ: مُتَابَعَتِهِ لَهَا. وَالْوَلِيُّ: الْقَرِيبُ، فَيُقَالُ: هَذَا يَلِي هَذَا، أَيْ: يَقْرُبُ مِنْهُ. [٣].

الشرح:

[١] هذا تفسير للوَلاية بفتح الواو، هي ضد العداوة، والولي من الوَلْيِ وهو القرب، فلان يلي فلانا؛ يعني: يقرب منه، والذي يليك في الصف يعني: يقرب منك: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى»(٢)، فالولاية في اللغة القرب من الشيء، وليه يعني: قرب منه، وطاعة الله تسمى ولاية؛ لأنها تقرب إلى الله.

[٢] هذا أصلها في اللغة المحبة، والاه يعني: أحبه، وقرب منه، والمؤمن قريب من الله ﷻ، والكافر والمنافق بعيد عن الله ﷻ؛ فليس وليًّا لله.

[٣] وكذلك من معاني الولاية: موالاة الطاعة والمتابعة لها طول حياته،

(١) الوِلاية بالكسر السلطان، والولاية بالفتح والكسر النصرة، والْوَلِيُّ ضد العدو، يقال: تَوَلَّاهُ، وكل من وَلِيَ أمر واحد فهو وَلِيُّه، والمَوْلَى المُعْتِق والمُعْتَق.
وقال ابْنُ السِّكِّيتِ: «الوِلاية بِالْكَسْرِ: السُّلْطَانُ، والوَلاية والوِلاية: النُّصرة».
انظر مادة (ولي) في لسان العرب (١٥/ ٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لا يتركها في وقت، ويفعلها في وقت، وإنما يواليها حسب استطاعته، الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]؛ تواصل العمل، لكن من غير تشدد وغلو، وإنما باعتدال واقتصاد؛ كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك.

من يجتهد في الطاعة في وقت، ثم يتركها في وقت آخر، فهذا لم يوال العبادة، فهذا نقص في ولايته لله ﷻ. والأول - أنها من القرب والطاعة - أصح من (متابعة العمل والاستمرار عليه).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتْ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»(١)، أَيْ: لِأَقْرَبِ رَجُلٍ إِلَى الْمَيِّتِ. [١].

الشرح:

[١] يعني: أقرب أولى، يعني: أقرب رجل إلى الميت من عصبته، «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ» أي: الفروض المقدرة في كتاب الله؛ كالنصف، والربع، والثمن، والثلثين، والسدس، والثلث، هذه هي الفروض المقدرة في كتاب الله، وهي ستة، هذه يبدأ بها عند تقسيم التركة، فتعطى لأصحابها، فإن بقي شيء بعد الفروض، يعطى لأقرب عاصب للميت: «فَمَا أَبْقَتِ الْفَرَائِضُ فَلأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»، ما فائدة قوله: (ذكر) بعد قوله: (رجل)؟ قالوا: لئلا يفهم أنه لا يكون عصبة إلا إذا كان رجلا كبيرا، بل المهم الذكورية، ولو كان صغيرا، ولو كان حملا في البطن، المهم أنه ذكر، ولو كان صغيرا، وقيل غير ذلك؛ كما يذكر المؤلف.

(لِأَقْرَبِ رَجُلٍ إِلَى الْمَيِّتِ)؛ من العصبة، والعصبة على الترتيب بعضهم أقرب من بعض.

فَبِالْجِهَةِ التَّقْدِيمُ ثُمَّ بِقُرْبِهِ وَبَعْدَهُمَا التَّقْدِيمُ بِالْقُوَّةِ اجْعَلَا(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (١٦١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: الرحبية.

لأن العصبة جهات: جهة الأبوة، جهة البنوة، جهة الأخوة، جهة الجدودة، جهة العمومة، . . . إلى آخره، ست جهات، يبدأ بالأقرب، فالأقرب.

وَأَكَّدَهُ ﷺ بِلَفْظِ: «الذَّكَرِ» لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ حُكْمٌ يَخْتَصُّ بِالذُّكُورِ [١]، وَلَا يَشْتَرِكُ فِيهَا الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي الزَّكَاةِ: «فَابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٍ»(١). [٢].

الشرح:

[١] هذا قول؛ يعني: لا يدخل فيه الإناث إلا في مسألة العصبة بالغير، أو مع الغير، أو المعتقة، عصبة بالنفس المعتقة، فإنها ترث عتيقها، قال:

وَلَيْسَ فِي النِّسَاءِ طُرًّا عَصَبَةُ إِلَّا الَّتِي مَنَّتْ بِعِتْقِ الرَّقَبَةِ(٢)

يعني: ليس في النساء عصبة بالنفس، ليس فيهن عصبة بالنفس، وإنما النساء تكون عصبة بالغير أو مع الغير. أو تكون معتقة، فقط المعتقة.

[٢] هذا فيه نظر؛ الإناث تشترك مع الذكور إذا كن عصبة للغير، كالبنات مع البنين والأخوات مع الإخوة، وكذلك المعتقة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٧)، والنسائي (٥/ ١٩)، وابن ماجه (١٧٩٨)، وأحمد (١/ ١١)، ومالك في الموطأ برقم (٥٩٩)، وابن أبي شيبة (٩٨٨٩)، وعبد الرزاق في المصنف (٦٧٩٣)، وابن خزيمة (٢٢٦١)، وابن حبان (٣٢٦٦).

(٢) انظر: الرحبية (باب التعصيب).

فَإِذَا كَانَ وَلِيُّ اللَّهِ هُوَ الْمُوَافِقُ الْمُتَابِعُ لَهُ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَيُبْغِضُهُ وَيُسْخِطُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ كَانَ الْمُعَادِي لِوَلِيِّهِ مُعَادِيًا لَهُ؛ [١] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، **[٢] فَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدْ عَادَاهُ وَمَنْ عَادَاهُ فَقَدْ حَارَبَهُ، فَلِهَذَا قَالَ: «وَمَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»(١) [٣].**

الشرح:

[١] هذا وجه قوله ﷺ: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب أو فقد بارزني بالمحاربة»؛ فإن الله ينتصر لأوليائه من أعدائهم.

[٢] وهذه -كما سبق- نزلت في قضية الحديبية، وما حصل من بعض الصحابة من الخطأ الذي غفره الله لصاحبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾؛ يعني: الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؛ يعني: أحبابا تحبونهم، وتناصرونهم، فدل على أن المودة هي الموالاة، أو هي أصل الموالاة، ثم تتبعها المناصرة، هذا تفسيرها.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ تفسير لقوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾

[٣] لماذا يعادي أولياء الله؟ إلا لأن الله يحبهم، ولأنهم أطاعوا الله ﷻ، فهو يبغضهم من أجل ذلك، فهو معاد لله ﷻ.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥٤).

أَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ هُمْ أَنْبِيَاؤُهُ، [١] وَأَفْضَلُ أَنْبِيَائِهِ هُمُ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ، [٢].

الشرح:

[١] الأولياء درجات، أفضلهم الأنبياء عليهم السلام، فلا أحد يساوي الأنبياء في منزلتهم عند الله تبارك وتعالى؛ لأنهم صفوته من خلقه، اصطفاهم الله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فهو اصطفاهم عز وجل، واختارهم؛ فهم أقرب الخلق إلى الله، وأحب الخلق إلى الله الأنبياء، وفي هذا رد على من يفضل الولي على النبي، وهم الصوفية.

[٢] الأنبياء والمرسلون ما الفرق بينهم؟ الأنبياء جمع نبي، والرسل أو المرسلون جمع رسول، ما الفرق بين الرسول والنبي؟ قالوا: النبي هو من بعث بشرع من قبله من الأنبياء، وقد يوحى إليه في قضية خاصة، لكن هو لا ينزل عليه شرع مستقل كما ينزل على الرسول، وأما الرسول فهو من أوحي إليه بشرع، النبي لم يوح إليه بشرع، وإنما أمر باتباع شرع من قبله من الرسل، مثل: أنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بشريعة موسى عليه السلام وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى، فهم أنبياء، وليسوا رسلا. هذا الفرق بين النبي والرسول: النبي لا ينزل عليه شرع، والرسول ينزل عليه شرع، فالرسول أعم من النبي؛ ولذلك قالوا: كل رسول فهو نبي، وليس كل نبي رسولا، فبينهما عموم وخصوص، الله عز وجل قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، ذكر هؤلاء وهؤلاء، وعطف بالواو، فدل على المغايرة، فكل رسول فهو نبي، وليس كل نبي رسولا[(١)].

(١) انظر: (الرسل والرسالات) للشيخ عمر الأشقر (ص١٤).

وَأَفْضَلُ الْمُرْسَلِينَ أُولُو الْعَزْمِ: [١] نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ ﷺ، [١].

الشرح:

[١] الرسل يتفاضلون: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فالرسل يتفاضلون ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فهم يتفاضلون عليهم السلام الرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل أولو العزم الخمسة، الذين ذكرهم الله في سورة الشورى وفي سورة الأحزاب. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، هؤلاء هم أولو العزم، قال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، والعزم هو القوة والصبر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. [١].

الشرح:

[١] الله ﷻ وصى محمدا ﷺ بما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فدين الأنبياء واحد، وهو التوحيد، عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم، فإن دينهم واحد؛ ولهذا قال ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ما الذي وصى به هؤلاء؟ ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، وإقامة الدين: إخلاص العبادة لله على وفق ما شرع؛ يعني: لابد من شرطين: الإخلاص، وموافقة الشرع، والشرع يختلف في كل زمان بحسب وقت الأنبياء السابقين: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فعبادة الله هي عبادته بما شرع في كل وقت بحسبه، ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أمة واحدة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فلا يجوز التفرق في الدين؛ لأن الدين واحد، فلا يجوز التفرق فيه، كل له دين، وكل له نحلة، وكل له طريقة، الطريق واحد، الدين واحد هو دين الله ﷻ، ما نبتكر شيئا من عندنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب: ٧، ٨]. [١] وَأَفْضَلُ أُولِي الْعَزْمِ مُحَمَّدٌ ﷺ [٢].

الشرح:

[١] هذه الآية الثانية التي ذكر الله فيها أولي العزم في سورة الأحزاب. هؤلاء هم الخمسة أولو العزم.

[٢] وَأَفْضَلُ أولي العزم محمد ﷺ؛ لأنه إمام المرسلين، وميزه الله بمزايا ليست عند غيره، منها أنه بعثه إلى الناس كافة، وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، وهذا الرسول بعث إلى الناس كافة، وشريعة كل رسول تنتهي وتنسخ بشريعة بعدها، إلا هذه الشريعة؛ فإنها باقية إلى أن تقوم الساعة، فهذه من خصائصه ﷺ، ومما يدل على فضله ﷺ على غيره من المرسلين. ومن بعده إبراهيم، بعد محمد ﷺ إبراهيم، فأفضل أولي العزم الخليلان؛ محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -، قال ﷻ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»[(١)]، فهو أفضل الخليلين، والخليلان أفضل أولي العزم. وهذا كما قال ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ولكن يلاحظ أنه

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤١) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

لا يجوز التفضيل بين الأنبياء من باب المفاضلة، أو تنقص المفضول، هذا لايجوز، وإنما من باب التحدث بنعمة الله ﷻ، لا من باب تنقص المفضول ولهذا قال ﷺ: «لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(١)، مع أنه ﷺ أفضل من يونس وغيره، لكن إذا كان هذا من باب المفاضلة أو تنقص المفضول، فلا يجوز، وقال ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»(٢)، نهى عن المفاضلة بين الرسل من باب تنقص المفضول والمفاخرة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

خَاتَمُ النَّبِيِّينَ[١]، [١] وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، [٢].

الشرح:

[١] قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، معنى خاتم النبيين: أنه لا يأتي بعده نبي إلى أن تقوم الساعة، فلابد من اعتقاد هذا؛ أنه خاتم النبيين، وأنه لا يبعث بعده نبي، فمن أجاز أن يبعث بعده نبي، فهو كافر؛ لأنه مخالف للقرآن: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ومخالف للسنة الصحيحة؛ قال ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي»[٢]، وأخبر أنه يأتي من بعده كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، قال ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، فمن أجاز أن يأتي بعده نبي، فهو كافر؛ ولذلك كفر المسلمون القاديانية، الذين زعموا أن أحمد القادياني نبي، كفرهم المسلمون، أجمع المسلمون على تكفيرهم، ومنعوهم من الحج، ومن المجيء إلى مكة؛ لأنهم كفار.

[٢] وهذا سيأتي، كيف يكون إمام المتقين؟ يأتي هذا بأنه أول من يبعث، وأول من يستفتح باب الجنة، وأن الناس يكونون يوم القيامة تحت لوائه ﷺ.

---

(١) دليله قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ(١)، [١] وَإِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا اجْتَمَعُوا، [٢] وَخَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا(٢)، [٣].

الشرح:

[١] قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ»(٣)، هذا من باب التحدث بنعمة الله، لا من باب الفخر أو تنقص المفضول، وإنما هو من التحدث بنعمة الله.

[٢] وهذا عند الله ﷻ، ولذلك لما أسري به ﷺ إلى بيت المقدس، جمع الله له الأنبياء، فصلى بهم ﷺ، صار إمامهم.

[٣] إذا وفدوا على الله ﷻ، فإنه يؤذن له بالكلام ﷺ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

---

(١) أخرج مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

(٢) أخرج الترمذي (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤)، وأحمد (٥/ ١٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٦)، والحاكم (٤/ ٧٨) من حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد ﷺ.

صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ(١)، الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، [١].

الشرح:

[١] المقام المحمود هذا أيضا من فضائله ﷺ، مما فضله الله به على غيره من الأنبياء، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى؛ حينما يشتد القيام على الخلائق في المحشر، ويطلبون من يشفع لهم عند الله؛ ليفصل بينهم، ويريحهم من الموقف، فيتقدمون إلى آدم، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، وكلهم يعتذر، ثم ينتهون إلى محمد ﷺ، فيقول: «أَنَا لَهَا»، فيخر ساجدا بين يدي الله ﷻ، ولا يزال ساجدا يدعو ربه، حتى يقال له: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(٢)، فيشفع في الخلائق بأن يحاسبهم الله، ويصرفهم من الموقف الطويل، الذي شق عليهم خمسين ألف سنة، وهم وقوف على أقدامهم، وهذا هو المقام المحمود: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، يحمده عليه الأولون والآخرون.

---

(١) أخرج البخاري (٦١٤) عن جابر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهم رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، وآت محمد الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وَعَدْتَهُ إلاَّ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ يوم الْقِيَامَةِ».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ؓ.

وَصَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ(١) [١]، وَصَاحِبُ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ(٢)، [٢] وَشَفِيعُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، [٣].

الشرح:

[١] اللواء هو الراية التي يجتمع تحتها الجند.

[٢] الذي جاء وصفه في الأحاديث أنه حوض طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، وأن ماءه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل(٣)، وأن من شرب منه شربة، فلا يظمأ بعدها أبدا، هذا لمحمد ﷺ.

[٣] شفيع الخلائق؛ كما سبق في المقام المحمود.

(١) أخرج الترمذي (٣١٤٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ»، وأخرجه أحمد (١/ ٢٨١)، وابن حبان (٦٤٧٨)، والحاكم (١/ ٨٣)، وأبو يعلى (٢٣٢٨)، والطيالسي (٢٧١١)، والطبراني في الكبير (١٧٥٠) والأوسط (٣٥٧٠).

(٢) انظر: أحاديث الحوض في صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الحوض ح (٦٥٧٥) إلى (٦٥٩٣)، وصحيح مسلم ح (٢٢٨٩) إلى (٢٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩، ٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٠، ٢٣٠١) ونصه كما في مسلم هو: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ، فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ». وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

وَصَاحِبُ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ(١)،[١] الَّذِي بَعَثَهُ بِأَفْضَلِ كُتُبِهِ، وَشَرَعَ لَهُ أَفْضَلَ شَرَائِعِ دِينِهِ [٢] وَجَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [٣]،

الشرح:

[١] صاحب الوسيلة، وهي القصر الذي في الجنة، «سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٢).

[٢] من فضائله على غيره من الأنبياء: أن شريعته هي أفضل الشرائع، كاملة شاملة، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وباقية لا تنسخ إلى أن تقوم الساعة. وأيضا الكتاب الذي أنزله عليه أفضل الكتب على الإطلاق، القرآن هو أفضل الكتب الإلهية على الإطلاق

[٣] كما قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهم خير للناس في أنهم يدعون إلى الله، ويعلمون، ويجاهدون في سبيل الله؛ لينشروا هذا الدين، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فخيرهم ليس قاصرا عليهم، وإنما يتعدى للناس كافة، وهذا واضح في جهاد المسلمين ونشر هذا الدين في المشارق والمغارب، حتى أنقذ الله به أمما من الكفر، ومن الضلال، ومن النار، ومن الجهل.

---

(١) حديث الشفاعة سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وَجَمَعَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ، [١] وَهُمْ آخِرُ الْأُمَمِ خَلْقًا، وَأَوَّلُ الْأُمَمِ بَعْثًا، [٢] كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ»؛ [٣].

الشرح:

[١] جمع ما فرقه؛ لأن الجمع ضد التفريق، فهم اجتمعت فيهم الفضائل المتفرقة في الأمم السابقة.

[٢] آخر الأمم خلقا، أمة محمد ﷺ هي آخر الأمم، وبعدها تقوم الساعة، وهم أول الأمم بعثا، إذا بعث الناس من قبورهم، فهم أول من يبعث، وأول الأمة محمد ﷺ، هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ﷺ، فهم وإن كانوا متأخرين في الخلق، إلا أنهم السابقون في البعث.

[٣] نحن الآخرون؛ يعني: في الخلق، السابقون في البعث يوم القيامة، «بَيْدَ أَنَّهُمْ»؛ أي: من أجل أنهم، «بَيْدَ أَنَّهُمْ» بمعنى: من أجل، أو بمعنى: التعليل؛ لأننا أوتينا الكتاب من بعدهم، وأوتوا الكتاب من قبلنا، فهي تعليلية، «بيد» تعليلية، ما سبب أننا السابقون يوم القيامة؟ لأننا أوتينا الكتاب من بعدهم، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣]، تأمل! الظالم لنفسه،

والمقتصد، والسابق بالخيرات كلهم يدخلون الجنة، ولله الحمد والمنة، فهو ﷻ أورث هذه الأمة الكتاب، الذي هو القرآن المهيمن على الكتب التي قبله، المصدق لها.

«بَيْدَ أَنَّهُمْ» قيل: إنها بمعنى غير؛ أي: غير أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وقيل: إنها تعليلية؛ أي: لأجل أننا أوتينا الكتاب، والشيخ يرجح هذا، يرجح أنها بمعنى: لأنا أوتينا الكتاب، تعليلية؛ كما ذكر هذا في اقتضاء الصراط المستقيم(١).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٠٧).

فَهَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ - يَعْنِي يَوْمَ الْجُمْعَةِ -، فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ، النَّاسُ لَنَا تَبَعٌ فِيهِ، غَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَد لِلنَّصَارَى»(١) [١].

الشرح:

[١] ومما يدل على فضل هذه الأمة أن الله اختار لها يوم الجمعة، بينما اليهود أخذوا يوم السبت، والنصارى أخذوا يوم الأحد، فالله ﷻ اختار لهذه الأمة يوم الجمعة؛ لأنه اليوم الذي تجتمع فيه الفضائل: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وأخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه، فهو يوم الجمعة، اختاره الله لهذه الأمة، أما اليهود، فهم أخذوا يوم السبت، اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يجعلونه يوما للعبادة، فاليهود أخذوا يوم السبت، والنصارى أخذوا يوم الأحد، لماذا؟ قالوا: لأن يوم السبت هو اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السماوات والأرض، وقالت النصارى: الأحد الذي بدأ الله فيه خلق السماوات والأرض؛ لأن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فاليهود زعموا أن الله استراح يوم السبت؛ لأنه تعب من خلق السماوات والأرض - تعالى الله عما يقولون -، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣]؛ يعني: لم يتعب، (العي) هو التعب،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

هذا رد على اليهود، زعموا أن الله استراح من التعب في يوم السبت، فهم يعطلون فيه، ويتعبدون فيه، وهذا زعم باطل.

النصارى أخذوا يوم الأحد؛ لأنه هو بداية الخلق، لكن الجمعة كمال الخلق، أيهما أفضل البداية أو الكمال؟ الكمال، فاختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة؛ ولهذا ما حسدونا على شيء مثلما حسدونا على يوم الجمعة، فهذا يدل على فضل هذه الأمة أن الله اختار لها أفضل الأيام يوم الجمعة، فيوم الجمعة هو اليوم الأول، وهم صاروا تبعًا بعده، صار يوم السبت ويوم الأحد بعد يوم الجمعة، فصار السبق لهذه الأمة، ولله الحمد.

وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ»(١) [١] وَقَالَ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِك أُمِرْت إِلَّا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَك»(٢) [٢].

الشرح:

[١] أي: عند البعث، إذا نفخ في الصور، ثم انشقت الأرض عمن فيها، أول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ، هذا يدل على فضله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝﴾ [ق: ٤٤]

[٢] وهذا من فضائل هذا الرسول وفضائل أمته أنه أول من يستفتح باب الجنة، وأن الله أمر خازن الجنة أن لا يفتح لأحد قبله، قال ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝﴾ [الزمر: ٧٣]، أول من يستفتح هو نبينا محمد ﷺ، وهو أول من يدخل الجنة من الرسل، وأول من يدخلها من الأمم أمة محمد ﷺ، وإن كانوا الآخرين في الخلق، إلا أنهم السابقون يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (فأكون أول من بعث)، وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) بلفظ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ».

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَفَضَائِلُهُ ﷺ وَفَضَائِلُ أُمَّتِهِ كَثِيرَةٌ، [١] وَمِنْ حِينِ بَعَثَهُ اللَّهُ جَعَلَهُ اللَّهُ الْفَارِقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، [٢] فَلَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، [٣].

الشرح:

[١] قال رحمه الله: (وَفَضَائِلُهُ) أي: (النبي ﷺ)، التي فاز بها على غيره من الأنبياء والمرسلين، ومن سائر الخلق ﷺ (وَفَضَائِلُ أُمَّتِهِ) على سائر الأمم (كثيرة) مذكورة في القرآن والسنة.

[٢] منذ بعثه الله، أرسله إلى الناس، جعله فارقا بين أولياء الله وأولياء الشيطان، فرق الله به بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين الرشد والغي، بما أنزل الله عليه من الكتاب والسنة، وبما أعطاه الله من القدرة على البيان والإيضاح، ومما أعطاه الله من النصح والأمانة، فهو ﷺ فرق الله به بين الحق والباطل.

[٣] لا يكون وليًا لله إلا من آمن به -أي: بالرسول ﷺ- باطنا وظاهرا، فلا يكفي أنه يؤمن به في الظاهر كالمنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك من آمن به في الباطن، ولم يقر له بالرسالة، وذلك كالمشركين، واليهود، والنصارى الذين يعرفون أنه رسول الله، لكن منعهم الكبر والحسد والحمية الجاهلية من الإقرار برسالته ﷺ،

قال ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقال في اليهود والنصارى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]، فلا يكون مؤمنا بهذا الرسول ﷺ إلا من آمن به ظاهرا وباطنا.

وَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَوِلَايَتَهُ وَهُوَ لَمْ يَتْبَعْهُ فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ بَلْ مَنْ خَالَفَهُ كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. [١].

الشرح:

[١] من ادعى محبة الله وولاية الله، أنه ولي لله، وهو لا يتبع هذا الرسول ﷺ، فإنه كاذب، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، فالله ﷻ جعل علامة الصدق على محبة الله اتباع هذا الرسول ﷺ، فمن لم يتبعه، فإنه لا يحب الله، وإن ادعى ذلك، اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ادعوا هذه الدعوى، لكنهم لم يؤمنوا بهذا الرسول ﷺ، فهم أعداء الله، فمن لم يؤمن بهذا الرسول، فهو عدو لله لا يحب الله ﷻ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ادَّعَى قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ مِحْنَةً لَهُمْ(١) [١].

الشرح:

[١] من اليهود والنصارى وغيرهم؛ من الصوفية والقبورية وغيرهم يدعون محبة الله، ومحبة رسوله، لكنهم لا يطيعون الله ورسوله، فدعواهم كاذبة، قال الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنتَ تظهرُ حُبَّه ... هذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقًا لأطعْتَهُ ... إن المحبَّ لمن يُحِبُّ مطيعُ(٢)

﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فمن اتبع هذا الرسول ﷺ، فإن الله يحبه، ومن لم يتبع هذا الرسول، فإن الله يبغضه، وهو عدو لله ﷻ، وإن كان يدعي أنه ولي لله، هذه علامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ، وأما ثمراتها: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، هذه ثمرتها أن الله يغفر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٣٢)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٧٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩).

(٢) ينسب هذان البيتان لمحمود الوراق، انظر: الكامل للمبرد (٢/ ٤)، كما ينسبان للنابغة الذبياني، انظر: ديوان النابغة (١/ ٦٣)، وينسبان للإمام الشافعي، انظر: ديوان الشافعي (١/ ٦٧)، وكذلك ينسبان لعبد الله بن المبارك، انظر: ديوان ابن المبارك (١/ ١٥).

لمن أطاع هذا الرسول ﷺ، فذكر علامتها، وهو ال اتباع، وذكر ثمرتها، وهي أن الله يحبه، ويغفر له ذنوبه، ذكر شيئين من ثمراتها: نيل محبة الله، والمغفرة.

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِيهَا أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ، وَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَمْ يَتَّبِعْ الرَّسُولَ ﷺ فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، [١] وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَظُنُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ فِي غَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، [٢] فَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. [٣].

الشرح:

[١] في هذه الآية واضح.

[٢] كثير يدعون أنهم أولياء الله؛ دعوى، ويزعمون ذلك لأنفسهم أو لغيرهم ممن يقولون: هؤلاء أولياء الله، لكن عند التطبيق لأعمالهم تجدون أنهم لا يتبعون الرسول ﷺ، ولا يطيعونه، وإنما يتبعون غيره، ويطيعون غيره من قادتهم، وأئمتهم، ودعاتهم، فهؤلاء كَذَبة في دعواهم محبة الله ﷻ، وكَذَبة في دعواهم أنهم أولياء الله، خذ هذه الآية دائما معك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾، هذه هي المقياس: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾.

[٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] (أبناؤه) أي: أننا مفتقرون إليه، وفقراء إليه، ليس معناه البنوة النسبية، إنما عندهم أن الله هو الأب، وأنهم أبناؤه؛ يعني: أنهم الفقراء إليه، وأنهم عباده المخلصون ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]، لو كنتم أحبابه ما عذبكم بذنوبكم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، أنتم كغيركم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة: ١٨]. [١] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢] [٢].

الشرح:

[١] هذا الرد عليهم.

[٢] زعموا أنه لا يهتدي إلا من كان يهوديا أو نصرانيا، فمعنى هذا أن هذه الأمة ليست مهتدية، وأنها كافرة؛ لأنها ليست يهودية، ولا نصرانية، ثم قالوا - أيضا -: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١١١]، احتجزوا الجنة، حتى احتجزوها لأنفسهم، فلا يدخلها إلا من كان منهم، رد الله عليهم: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾، الدليل الذي يدل على هذه المقالة: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى؛ لأن من ادعى شيئا، فلابد أن يقيم الدليل عليه، مجرد الدعوى لا تقبل إلا بدليل، ولهذا قال: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾، فيطلب الدليل من النافي؛ كما أنه يطلب من المثبت، هم الآن قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ﴾، هذا نفي، ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ فيطلب الدليل منهم؛ كما أن من أثبت شيئا، فلابد أن يقيم الدليل عليه، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ١١١- ١١٢]؛

أي: بلى يدخل الجنة غير اليهود والنصارى ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص عبادته لله من الشرك، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متبع للرسول ﷺ، فهذه شروط قبول العمل: الإخلاص لله ﷻ، والاتباع للرسول ﷺ.

وَكَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ اللَّهِ؛ لِسُكْنَاهُمْ مَكَّةَ، وَمُجَاوَرَتِهِمْ الْبَيْتَ، [١].

الشرح:

[١] كان أهل مكة يفتخرون على غيرهم بأنهم سكان مكة، سكان الحرم، وأنهم سدنة البيت، وأنهم يخدمون البيت، ويبنونه، استكبروا به على الناس، وظنوا أن هذا يكفيهم عند الله ﷻ، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤]، فأولياء البيت هم المتقون ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٧-٢٠]، هذه الفوارق، فمجرد أنهم يخدمون البيت، أو يبنونه، أو يخدمون الحجاج، ويسقون الحجاج، هذا كله لا يكون لهم به ميزة على الناس.

وَكَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧]، [١] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، [٢].

الشرح:

[١] يعني يقولون: لو ما اتبعنا الرسول، لو ما اتبعنا محمدا، يكفينا أننا عمار البيت والقائمون على شؤونه.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾؛ أي: بالبيت.

﴿سَٰمِرًا﴾؛ يسمرون بالليل في نواديهم، ويتمدحون بذلك على الناس.

﴿تَهْجُرُونَ﴾؛ أي: يقولون القول الهجر، والقول القبيح.

﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾؛ يعني: سمركم بالليل كله بالكلام الهجر، والكلام الفاحش البذيء. هذا رد عليهم.

[٢] اجتمعوا في دار الندوة، التي يجتمع فيها خبراؤهم وأصحاب الرأي منهم: ماذا يفعلون بمحمد الذي سب آلهتهم، وسفه أحلامهم؟ وأيضا لما هاجر أصحابه إلى المدينة، خافوا أن يلحق بهم، فتتكون له قوة، فيغزوهم، ويسيطر عليهم، أرادوا منعه من الهجرة واللحاق بأصحابه، فاجتمعوا في

دار الندوة يتشاورون: ماذا يفعلون به؟ قال بعضهم: يحبس ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، والإثبات معناه الحبس، يحبس حتى يموت؛ كما مات غيره من الشعراء: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]؛ يعني: ننتظر لما يموت، يحبس ويترك في الحبس إلى الموت؛ حتى لا يهاجر ويذهب لأصحابه، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، ينهون حياتك، ويستريحون منك، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ يطردونك من مكة؛ حتى لا تفسد عليهم أمرهم، يطردونك من مكة ومن الحرم؛ حتى لا تفسد عليهم أمرهم، جاءهم الشيطان في صورة إنسان، وقال لهم: اجمعوا جماعة من الفتيان من كل قبيلة فتى قوي، وأعطوهم الرماح، فإذا خرج محمد، فإنهم يطعنونه طعنة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل؛ فلا تقدر قريش على أخذ القبائل كلها، فقالوا: هذا هو الرأي، فجاءوا بالفتيان، ومعهم السلاح، ويترصدون لخروج النبي ﷺ، فالله أخرجه من بينهم، وهم لا يشعرون، وترك عليا رضي الله عنه على فراشه ينظرون إليه، يظنون أنه الرسول، وخرج من بينهم لا يشعرون به، أخرجه الله من بينهم، وذر التراب على رؤوسهم، ثم خرج إلى أبي بكر رضي الله عنه، وخرج الاثنان إلى غار ثور، واختفيا فيه، حتى انقطع عنهم الطلب، ثم ذهبا إلى المدينة بسلام وأمان من الله تبارك وتعالى، حتى وصلوها، ولحق بأصحابه، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] مكر الله لرسوله، فأخرجه من بينهم -وهم لا يشعرون- بطريقة عجيبة، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ إلى قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥-٣٦] وقال: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤]، ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، يتحدون الله ﷻ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، إن كان هذا القرآن من عندك، يتحدون الله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، يتحدون الله ﷻ! قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ ما دام الرسول بين أظهرهم، فلن يعذبهم الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، فذكر مانعين من العذاب:

المانع الأول: وجود الرسول ﷺ بين أظهرهم، كل نبي من الأنبياء إنما يهلك قومه، إذا أخرجه الله من بينهم.

المانع الثاني: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ لأن الاستغفار يدفع العذاب، الاستغفار يدفع العذاب، ثم قال ﷻ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤]، يمنعون الحجاج والمعتمرين، ويسيطرون على الناس، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، صدوا النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ﴾، هذا محل الشاهد، ما كانوا أولياء المسجد الحرام؛ ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَهُ وَلَا أَوْلِيَاءَ بَيْتِهِ، إِنَّمَا أَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُونَ [١] وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ جِهَارًا مِنْ غَيْرِ سِرٍّ: «إِنَّ آلَ فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ - يَعْنِي: طَائِفَةً مِنْ أَقَارِبِهِ - إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»(١)، [٢].

الشرح:

[١] هذا الفاصل في القضية؛ أن مجرد دعوى الولاية لا يكفي حتى يقوم الدليل عليها، وهو التقوى، فمن ادعى الولاية، ينظر في عمله، فإن كان عمله صالحا، وكان يتقي ربه ﷻ، فهو ولي، وأما إن كان بخلاف ذلك، فهو ولي للشيطان، وليس وليًّا للرحمن، هذا فيه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾، معناه: أن هذا حصر للولاية في المتقين، معناه: أن غير المتقين ليسوا أولياء الله، وإنما هم أولياء الشيطان.

[٢] أقارب الرسول ﷺ إذا كانوا على الكفر، فليسوا أولياءه ﷺ، إن أولياؤه إلا الله وصالح المؤمنين، أولياء الرسول ﷺ هم الله ﷻ - هو وليه - وصالح المؤمنين، انظر: صالح المؤمنين، هذا هو الولي: صالح المؤمنين فدل على أن مجرد القرابة من الرسول ﷺ لا تنفع، إنما الذي ينفع هو العمل الصالح، ولو لم يكن من أقارب الرسول ﷺ، فأبو لهب عم الرسول ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

وهو في النار، أبو لهب وأبو طالب وكل من لم يؤمن بالرسول ﷺ، فهو في النار، وهم أعمامه، وبلال وسلمان وصهيب وغيرهم هؤلاء أرقاء مماليك، وصاروا سادات في الأولياء بإيمانهم بالله ﷻ واتباعهم للرسول ﷺ.

وَهَذَا مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤][١] وَ«صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» هُوَ مَنْ كَانَ صَالِحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ. وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ،

الشرح:

[١] هذا في قصة ما جرى من زوجات النبي ﷺ مع الرسول ﷺ من أنه حصل - خصوصا عائشة وحفصة رضي الله عنهما - منهن شيء من التأثير على الرسول ﷺ والمضايقة(١)، يطالبن بأشياء الرسول ﷺ لا يقدر عليها ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؛ يعني: عائشة وحفصة رضي الله عنهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: تتعاونا على الرسول ﷺ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، فهؤلاء هم أولياء الرسول ﷺ الله، وملائكته، وصالح المؤمنين هم أولياء الرسول وأحبابه وأنصاره، ومن كان هؤلاء أولياؤه، فلن يغلب.

---

(١) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ زَعَمَ عَطَاءٌ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: «لاَ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ». فَنَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾، ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا». أخرجه البخاري (٦٦٩١)، ومسلم (٢٠) (١٤٧٤).

ومحل الشاهد: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فأولياء الرسول ﷺ هم صالح المؤمنين، وليسوا الأقارب في النسب مع عدم الإيمان.

وقوله: (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ) هؤلاء هم سادة أولياء الله؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ؛ الخلفاء الأربعة، وبقية العشرة ﭫ، والصحابة ﭫ كلهم أولياء الله، لكن بعضهم أفضل من بعض.

وَسَائِرُ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعمِائَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، [١] كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١). [٢].

الشرح:

[١] يوم الحديبية لما حصل من المشركين الصد لرسول الله ﷺ والصحابة عن الوصول إلى البيت، فأرادوا التفاوض، ثم أرسل الرسول ﷺ عثمان رضي الله عنه إلى أهل مكة، فأشيع أن عثمان رضي الله عنه قد قتل في مكة، النبي ﷺ طلب أصحابه للبيعة على القتال، فبايعوه تحت الشجرة على القتال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فنالوا هذه الكرامة، وهي رضا الله عنهم، وكانوا ألفا وأربعمائة.

[٢] لقد رضي الله عنهم، وأخبر النبي ﷺ أنهم لا يدخلون النار، فهؤلاء هم أولياء الله على الحقيقة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر رضي الله عنها بلفظ مقارب.

وَمِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ الآخَرِ: «إِنَّ أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، أَيًّا كَانُوا، وَحَيْثُ كَانُوا»(١) [١] كَمَا أَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ وَلَيْسَ وَلِيًّا لِلَّهِ؛ بَلْ عَدُوٌّ لَهُ، [٢].

الشرح:

[١] يقول ﷺ: «إِنَّمَا أَوْلِيَائِيَ الْمُتَّقُونَ»(٢)، وليسوا غير المتقين، فكل تقي، فهو ولي لله ورسوله، أينما كانوا من الأرض، ولو لم يكونوا في مكة، أينما كانوا من الأرض، حيث كانوا، ومن كانوا، ولو كانوا من الموالي، أو من المماليك، أو من العرب، أو من العجم، من كانوا، المتقون هم من كانوا أولياء الرسول ﷺ.

[٢] من الكفار من يزعم أنه ولي لله؛ مثل: ما سبق من دعاوى المشركين من أهل مكة، وأنهم أهل البيت، وأنهم أهل الحرم، فيستكبرون بذلك على الناس، ويظنون أن هذا يكفي عن اتباع الرسول ﷺ، ويدعون أنهم أولياء الله؛ لأنهم أولياء بيته، فهم أولياء الله، الله ﷻ رد عليهم: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، فهذا موجود في المشركين، وكذلك وجد هذا في المنافقين، وفي اليهود والنصارى وغيرهم؛ ادعاء الولاية، وليس لها دليل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٥)، وابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٣٤)، والكبير (٥/ ٤٥) بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢) من حديث ابن عمر ﵄.

فَكَذَلِكَ مَنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ يُقِرُّونَ فِي الظَّاهِرِ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، [١] وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى جَمِيعِ الْإِنْسِ؛ بَلْ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، [٢].

الشرح:

[١] وممن يدعي الولاية ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: المنافقون الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر.

والطائفة الثانية: الصوفية؛ غلاة الصوفية الذين يزعمون أنهم وصلوا إلى الله؛ فليسوا بحاجة إلى الرسول، والرسول لم يبعث إليهم، وإنما بعث للعوام، وليسوا بحاجة إليه.

والطائفة الثالثة: اليهود والنصارى، الذين آمنوا بالرسول، لكن قالوا: رسالته للعرب خاصة، ولا يدخل فيها اليهود والنصارى، وهذا يأتي - إن شاء الله -.

[٢] يعترفون بهذا ظاهرًا، لكنهم في الباطن لا يعترفون برسالته، ويكفرون به: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [المنافقون: ١-٢]، (أيمانهم): الشهادة؛ لأن الشهادة يمين، فقولهم: نشهد إنك لرسول الله. هذا يمين، ﴿أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]؛ أي: سترة يستترون بها عن القتل؛ أن يفعل بهم ما فعل بالكفار، فهم أظهروا الإسلام سترة لهم، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ

جُنَّةً﴾ ؛ أي : سترة ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٢-٣]، فهم يزعمون الإيمان، ومعلوم أن المؤمن ولي لله، فهم يدعون الولاية لله ﷻ، وهم كذبة ؛ لأنهم في قلوبهم جاحدون ومنكرون.

وَيَعْتَقِدُونَ فِي الْبَاطِنِ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ؛ مِثْلُ: إِلَّا يُقِرُّوا فِي الْبَاطِنِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنَّمَا كَانَ مَلِكًا مُطَاعًا سَاسَ النَّاسَ بِرَأْيِهِ، مِنْ جِنْسِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ. [١] أَوْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْأُمِّيِّينَ دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، [٢].

الشرح:

[١] خضعوا له؛ لأن له سلطة، خضعوا للرسول ﷺ، وتظاهروا بالشهادة له بالرسالة؛ لأنه له سلطة، ويخافون من سطوته، فهم فعلوا هذا لأجل أن يعيشوا بأمان، لا أنهم فعلوه إيمانا من قلوبهم.

[٢] من اليهود والنصارى من يشهد أنه رسول الله، لكن رسالته إلى الأميين؛ يعني: إلى العرب فقط، ولا تشمل أهل الكتاب، هذه شهادة باطلة؛ لأنه لا تكون الشهادة للرسول بالرسالة إلا إذا كان الاعتراف برسالته إلى الناس عامة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فمن قصر رسالته على الأميين -يعني: العرب-، وأن أهل الكتاب لا يدخلون تحت دعوته، ولا يعترفون برسالته، فهو كافر بالله ﷻ.

ففي هذا رد على الذين يقولون الآن: الأديان الصحيحة ثلاثة، يجب أنها تتحاور، وأنها تتقارب، وكل يصل إلى الله، اليهود على دين، والنصارى على دين، والمسلمون على دين. هذا -والعياذ بالله- من أقبح الضلال،

وأبطل الباطل ؛ لأنهم جعلوا الكفر إيمانا ، وأنه يوصل إلى الله ، وأنه يساوي الإسلام ، أن اليهودية والنصرانية تساوي الإسلام ، فهذا تكذيب لقوله ﷻ : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ، وتكذيب لقوله ﷻ : ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

أَوْ أَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى عَامَّةِ الْخَلْقِ، وَأَنَّ لِلَّهِ أَوْلِيَاءَ خَاصَّةً لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ؛ [١] بَلْ لَهُمْ طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، كَمَا كَانَ الْخَضِرُ مَعَ مُوسَى،[٢].

الشرح:

[١] هذا قول غلاة الصوفية، يعترفون أنه رسول الله إلى الناس، لكن خواص الخلق ما يدخلون تحت رسالته، خواص الأولياء من الصوفية هؤلاء وصلوا إلى الله، وليسوا بحاجة إلى الرسل؛ لأنهم عرفوا - يسمونه: العارف- عرفوا ووصلوا، وليسوا بحاجة إلى رسول، الرسول للعوام فقط. **(وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ)**؛ لأنهم عرفوا الله، ووصلوا إلى الله؛ فليسوا بحاجة إلى الرسول يعرفهم بالله.

[٢] هناك فرق بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ: موسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل، إلى قومه خاصة، أما هذا الرسول ﷺ، فقد بعث إلى الناس عامة، الخضر عبد من عباد الله، آتاه الله علما من لدنه، ولم يدخل تحت دعوة موسى عليه السلام، هذا جائز في الأمم السابقة، أما هذا الرسول ﷺ، فلا يجوز - إلا من وجد بعد بعثته - إلا أن يتبعه ﷺ، حتى موسى عليه السلام لو وجد، وجب عليه أن يتبعه، وعيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يتبع هذا الرسول ﷺ، فهناك فرق بين رسالة موسى ورسالة نبينا محمد ﷺ، ومن الخصائص التي أوتيها رسولنا ﷺ أن الرسل قبله يرسلون إلى أممهم خاصة، وأما هو ﷺ، فبعث إلى الناس عامة، هذه لم تحصل إلا له ﷺ؛ فلا يسع أحدًا من الخلق

بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يتبعه، فالصوفية من أمة محمد أمة الدعوة، لا أمة الإجابة -يعني: الغلاة منهم-، وإلا فليس كل الصوفية خارجًا عن الإسلام بعضهم عنده شطحات، لكنه لا يخرج من الإسلام، وإنما غلاة الصوفية الذين بلغوا هذه الوقاحة، وقالوا: لسنا بحاجة إلى الرسل، نحن واصلون إلى الله، وعارفون بدونهم، إنما هم للعوام فقط.

أَوْ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنْ اللَّهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ [١] وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ [٢]، أَوْ أَنَّهُ مُرْسَلٌ بِالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَهُمْ مُوَافِقُونَ لَهُ فِيهَا، وَأَمَّا الْحَقَائِقُ الْبَاطِنَةُ فَلَمْ يُرْسَلْ بِهَا، [٣].

الشرح:

[١] يأخذون عن الله بلا واسطة، غلاة الصوفية يقولون: نحن نأخذ من الله بلا واسطة، أما المسلمون أو سائر الأمم، فيأخذون من الله بواسطة الرسل، فنحن لا نحتاج إلى واسطة؛ لأننا وصلنا إلى الله، منهم من يزعم أنه يجلس مع الله، ويتفاهم معه، ويأخذ منه، ويعطيه. انظر الضلال وأين يبلغ بالإنسان؟!

[٢] يقولون: أنتم تأخذون دينكم عن الأموات، وأما نحن نأخذ عن الحي الذي لا يموت، أنتم تأخذون دينكم عن الأموات، عن الرواة الذين رووا لكم القرآن والسنة، أما نحن، فنأخذ ديننا عن الله مباشرة، عن الحي الذي لا يموت.

[٣] عندهم فرق بين الشريعة والحقيقة: الحقيقة لا يعرفها إلا هم، أما الشريعة، فهذه جاءت لإصلاح الناس، وهي أمور ظاهرة لإصلاح الناس فقط، لكن الحقائق لا يعرفها إلا الصوفية، الرسل لا يعرفون الحقائق. عندهم فرق بين الشريعة والحقيقة.

أَوْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا [١]، أَوْ هُمْ أَعْرَفُ بِهَا مِنْهُ [٢]، أَوْ يَعْرِفُونَهَا مِثْلَ مَا يَعْرِفُهَا مِنْ غَيْرِ طَرِيقَتِهِ. [٣].

الشرح:

[١] هذا أشد، هذه طريقة أهل التجهيل، الذين يقولون: إن الرسل ما عرفوا الحقائق، وإنما حدثوا الناس بأشياء غير حقيقية؛ لأجل صالح الناس، كذبوا لأجل المصلحة؛ كما ذكر شيخ الإسلام في رسالة التدمرية طريقة أهل التجهيل وأهل التضليل(١).

[٢] أو الصوفية أعرف بالحقائق من الرسل.

[٣] يعرفون الحقائق من غير طريقة الرسول، فهم سواء؛ يعرفون الحقائق هم والرسول، لكن هم عرفوها لا عن طريق الرسول، وإنما أخذوها من الله مباشرة، إنسان يبلغ بالضلال إلى هذا الحد ماذا تكون حاله - والعياذ بالله-؟!

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٧، ٥/ ٣١).

وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ: [١] إِنَّ أَهْلَ الصُّفَّةِ كَانُوا مُسْتَغْنِينَ عَنْهُ ﷺ، [٢] وَلَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ. [٣] وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فِي الْبَاطِنِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَصَارَ أَهْلُ الصُّفَّةِ بِمَنْزِلَتِهِ. [٤] وَهَؤُلَاءِ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بِمَكَّةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، **وَأَنَّ الصُّفَّةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ. [٥].**

الشرح:

[١] بعض غلاة الصوفية يقولون: أهل الصُّفَّةِ منا، وسيبين الشيخ من هم أهل الصُّفَّةِ، حتى إن بعضهم يقول: إن الصوفية مأخوذة من الصُّفَّةِ.

[٢] لأنهم عرفوا الله، فليسوا بحاجة للرسول، وهم يروون أنه لما جاء إليهم الرسول مرة، قالوا: اذهب إلى من أرسلت إليهم.

[٣] لأنهم لا يحتاجون، عارفون وواصلون إلى الله.

[٤] بمنزلة الرسول ﷺ؛ لأن الله يوحي إليهم؛ كما يوحي إلى الرسول ﷺ.

[٥] الصُّفَّة بالمدينة بعد الهجرة، وهم يقولون: إن هذا كان في مكة ليلة الإسراء، وليلة الإسراء في مكة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، لم يقل: من المدينة قبل الهجرة، والصُّفَّةُ حقيقتها أنها دار في المسجد، جعلها النبي ﷺ لفقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى في

المدينة، يجتمعون فيها، ويبيتون فيها، ويتعبدون، ويطلبون العلم، ويطعمون من الصدقات، يؤتى إليهم بالصدقات، والنبي ﷺ يعطيهم مما يصل إليه، هؤلاء هم أهل الصفة، فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى، أو الذين جاؤوا من القبائل لأجل طلب العلم.

وَكَانَتْ صُفَّةٌ فِي شَمَالِيِّ مَسْجِدِهِ ﷺ يَنْزِلُ بِهَا الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ أَهْلٌ وَأَصْحَابٌ يَنْزِلُونَ عِنْدَهُمْ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُهَاجِرُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ فَمَنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَكَانٍ نَزَلَ بِهِ، وَمَنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ نَزَلَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى أَنْ يَتَيَسَّرَ لَهُ مَكَانٌ يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ. [١] وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ الصُّفَّةِ نَاسًا بِأَعْيَانِهِمْ يُلَازِمُونَ الصُّفَّةَ، بَلْ كَانُوا يَقِلُّونَ تَارَةً، وَيَكْثُرُونَ أُخْرَى، وَيُقِيمُ الرَّجُلُ بِهَا زَمَانًا ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهَا، [٢] وَالَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِهَا مِنْ جِنْسِ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَزِيَّةٌ فِي عِلْمٍ وَلَا دِينٍ؛ [٣] بَلْ فِيهِمْ مَنْ ارْتَدَّ عَنْ الْإِسْلَامِ وَقَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، كَالْعُرَنِيِّينَ الَّذِينَ اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ(١) -أَيْ: اسْتَوْخَمُوهَا- فَأَمَرَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ.

الشرح:

[١] حجرة، (صفة) يعني: حجرة.

[٢] بل كان يذهب ناس، ويأتي ناس، وليست خاصة بناس معينين، مسكن للوافد والقادمين المدينة.

(٣) الذين ينزلون في الصفة هم فقراء المهاجرين، ليس لهم مزية على غيرهم من غير أهل الصفة من الصحابة، كلهم سواء في العلم والإيمان.

---

(١) قوله: اجتووا المدينة: أي أصابهم الجوى وهو المرض إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٤٤).

- أَيْ: إِبِلٍ لَهَا لَبَنٌ -، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا،[١] فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلَبِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَسُمِّرَتْ أَعْيُنُهُمْ(١)، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ(٢) يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ. وَحَدِيثُهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ(٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَفِيهِ: أَنَّهُمْ نَزَلُوا الصُّفَّةَ. [٢].

الشرح:

[١] مثل: قصة العرنيين، هم من أهل الصفة.

[٢] لأن أبوال الإبل وألبان الإبل فيها علاج للحمى بإذن الله، لما فعلوا

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قوله: وسُمِّرت أعينهم بتشديد الميم، وفي رواية أبي رجاء وسمر بتخفيف الميم، ولم تختلف روايات البخاري في أنه بالراء، ووقع لمسلم من رواية عبدالعزيز وسَمَل بالتخفيف واللام، قال الخطابي: السمل فقء العين بأي شيء كان، قال أبو ذؤيب الهذلي:

والعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهي عور تدمع

قال: والسمر لغة في السمل، ومخرجهما متقارب، قال: وقد يكون من المسمار يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت، قلت: قد وقع التصريح بالمراد عند المصنف من رواية وهيب عن أيوب، ومن رواية الأوزاعي عن يحيى كلاهما عن أبي قلابة ولفظه: «ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها»، فهذا يوضح ما تقدم، ولا يخالف ذلك رواية السمل؛ لأنه فقء العين بأي شيء كان كما مضى). انظر: فتح الباري (١/ ٣٤٠).

(٢) (الحرة) هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة، وإنما ألقوا فيها لأنها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا. انظر: فتح الباري (١/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠٤)، ومسلم (١٦٧١).

بالراعي هذا الفعل، قتلوه، وسمروا أعينه، فالنبي ﷺ أجرى عليهم القصاص، فعل بهم مثل ما فعلوا بالراعي، هم قطعوا أطراف الراعي؛ أي: قطعوا يديه ورجليه، وسمروا عينيه، وقتلوه، النبي ﷺ أجرى عليهم القصاص، وفعل بهم مثل ما فعلوا بالراعي.

فَكَانَ يَنْزِلُهَا مِثْلُ هَؤُلَاءِ، وَنَزَلَهَا مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ نَزَلَ بِالصُّفَّةِ ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا، وَنَزَلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُ [١]، وَقَدْ جَمَعَ أَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ تَارِيخَ مَنْ نَزَلَ الصُّفَّةَ(١) [٢] وَأَمَّا «الْأَنْصَارُ» فَلَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، [٣].

الشرح:

[١] ينزل بها من أفضل الصحابة كسعد بن أبي وقاص ﵁، وأبي هريرة وغيره من فضلاء الصحابة، إلى أن يستغني عنها، ثم ينتقل منها.

[٢] وعبد الرحمن السلمي من العباد ومن المتصوفة، فجمع تاريخ من نزل الصفة بتراجمهم وأسمائهم، وكونه في كتاب.

[٣] الأنصار هم أهل الدار من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، هم أهل الدار، لهم بيوت، ولهم مزارع، فليسوا بحاجة إلى الصفة، الصفة إنما هي للحاجة فقط، لا من أجل ميزة في الولاية - كما يزعم هؤلاء -، فقد يكون الذي لم ينزل الصفة أفضل من الذي نزل بها، ليس لها فضيلة ولا ميزة أبدا.

---

(١) كتاب تاريخ أهل الصفوة لأبي عبد الرحمن السلمي ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٢٨٦).

وَكَذَلِكَ أَكَابِرُ الْمُهَاجِرِينَ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَغَيْرِهِمْ، [١] لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ. [٢] وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ بِهَا غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «هَذَا وَاحِدٌ مِنْ السَّبْعَةِ»، وَهَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، [٣].

الشرح:

[١] كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير ﷺ، ما نزلوا الصفة.

[٢] فليس من نزل الصفة يكون له مزية، إنما نزلها بقدر الحاجة فقط، لا لأن له مزية على غيره من الصحابة، فقد يكون من الصحابة من لم ينزلها أفضل؛ مثل: سادات المهاجرين كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وكذلك الأنصار كلهم ما نزل أحد منهم في الصفة، وهم من أفضل الصحابة بعد المهاجرين.

[٣] بالصفة يعني: السبعة الأقطاب عند الصوفية، (هذا واحد من السبعة) يعني: الأقطاب؛ لأن الصوفية عندهم أقطاب، وأوتاد، وما أدري ماذا؟ ترهات، وهذا الحديث كذب، ما قال الرسول ﷺ: من السبعة. وليس هناك سبعة.

وَإِنْ كَانَ قَدْ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ(١)، وَكَذَا كُلُّ حَدِيثٍ يُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي عِدَّةِ «الْأَوْلِيَاءِ»، وَ«الْأَبْدَالِ»(٢)، وَ«النُّقَبَاءِ»(٣)، [١].

الشرح:

[١] أبو نعيم رحمه الله له كتاب اسمه حلية الأولياء، فيه تراجم الأولياء، وقد يكون فيه شيء من المآخذ، مثل ما ذكر هذه الرواية، وهي باطلة، وليست صحيحة.

---

(١) جاء في حلية الأولياء (٢/ ٢٤)، وذكر هلالًا مولى المغيرة، ثم ساق الحديث بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن من هذا الباب رجل ينظر الله إليه»، قال: فدخل - يعني: هلالًا - فقال له: «صل علي يا هلال»، فقال: ما أحبك على الله وما أكرمك عليه.

(٢) الأبدال: جمع بدل وهم طائفة من الأولياء، قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بلد إقليم فيه ولايته. انظر: لسان العرب (١١/ ٤٩)، والتعريفات للجرجاني (ص٦٢)، والتعاريف للمناوي (ص٢٩).

(٣) النقباء جمع نقيب وهو كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٠٠)، وعند الصوفية، النقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثة أقسام: نفوس علوية وهي الحقائق الأمرية، ونفوس سفلية وهي الخلقية، ونفوس وسطية وهي الحقائق الإنسانية، وللحق تعالى في كل نفس منها أمانة منطوية على أسرار إلهية وكونية، وهم ثلاثمائة. انظر: التعريفات للجرجاني ص (٣١٤).

وَ«النُّجَبَاءِ»(١)، وَ«الْأَوْتَادِ»(٢)، وَ«الْأَقْطَابِ»(٣)، مِثْلُ أَرْبَعَةٍ، أَوْ سَبْعَةٍ، أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ، أَوْ أَرْبَعِينَ، أَوْ سَبْعِينَ، أَوْ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، أَوْ الْقُطْبَ الْوَاحِدَ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ صَحِيحٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَنْطِقْ السَّلَفُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ إلَّا بِلَفْظِ «الْأَبْدَالِ» [١].

الشرح:

[١] هذه من اصطلاحات الصوفية، إلا (الأبدال) قد جاء فيهم حديث قوي، ولكن (الأبدال) معناه الذي كلما ذهب واحد يأتي بدله واحد، كلما مات واحد منهم، يأتي بدله واحد، الله أعلم بصحة هذا، لكنه أحسن ما روي في هذا الباب، لكن قال: إن الأبدال بالشام، وهذا سيناقشه الشيخ.

(١) النجباء جمع نجيب، وهو الكريم الخير المبارك صحيح الرأي. وعند الصوفية: النجباء هم الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهي من حيث الجملة كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله؛ وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة، والرحمة الفطرية، فلا يتصرفون إلا في حق الغير. انظر: التعريفات للجرجاني (ص٣٠٨).

(٢) الأوتاد جمع وتد، وهو عصا من خشب ترزُّ في الأرض أو الجدار يربط فيها الأشياء. انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤٤)، وعند الصوفية، الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم: شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، يحفظ الله بهم تلك الجهات. انظر: التعريفات للجرجاني (ص٥٨).

(٣) القطب في اللغة: القائم الذي تدور عليه الرحى. انظر: لسان العرب (١/ ٦٨٢). وعند الصوفية القطب وقد يسمى غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق... انظر: التعريفات (ص٢٢٧).

وَرُوِيَ فِيهِمْ حَدِيثُ أَنَّهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، وَأَنَّهُمْ بِالشَّامِ، وَهُوَ فِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي الله عنه(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْقَطِعٌ(٢) لَيْسَ بِثَابِتٍ. [١] وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا أَفْضَلَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِالشَّامِ، فَلَا يَكُونُ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ دُونَ عَسْكَرِ عَلِيٍّ. [٢].

الشرح:

[١] كل حديث يروى عن النبي ﷺ في الأقطاب، والأبدال، والأوتاد، فإنه مكذوب، ما عدا الأبدال؛ ففيه نظر، فيه قوة.

منقطع الإسناد يعني: فيه سقط.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٢) من حديث علي رضي الله عنه قال: «إني سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ الله مَكَانَهُ رَجُلًا، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ على الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عن أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ». وسبب انقطاعه أن في إسناده شريحًا بن عبيد الراوي عن علي رضي الله عنه ولم يدركه. وانظر المنار المنيف لابن القيم (ص١٣٦).

(٢) قال النووي في التقريب والتيسير (١/ ٣٥): «الصحيح الذي ذهب إليه الفقهاء والخطيب ابن عبد البر وغيرهما من المحدثين: أن المنقطع ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي، كمالك عن ابن عمر، وقيل: وما اختل فيه لرجل قبل التابعي محذوفًا كان أو مبهمًا، وقيل: هو ما روي عن تابعي أو من دونه قولاً له أو فعلاً، وهذا غريب ضعيف». وانظر في معنى المنقطع: مقدمة ابن الصلاح (١/ ٥٦، ١٣٢- ١٣٥).

[٢] لأنه قال: الأبدال بالشام، فمعنى هذا أن أهل الشام هم أفضل من عليٍّ وأصحابه، مع أن عليًّا أفضل، وهو رابع الخلفاء الراشدين، ومن السابقين الأولين من المهاجرين، ومن أقارب النبي ﷺ، فهو أفضل، ومن معه من الصحابة أفضل من الذين في الشام، فهذا يدل على أن هذا الحديث فيه نظر في كونهم بالشام.

وَقَدْ أَخْرَجَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ مِنْ الدِّينِ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(١) وَهَؤُلَاءِ الْمَارِقُونَ هُمْ الْخَوَارِجُ الْحَرُورِيَّةُ الَّذِينَ مَرَقُوا لَمَّا حَصَلَتْ الْفُرْقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ، فَقَتَلَهُمْ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ. فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَلَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْأَبْدَالُ فِي أَدْنَى الْعَسْكَرَيْنِ دُونَ أَعْلَاهُمَا؟ [١].

الشرح:

[١] أخبر النبي ﷺ عن ظهور الخوارج، وزمن خروجهم؛ أنهم لما رجعوا من صفين، كانوا يقاتلون مع علي رضي الله عنه، فلما انتهت المعركة، وقبل علي التحكيم، قالوا له: أنت حكمت الرجال، وكفروه، والله ﷻ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وأنت حكمت الرجال، فكفروا عليا رضي الله عنه ومن معه، وخرجوا عليه، وكانوا اثني عشر ألفا، نزلوا بحروراء من أرض العراق؛ ولذلك يقال لهم: الحرورية، قاتلهم علي رضي الله عنه في النهروان، ونصره الله عليهم، وقد قال النبي ﷺ: «**يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»، فهذه شهادة لعلي رضي الله عنه أنه أقرب للحق من أهل الشام؛ لأنه هو الذي قتل الخوارج.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

وكيف يكون الأبدال بالشام؟ يعني: يكونون مع معاوية رضي الله عنه، ولا يكونون مع علي، مع أن جيش عليٍّ أفضل من جيش معاوية رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ بَعْضُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَنْشَدَ مُنْشِدَ:

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَبِدِي ... فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي

إِلَّا الْحَبِيبُ الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ ... فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وَتِرْيَاقِي

وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَاجَدَ حَتَّى سَقَطَتِ الْبُرْدَةُ عَنْ مَنْكِبِهِ. [١].

فَإِنَّهُ كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ(١) [٢].

الشرح:

[١] هذه القصة العجيبة بعض الصوفية يروي هذا عن الرسول ﷺ: أنه تواجد لما سمع هذه الأبيات.

(تَوَاجَدَ): الوجد هذه من اصطلاحات الصوفية؛ بحيث إنه يطرب عند سماع المقطعات والأناشيد، ثم يزيد عليه الطرب والإعجاب، حتى يغيب عن الدنيا، ويسقط على الأرض، يزعمون أن الرسول ﷺ سمع هذه الأبيات، وهي أبيات عشق وغرام وغزل، كيف يستمع لها الرسول ﷺ؟! وأشد من هذا كيف أن الرسول يتواجد عندها تَوَاجُدَ الصوفية؟! انظر: إنهم يكذبون على الرسول ﷺ، ولا يحترمونه، لا يحترمون الرسول ﷺ، ينسبون إليه السفاهة ﷺ.

---

(١) قال الذهبي في لسان الميزان (٤/ ٢٧٠): (وضعه عمار بن إسحاق)، ثم ذكر طرقه ورواته.

[٢] هذه القصة كذب، باتفاق أهل العلم بالحديث، ولا تليق بالرسول ﷺ أنه يتواجد، ويسمع أبيات العشق والغرام والغزل، نزهه الله عن ذلك.

وَأَكْذَبُ مِنْهُ مَا يَرْوِيه بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ مَزَّقَ ثَوْبَهُ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَ قِطْعَةً مِنْهُ فَعَلَّقَهَا عَلَى الْعَرْشِ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَعْرِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَظْهَرْ الْأَحَادِيثِ كَذِبًا عَلَيْهِ ﷺ. [١].

وَكَذَلِكَ مَا يَرْوُونَهُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَتَحَدَّثَانِ، [٢] وَكُنْت بَيْنَهُمَا كَالزِّنْجِيِّ(١) [٣]،

الشرح:

[١] لما تواجد، مزق ثوبه، وقطع ثوبه، وجبريل أخذ منه قطعة، وعلقها بالعرش، انظر: الكذب والوقاحة كيف تبلغ بهم، ويزعمون أنهم أولياء الله.

[٢] وعند الصوفية من الوقاحات، والعجائب، والكذب، والمضحكات أشد من هذا، وهذه سنة الله أن من ترك الحق، ابتلي بالباطل.

[٣] يعني: لا يفهم كلامهم، يتحدثون بكلام لا يعرفه عمر رضي الله عنه، هذا ممكن هذا؟! يرطنون رطانة لا يعرفها عمر رضي الله عنه.

---

(١) ذكره ابن القيم في المنار المنيف (ص١١٥) فصل (الموضوعات في فضائل الصديق).
وقال: إنه مما وضعه جهلة المنتسبين إلى السنة في فضائل الصديق رضي الله عنه.

وَهُوَ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ. [١].

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ فِيمَنْ يُقِرُّ بِرِسَالَتِهِ الْعَامَّةِ فِي الظَّاهِرِ مَنْ يَعْتَقِدُ فِي الْبَاطِنِ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مُنَافِقًا، [٢] وَهُوَ يَدَّعِي فِي نَفْسِهِ وَأَمْثَالِهِ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، مَعَ كُفْرِهِمْ فِي الْبَاطِنِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، [٣] إِمَّا عِنَادًا، وَإِمَّا جَهْلًا، [٤].

الشرح:

[١] قصد الشيخ من إيراد مثل هذه المضحكات أن يبين مخازيهم، ويكشف عوارهم؛ لأنهم يزعمون أنهم أولياء الله، وعندهم مثل هذه الترهات والأباطيل.

[٢] هذا هو المقصود مثل ما بدأ أن هناك من يتظاهر بتصديق الرسول في الظاهر، لكنه يكذبه في الباطن، ومنهم الصوفية والمنافقون.

[٣] وهم منافقون في الدرك الأسفل من النار، ويدعون أنهم أولياء الله، لماذا هم منافقون؟ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويعترفون في الظاهر للرسول بالرسالة، وفي الباطن يكذبونه.

[٤] إما عنادًا مع المعرفة، وإما جهلا بما جاء به الرسول ﷺ، وهم يدعون العلم، ويدعون المعرفة، ويسمون العارف بالله، وما أشبه ذلك، وأنهم وصلوا إلى الله، كيف يصلون إلى الله، وهم على هذا المستوى الهابط من الجهل والحماقة؟!

ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يبين الفوارق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر أن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، آمنوا ظاهرا وباطنا، فلا يكفي الإيمان في الظاهر دون الباطن؛ كإيمان المنافقين، الذين يشهدون أنه رسول الله، لكنهم كاذبون، ويكذبونه في قلوبهم، وهؤلاء في الدرك الأسفل من النار، كيف يقال: إنهم أولياء الله؟! وكذلك ضلال المتصوفة الذين يتظاهرون بالشهادة أنه رسول الله، لكنهم في الباطن يعتقدون خلاف ذلك، يعتقدون أن الأولياء لا يحتاجون إلى الرسول ﷺ، وإنما يأخذون عن الله مباشرة، إنما الذي يحتاج إلى الرسول ﷺ هم العوام الذين لم يصلوا إلى الله، وأما خواص الصوفية، فإنهم وصلوا إلى الله؛ فليسوا بحاجة إلى الرسل، فهؤلاء هل يقال: إنهم من أولياء الله، وهم يكفرون في الباطن، ويتظاهرون بالإيمان الظاهر؟! نعم هم يقولون: إنهم من أولياء الله، لكن أهل الإيمان وأهل العقيدة الصحيحة يعتقدون أنهم من أولياء الشيطان؛ لأنهم لم ينقادوا للرسول ﷺ ظاهرا وباطنا، فهم من أولياء الشيطان.

وكذلك فريق ثالث من النصارى: فمن النصارى من يشهد أن محمدا رسول الله، لكن يقول: رسالته خاصة بالعرب، وليست عامة للناس جميعا، فمثل هذا لا يؤمن بالرسول ﷺ؛ لأنه قصر رسالته على بعض جوانبها، اعترف بجانب، وجحد جانبا أعظم، وهو عموم الرسالة، فهؤلاء لا يقال: إنهم من أولياء الله، وإن كانوا يشهدون أنه رسول الله، ويعترفون، لكن يجحدون عموم الرسالة.

صنف رابع: يعترفون أنه رسول الله، وأن رسالته عامة إلى جميع الثقلين،

لكن يقولون: ليس خاتم الرسل، يأتي بعده أنبياء، فلا يؤمنون بختم الرسالة، الله ﷻ قال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والنبي ﷺ قال: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي»[(١)]، فالذي يعتقد أنه يأتي بعد الرسول نبي، هذا كافر؛ لأنه لا يؤمن بختم الرسالة لمحمد ﷺ، وكل هؤلاء ليسوا من أولياء الله، وإن كانوا يتظاهرون بأنهم من أولياء الله، أو يدعى لهم أنهم أولياء الله؛ لأنهم لا يدخلون في قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله على الحقيقة، لا بالادعاء.

فقوله: (مَعَ كُفْرِهِمْ فِي الْبَاطِنِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ) من المنافقين، ومن غلاة الصوفية، وغيرهم.

وقوله: (إِمَّا عِنَادًا، وَإِمَّا جَهْلًا)؛ إما عنادا مع العلم إذا كانوا يعلمون، أو جهلا، وهذا الجهل لا يعذرون به، لا يعذرون بهذا الجهل؛ لأنه بالإمكان زواله بالعلم، فهم لا يرون العلم أصلا، ويحتقرون الذين يجلسون لطلب العلم، ويقولون: لسنا بحاجة إلى العلم. وهذه ظاهرة في الصوفية من قديم، ذكرها ابن الجوزي في تلبيس إبليس، وهي واقعة الآن، هناك صوفية يزهدون في طلب العلم، ويقولون: اشتغل بالعبادة، طلب العلم يعوقك عن العبادة، اشتغل بالعبادة، ولست بحاجة إلى طلب العلم، ويأتيك العلم تلقائيا، هو نفسه في الصوفية، العلم إذا اشتغلت بالعبادة، يأتيك تلقائيا من

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

عند الله، فلا حاجة إنك تجلس تطلب العلم في المدارس أو في حلق الذكر، بل اشتغل بالعبادة، ويؤتيك الله العلم، وهذه صفة هؤلاء المتعبدة الذين يزعمون أن الاشتغال بالعبادة أفضل من طلب العلم، في حين أن طلب العلم أفضل من التفرغ للعبادة؛ مسألة تفقهها وتعرفها أحسن من قيام ليلة من النوافل، طلب العلم لا يعادله شيء، هو أفضل العبادات، أما عبادة بدون علم، فهي ضلال، وهي طريقة النصارى، فينبغي التنبه لمثل هؤلاء، ما نقول: هؤلاء انقرضوا، وراحوا. لا، موجودون الآن.

كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ [١] وَلَكِنْ يَقُولُونَ: إِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُ. [٢].

الشرح:

[١] الله ذكر ذلك عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ادعوا لأنفسهم هذا، وهم يقولون: الله ثالث ثلاثة، أو يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم، ولهذا قال بعدها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، فهم يقولون: نحن أولياء الله، وهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، واليهود يقولون: إن الله فقير ونحن أغنياء، يد الله مغلولة. يعبدون العجل، ويقولون: نحن أولياء الله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

[٢] أرسل إلى العرب فقط، إلى الأميين، وهذا كفر صريح؛ لأن رسالة النبي ﷺ عامة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال في اليهود والنصارى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ يعني: محمدا ﷺ، ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، من هو الرسول؟ ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ من هو النبي الأمي؟ محمد ﷺ، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وبشر به عيسى عليه السلام، قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾، من الذي جاء بعد عيسى عليه السلام؟ هو محمد ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، هذا اسم الرسول ﷺ، اسمه أحمد ومحمد، وله أسماء غير هذين الاسمين أيضا ﷺ، فهم لا يؤمنون بعموم الرسالة، وفي من ينتسب إلى الإسلام من يصدقهم على هذا ويوافقهم، ويقول: هم على دين، ونحن على دين، ونحن إخوان، والكل يصل إلى الله. هذا كفر - والعياذ بالله -، هذا جحود لرسالة محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، الرسول ﷺ دعا الناس جميعا، دعا العرب، ودعا اليهود والنصارى، وكتب إلى الملوك والرؤساء، كتب إلى كسرى وقيصر يدعوهم إلى الله، كيف يكتب لهم، وهو ليس رسولًا إليهم؟! فينبغي التفطن لهذه الأفكار الخبيثة، التي يروجها اليهود والنصارى وقد يتقبلها بعض المنتسبين إلى الإسلام، إما عن عمد، وإما عن جهل.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لِأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رُسُلًا قَبْلَهُ. فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ [١].

الشرح:

[١] الرسل الذين قبله أحالوا عليه، فهذا موسى عليه السلام في التوراة التي معه: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهذا عيسى بشر به: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فهو مرسل إليهم، وهو كتب إلى ملوكهم ورؤسائهم، وقال لمعاذ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**»(١)، وهم أهل كتاب، كيف يدعوهم إلى الشهادتين، وهم أهل كتاب مؤمنون؛ كما يزعم هؤلاء؟! لو كانوا مؤمنين، ما دعاهم إلى الشهادتين، فهذا من أبطل الباطل، وأعظم الضلال والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مَعَ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي طَائِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، [١].

الشرح:

[١] هؤلاء أولياء الشيطان، لما لم يستجيبوا له، قال الله ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾، والسياق في اليهود والنصارى؛ في أهل الكتاب، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٨-٤٩]، هذا خطاب لليهود والنصارى، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٤٩-٥٠]، ليسوا أتباعا لموسى ولا لعيسى عليهما السلام؛ لأنهم لو كانوا أتباعا لموسى وعيسى عليهما السلام، لآمنوا بمحمد ﷺ، فليسوا أتباعا لموسى عليه السلام، ولا لعيسى عليه السلام، وإنما هم كفار خارجون عن شريعة موسى عليه السلام، وشريعة عيسى عليه السلام: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ﴾، لم يقل: يتبعون الشرائع السابقة؛ لأنها نسخت، وإنما يتبعون أهواءهم، هي نسخت أيضا، وأحالت على اتباع الرسول ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم

مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٣]، هذا واضح جدا، وليست الغرابة في أن اليهود والنصارى يقولون هذا، يقولون أعظم من هذا، لكن الغرابة أن في من يدعي الإسلام من يصدق هذا، ويقول: هم على دين، وليسوا كفارا، يقول: اليهود والنصارى ليسوا كفارا، كيف ليسوا كفارا، وهم يكفرون بمحمد ﷺ؟! يقول: لا، ليسوا كفارًا. الذي يقول هذه المقالة يكون كافرا مثلهم؛ لأن من لا يكفر الكافر، فهو كافر مثله، هذا من نواقض الإسلام.

وَإِنَّمَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِوِلَايَتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. **[١] وَلَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُؤْمِنُ بِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، وَكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، [٢].**

الشرح:

[١] ولي اللهِ اللهُ حدده: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]؛ آمنوا ظاهرا وباطنا، وكانوا يتقون الله ﷻ، هؤلاء هم الأولياء، المؤمنون الأتقياء هم أولياء الله، ومن ليس كذلك، فليس وليًّا لله، وإنما هو ولي للشيطان.

[٢] وهؤلاء لم يؤمنوا بالرسل، ولم يؤمنوا بالكتب؛ لأنهم كفروا بالقرآن، وكفروا بمحمد ﷺ، ومن كفر بكتاب واحد، فهو كافر بجميع الكتب، ومن كفر بنبي واحد، فهو كافر بجميع الأنبياء، الأنبياء كلهم رسل الله، لابد من الإيمان بهم جميعا من أولهم إلى آخرهم، اليهود كفروا بنبيين؛ كفروا بعيسى وبمحمد، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ، فكيف يقال: إنهم مؤمنون، ومسلمون؟! الله ﷻ قال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ

وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤]، هؤلاء فرقوا، كفروا بأعظم الأنبياء وسيد الأنبياء، وهو محمد ﷺ، فكيف يقال: إنهم مسلمون مؤمنون؟! بعضهم يقول: إخواننا. والعياذ بالله من هذه الكلمة!

لابد من هذا؛ أن يؤمن بكل كتاب أنزله الله، فإن كفر بكتاب واحد، بل لو كفر ببعض الكتاب، صار كافرا بالجميع، وكذلك لابد أن يؤمن بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، كيف بمن يكفر بأفضل الرسل -وهو محمد ﷺ- يقال: إنه مسلم، إنه مؤمن؟!

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧]، [١].

الشرح:

[١] ﴿ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾، إذا لم يؤمنوا بمثل ما آمنتم به، فهم كفار؛ لأنهم قالوا للمسلمين: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٣٦]، إلى قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، هم مشاقون لله ﷻ ولرسله، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لا أعلم كيف هؤلاء لا يقرؤون القرآن؟! الذين يقولون: إن اليهود والنصارى مسلمون مؤمنون، وإنهم إخواننا. هل يقرؤون القرآن؟!

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]. وَقَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥]. [١].

الشرح:

[١] في سورة البقرة تكرر هذا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي آخرها قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، بل في أول السورة قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾،

فلا يكفي أن تقول: آمنت بمحمد فقط، ولا أؤمن بالذي قبله. أو تقول: آمنت بالذي قبل محمد، ولا أؤمن بمحمد. لا، لابد أن تؤمن بذلك كله.

ذكر الله ﷻ في أول البقرة أن الناس انقسموا مع القرآن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من آمن به ظاهرا وباطنا، وهم المؤمنون من هذه الأمة، ومن غيرها من أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن، واتبعوه.

القسم الثاني: من كفر بالقرآن ظاهرا وباطنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦].

القسم الثالث: الذين آمنوا بالقرآن ظاهرا، وكفروا به باطنا، وهم المنافقون: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٨ - ٩]، ذكر الأصناف الثلاثة في أول السورة.

فَلَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ أَنْ تُؤْمِنَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، [١] وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ؛ [٢].

الشرح:

[١] تؤمن بعموم رسالته، وتؤمن أيضا بأنه خاتم النبيين، لا نبي بعده، لابد من هذا.

[٢] من لم يؤمن بهذا الرسول ﷺ وبما جاء به، فليس بمؤمن؛ يعني: كافر، فكيف يكون وليًا لله، وهو كافر؟! هذا لا يكون أبدا، الكفار ليسوا أولياء الله، إنما هم أولياء الشيطان، فيجب أن يتنبه لهذا الأمر. القرآن واضح وصريح في هذه الأمور، التي التبست على كثير من الناس اليوم، خصوصا من يدعي أنه مثقف، وأنه صحفي، وأنه...، وأنه...، التبس عليهم هذا الأمر، فصاروا ينعقون بما لا يعرفون، يريدون التقارب مع اليهود والنصارى، يريدون إرضاء اليهود والنصارى، والله ﷻ قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، يريدون إرضاءهم ومجاملتهم، لكن هم لن يرضوا أبدا، حتى نتخلى عن ديننا، ونتبعهم.

وَمَنْ آمَنَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ كَافِرٌ، لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ [١] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]. [٢].

الشرح:

[١] كذلك لابد من الإيمان بجميع الكتب؛ فلا يؤمن ببعضها، ويكفر ببعضها، ولابد من الإيمان بجميع الكتاب؛ فلا يؤمن ببعض الكتاب، ويترك بعضه، يؤمن بما يوافق هواه، ويكفر بما خالف هواه ورغبته: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، فلابد من الإيمان بجميع الكتاب: ما وافق رغبتك وهواك، وما خالف رغبتك وهواك؛ لأنه وإن خالف رغبتك وهواك، فهو خير لك: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

[٢] قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾، وهم يقولون: نؤمن ببعض الكتاب، ونكفر ببعض، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، كيف يفرقون بين الله ورسله؟!

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾، هذا التفريق بين الله ورسله. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ طريقا يمشون عليه، ومذهبا يذهبون إليه، قال الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فالذين يكفرون بمحمد ﷺ هم الكافرون حقا، وهناك من يقول: إنهم مؤمنون!

ولم يفرقوا بين أحد منهم، بل آمنوا بهم جميعا؛ لأنهم رسل الله، طريقتهم واحدة، وكل واحد مصدق لما قبله، ومبشر لما بعده، فهم سلسلة واحدة، ما يجوز التمييز بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم.

وَمِنْ الْإِيمَانِ بِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ [١].

الشرح:

[١] الرسول ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه في أي شيء؟ في قضاء الحاجات وتفريج الكربات؟ لا. في تبليغ الرسالة، واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الرسالة، وأما إنه واسطة في قضاء الحوائج، فهذا كفر، ولهذا قال شيخ الإسلام - وله رسالة في هذا اسمها الواسطة بين الحق والخلق-: «هناك واسطة من أنكرها كفر، وواسطة من أثبتها كفر»[١]، ما هي؟ الواسطة التي من أنكرها كفر هي الواسطة في تبليغ الرسالة، الرسل هم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الرسالة؛ فلا أحد يصل إلى الله من غير طريقهم، فمن أنكرها، كفر. قد أنكرها غلاة الصوفية، وقالوا: لا حاجة إلى الرسل يبلغون لنا، نحن نأخذ عن الله مباشرة، بعضهم يقول: أنا أجلس مع الله، ويتحدث معي - نسأل الله العافية -، أما الواسطة التي تتخذ لأجل قضاء الحوائج وتفريج الكربات، فهذه من أثبتها، كفر، ليس بين الله وبين خلقه واسطة في قضاء حوائجهم، وإجابة دعواتهم، وإغاثة لهفاتهم. فلم يأتنا هذا الدين العظيم إلا من طريق هذا الرسول ﷺ، وقبله كان الناس في ضلال مبين، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]،

(١) انظر: الواسطة بين الحق والخلق (ص١٦- ٢٠).

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، في الجاهلية كانوا في ضلال مبين، فلما بعث هذا الرسول ﷺ، جاء الهدى وجاء النور، والعلم النافع، وانتفع به من آمن به، خرج من الظلمات إلى النور.

فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، [١].

الشرح:

[١] الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، وليس لأحد أن يحل شيئا أو يحرم شيئا من عنده، قال ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه لما سمع هذه الآية -وكان نصرانيا قبل أن يسلم-، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قَالَ: «**أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ**»(١)، طاعتهم في التحليل والتحريم من دون الله ﷻ، والله ﷻ قال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، هذا في أي شيء؟ في الميتة؛ لأن أهل الجاهلية يستحلون الميتة، ويقولون: هي أحسن من المذكاة؛ لأن الميتة الله الذي ذكاها، أما المذكاة أنتم الذين ذكيتموها؛ فهي أحسن، قال الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، فمن أطاع أحدا في تحليل ما حرم الله، فهو مشرك؛ لأنه جعل لله شريكا في التحليل والتحريم، وهذا من حق الله، فالذين يقولون الآن: ما دام المسألة فيها خلاف بين العلماء، نحن نأخذ ما أردنا، وما يوافق رغبتنا من أقوال

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

العلماء، وهذا فيه سعة. هذا ضلال - والعياذ بالله -، هذا ضلال، ما نأخذ من أقوال العلماء إلا ما وافق الدليل، ما وافق الدليل، أخذنا به، وما خالف الدليل، تركناه، الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ، فاضربوا بقولي عرض الحائط»[(١)]، ومالك يقول: «كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»[(٢)]؛ يعني رسول الله ﷺ، والإمام أحمد يقول: «**عَجِبْتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإسنادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إلى رَأْيِ سُفْيَانَ. وَاللّٰهُ تَعَالَى يَقُولُ:** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] **أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ في قَلْبِهِ شيء مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ**»[(٣)]. الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عقد بابا في كتاب التوحيد: (باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله)[(٤)]، فالأمر في هذا خطير جدا، أقوال العلماء نعم نستفيد منها، لكن ما نأخذها إذا وافقت رغبتنا، وقلنا: العلم بحر واسع، وإذا خالفت رغبتنا، قلنا: هذا تشدد، وهذا تحجر، وهذا...، وهذا...، لا، نحن نأخذ ما وافق الدليل من

---

(١) انظر: قانون التأويل (١/ ٣٤)، والذخيرة للقرافي (١/ ١٥٤)، وكفاية النبيه (٢/ ٤٤٣).

(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٣١٧)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٤٠)، والآداب الشرعية (٢/ ٢٩٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (رقم ٩٧)، وانظر: مسائل عبد الله بن أحمد بن حنبل (٣/ ١٣٥٥)، والصارم المسلول على شاتم الرسول (٢/ ١١٦).

(٤) انظر: كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد (ص٥٥٥).

كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] المنهاج واضح - ولله الحمد -، ليس خفيًا، لكن أين الذين يتفقهون في القرآن، ويرجعون للقرآن والسنة؟!

وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، [١] وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ [٢].

الشرح:

[١] (وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)، لا ما أحله العلماء، أو حرمه العلماء بدون دليل، وإن كانوا علماء، فهم مجتهدون يعذرون باجتهادهم، ولهم أجر، لكن نحن لا نُعْذر في أن نأخذ قولا مخالفا للدليل، فتوى مخالفة للدليل، لا نُعذر.

[٢] هذا رد على المبتدعة الذين يقولون: نحن نتقرب إلى الله، وقصدنا الطاعة، فلا مانع أن نتقرب إلى الله بأي شيء نراه من العبادات. نقول: لا، هذا لا يجوز، الدين مبني على الاقتداء والاتباع، توقيفي، لا يحدث فيه شيء، قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢)، الدين ما شرعه الله، لا ما رآه الناس واستحسنوه بدون دليل.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٤/ ٣٥٦ مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ. [١].

الشرح:

[١] من اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير طريق محمد ﷺ، فهو كافر، وعلى هذا غلاة الصوفية، الذين يقولون: نحن لسنا بحاجة إلى الرسل أو إلى محمد ﷺ؛ لأننا وصلنا إلى الله، ونعرف الحق من الله، ونأخذ عنه مباشرة، وهم في الحقيقة يأخذون عن الشياطين، لا عن الله ﷻ، وهؤلاء الذين يزعمون أنهم يجلسون معهم، ويتحدثون معهم هؤلاءشياطين - نسأل الله العافية -.

وَأَمَّا خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْخَلْقِ، وَرِزْقُهُ إِيَّاهُمْ، وَإِجَابَتُهُ لِدُعَائِهِمْ، وَهِدَايَتُهُ لِقُلُوبِهِمْ، وَنَصْرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، [١] فَهَذَا لِلَّهِ وَحْدَهُ يَفْعَلُهُ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الأَسْبَابِ، لَايَدْخُلُ فِي مِثْلِ هَذَا وَسَاطَةُ الرُّسُلِ. [٢].

الشرح:

[١] هذه الواسطة المرفوضة، لما ذكر الواسطة الصحيحة، وهي واسطة الرسل في تبليغ الشرائع، ذكر الواسطة المرفوضة الباطلة.

[٢] (فَهَذَا لِلَّهِ وَحْدَهُ يَفْعَلُهُ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الأَسْبَابِ)، وليس للوسائط، هذه الواسطة الباطلة؛ اتخاذ الوسائط بين العبد وبين ربه في قضاء حوائجه، وتفريج كرباته، وإجابة دعواته، أو طلب الرزق، أو أن أحدا يرزقك من دون الله ﷻ، هذه باطلة، هذه وسيلة باطلة، هذا كله باطل.

قد يفعله الله بسبب من الخلق؛ يعني: يسخر بعض الخلق، يسخر الأغنياء؛ ليتصدقوا على الفقراء، ليوفروا العمل للمحتاجين، وبذلك يكونون سببا فقط، لا واسطة بينهم وبين الله، وإنما هم سبب، أجرى الله الرزق على يده، ففرق بين السبب وبين الواسطة. وهذه الواسطة الممنوعة، التي يكفر من أثبتها.

ثُمَّ لَوْ بَلَغَ الرَّجُلُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ مَا بَلَغَ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا وَلِيٍّ لِلَّهِ تَعَالَى، [١] كَالْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعُبَّادِهِمْ، [٢].

الشرح:

[١] لو اجتهد في العبادة - في الصيام، والصلاة، والصدقات -، ولكنه لا يؤمن بكل ما جاء به محمد ﷺ، فهذا ليس بمؤمن، وعمله باطل، فليست العبرة بكثرة العمل، العبرة بالاتباع والاقتداء، ليست العبرة بكثرة العمل والتعب، ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ولم يقل: أيكم أكثر عملا. ليست العبرة بالكثرة، العبرة بالحسن، متى يكون العمل حسنا؟ إذا توفر فيه شرطان: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ، هذا هو العمل الحسن، وأما ما اختل فيه شرط من هذين الشرطين، فهو قبيح، وليس بحسن، وإن أتعب الإنسان فيه نفسه، وأفنى فيه وقته، فهو لا ينفعه عند الله شيئا.

[٢] اليهود والنصارى فيهم أحبار ورهبان، فيهم رهبان يجتهدون في العبادة، ويتخلون في الصوامع، وينعزلون عن الدنيا، ولايتزوجون النساء: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، هذا ضلال - والعياذ بالله -، ولا ينفعهم كثرة تعبهم؛ لأن هذا على غير هدى، على غير صراط مستقيم.

وَكَذَلِكَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ؛ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ وَالْهِنْدِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ، وَلَهُ عِلْمٌ [١] أَوْ زُهْدٌ وَعِبَادَةٌ فِي دِينِهِ، وَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ، وَإِنْ ظَنَّ طَائِفَةٌ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، [٢].

الشرح:

[١] هناك زهاد من الكفار يزهدون في الدنيا، ويتركون الملاذ، ويتقشفون، وهذا موجود في الهند؛ الفلاسفة والحكماء، زهد الفلاسفة والملاحدة، يزهدون في الدنيا، يتقللون منها، ويتقشفون، لكن ليسوا على شيء -والعياذ بالله-.

[٢] لأنه ليس متبعا للرسل، فاجتهاده، وزهده، وتقشفه، ورهبانيته، لا ينفعه ذلك عند الله ﷻ، بل إن المؤمن العاصي الذي معصيته دون الشرك هذا أحسن منهم، ولو هو فاسق، ما دام أنه مؤمن، ولو هو فاسق، فهو أقرب إلى الله ﷻ، ويرجى له النجاة والمغفرة، لكن الذي خرج عن طاعة الرسول ﷺ، ولو تقشف، ولو زهد، ولو ترهبن، ولو تعب في العبادة، هو كافر بالله ﷻ، ومن أهل النار، ولاينفعه ذلك. فليست العبرة بكثرة العبادة، أو الزهد والتقشف، والتقلل من الدنيا، والرهبانية، ولكن العبرة باتباع الرسول ﷺ.

كَمَا كَانَ حُكَمَاءُ الْفَرَسِ مِنَ الْمَجُوسِ كُفَّارًا مَجُوسًا . [١] وَكَذَلِكَ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ - مِثْلُ: أَرِسْطُو(١) وَأَمْثَالِهِ - كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْكَوَاكِبَ، [٢].

الشرح:

[١] وهم يتعبدون، ويسهرون الليل، المجوس الذين يعبدون النار يتقربون إليها، الهندوس والسيخ يعبدون البقر، ويتزهدون، ويتقشفون، وهم من أهل النار، إذا لم يتوبوا، ويسلموا قبل موتهم، من أهل النار، ولا ينفعهم تعبهم وتقشفهم وزهدهم.

لن يصل أحد إلى الله من غير طريق هذا الرسول ﷺ.

[٢] الفلاسفة من اليونان أهل زهد وأهل عبادة وتقشف، وتعفف عن الناس، ولكنهم لا يؤمنون بالأنبياء، فهم من أهل النار، لايؤمنون بالأنبياء، ولاسيما بخاتم الأنبياء محمد ﷺ، فهم من أهل النار؛ مثل: أفلاطون، وأرسطو، وغيرهم.

---

(١) أرسطو، ويقال: أرسطو طاليس، أول من وضع تعاليم المنطق، من الحكماء المعروفين بالمشائين، أخذ الحكمة عن أفلاطون، وكان أستاذًا للإسكندر المقدوني ومستشارًا له. انظر: دائرة المعارف (٣/ ٧٥).

وَكَانَ أَرِسْطُو قَبْلَ الْمَسِيحِ ﷺ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ وَزِيرًا لِلْإِسْكَنْدَرِ ابْنِ فَيْلَبْس الْمَقْدُونِيِّ⁽¹⁾، [١] وَهُوَ الَّذِي تُؤَرَّخُ بِهِ تَوَارِيخُ الرُّومِ وَالْيُونَانِ، وَتُؤَرِّخُ بِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؛ وَلَيْسَ هَذَا هُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ [٢] كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ أَرِسْطُو كَانَ وَزِيرًا لِذِي الْقَرْنَيْنِ، [٣].

الشرح:

[١] هذا الإسكندر الكافر؛ لأن الإسكندر شخصان: واحد كافر، وواحد مسلم؛ الإسكندر المسلم ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن، هذا الإسكندر المسلم، وأما الإسكندر المقدوني، الذي أسس الإسكندرية في مصر، هذا كافر، ووزيره أرسطو الفيلسوف، كان معلمه، وهو صغير، ولما ولي الملك، جاء به، وجعله وزيرا له، وأرسطو تلميذ لأفلاطون.

[٢] هذا مسلم، يسمى الإسكندر، لكنه مسلم.

[٣] هذا باطل، أرسطو ليس معاصرا له حتى؛ بينهما ألفا سنة، كيف يصير وزيرا له؟!

(١) الاسكندر بن فليبس المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم ولد قبل المسيح ﷺ بنحو من ثلاثمائة سنة وهو الذي أذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم وكان الفيلسوف - أرسطو - وزيره. انظر: البداية والنهاية (٢/ ١٠٥)، والأنس الجليل (١/ ١٥٣).

لَمَّا رَأَوْا أَنَّ ذَاكَ اسْمُهُ الْإِسْكَنْدَرُ، وَهَذَا قَدْ يُسَمَّى بِالْإِسْكَنْدَرِ، ظَنُّوا أَنَّ هَذَا ذَاكَ؛ [١] كَمَا يَظُنُّهُ ابْنُ سِينَا(١) وَطَائِفَةٌ مَعَهُ، [٢].

الشرح:

[١] التبس عليهم الاسم، ولم يعرفوا أن هناك شخصين، كل منهما يسمى الإسكندر، واحد كافر، وواحد مسلم، وبينهما ألفا سنة. وليس اسمه العَلَم، لكن قد يسمى، أما الأول، فاسمه العَلَم: الإسكندر. أظن الاسم هذا موجودًا، إلى الآن يسمون إسكندر.

[٢] ابن سينا هذا طبيب، أبو علي الطبيب المشهور، لكنه خبيث الديانة؛ لأنه باطني من الإسماعيلية، إسماعيلي الديانة، باطني خبيث.

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الفلسفة والطب، مولده سنة سبعين وثلاثمائة، كان يقول بقدم العالم، ونفى المعاد الجسماني، وأثبت المعاد النفساني، قال عنه الذهبي: «هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة، وله كتاب الشفاء وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال» ا. هـ. وقيل: إنه تاب ورجع عن أقواله قبل الممات، فالله أعلم بخاتمته، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)، والوافي بالوفيات (١٢/ ٢٤٢ - ٢٥٠)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٤٣٧)، وسير الأعلام (١٧/ ٥٣٥)، والعبر (٣/ ١٦٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٣٤).

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، [١] بَلْ هَذَا الْإِسْكَنْدَرُ الْمُشْرِكُ الَّذِي قَدْ كَانَ أَرِسْطُو وَزِيرَهُ مُتَأَخِّرٌ عَنْ ذَاكَ، وَلَمْ يَبْنِ هَذَا السَّدَّ، وَلَا وَصَلَ إِلَى بِلَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهَذَا الْإِسْكَنْدَرُ الَّذِي كَانَ أَرِسْطُو مِنْ وُزَرَائِهِ يُؤَرِّخُ لَهُ تَارِيخُ الرُّومِ الْمَعْرُوفِ. [٢] وَفِي أَصْنَافِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَمُشْرِكِي الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْيُونَانِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَهُ اجْتِهَادٌ فِي الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ؛ [٣] وَلَكِنْ لَيْسَ بِمُتَّبِعٍ لِلرُّسُلِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِمَا جَاءُوا بِهِ، وَلَا يُصَدِّقُهُمْ بِمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَلَا يُطِيعُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَوْلِيَاءٍ لِلَّهِ، [٤].

الشرح:

[١] ذو القرنين المذكور في القرآن هو الذي بنى السد، الذي يسمى سد ذي القرنين، دون يأجوج ومأجوج، وهو الذي بلغ مطلع الشمس، ومغرب الشمس، ومكن الله له في الأرض، وهو ملك مسلم.

[٢] هذا الإسكندر كافر.

[٣] كما سبق أنهم فيهم زهاد، وفيهم نساك، وفيهم رهبان، لكن ليسوا على طريق صحيح؛ فلا ينفعهم ذلك، لا ينفعهم، بل هو تعب عليهم بلا فائدة، لا فائدة في العمل إلا إذا كان خالصا لله، وصوابا على سنة رسول الله ﷺ، بدون هذا لا يتعب الإنسان نفسه.

[٤] وإن كانوا يسمونهم أولياء الله، فهم ليسوا بمؤمنين، فضلا عن أن

يكونوا أولياء لله، وإنما هم من أولياء الشيطان، وإن كانوا زهادا ونساكا، وعبادا ومجتهدين، لكن على غير طريق صحيح.

وَهَؤُلَاءِ تَقْتَرِنُ بِهِمْ الشَّيَاطِينُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، فَيُكَاشِفُونَ النَّاسَ بِبَعْضِ الْأُمُورِ، وَلَهُمْ تَصَرُّفَاتٌ خَارِقَةٌ مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ، وَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْكُهَّانِ وَالسَّحَرَةِ الَّذِينَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ الشَّيَاطِينُ. [١].

الشرح:

[١] أولياء الشيطان لما خالفوا الرسل، وأطاعوا الشيطان، فإنهم يكون لهم أحوال غريبة؛ لأن الشياطين تساعدهم، وتظهر على أيديهم بعض التصرفات الخارقة للعادة، وقد سبق أن الخارق للعادة على قسمين:

القسم الأول: خارق للعادة يكون كرامة، إذا كان صاحبه مستقيما على طاعة الله، ومن المؤمنين المتقين.

القسم الثاني: يكون خارقا شيطانيا، إذا كان صاحبه على الكفر والضلال ومخالفة الرسل؛ فإنه يكون خارقا شيطانيا، وليس كرامة، وهذا هو الصنف الذي يتحدث عنه الشيخ رحمه الله في هذا الكلام، فهؤلاء لما والوا الشياطين، وعادوا المرسلين والمؤمنين، فإن الشياطين تتولاهم، ويجري على أيديهم بعض التصرفات الخارقة للعادة، وهي أحوال شيطانية؛ فلا يغتر بها، ويقال: هؤلاء أولياء؛ لأن لهم كرامات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] [١].

الشرح:

[١] الله ﷻ نفى عن القرآن وعن الرسول ﷺ تنزل الشياطين، فقال ﷻ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾؛ يعني: القرآن، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾؛ يعني: الوحي، ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]؛ فليس لهم قدرة على تلقي الوحي، إلا في صفة استراق السمع -كما سيأتي-، ثم لما نفى ﷻ تنزل الشياطين على الرسول ﷺ بالقرآن، بيَّن ﷻ الذين تتنزل عليهم الشياطين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾، الأفاك: الكذاب كثير الإثم، ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: يسترقون السمع، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾؛ يصيبون في كلمة، ويكذبون معها مائة كذبة؛ كما قال النبي ﷺ[١]، فبين ﷻ أولياء الشيطان، وأنهم ليسوا أولياء للرحمن، وإنما هم أولياء للشياطين، تنزل عليهم الشياطين.

---

(١) أخرج البخاري (٣٢١٠) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ - وَهْوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»، كما أخرج مسلم (٢٢٢٨) عن عَائِشَةَ سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ».

وَهَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْمُكَاشَفَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْذِبُوا وَتُكَذِّبَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ. [١].

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ مَا هُوَ إِثْمٌ وَفُجُورٌ، مِثْلُ نَوْعٍ مِنَ الشِّرْكِ أَوْ الظُّلْمِ أَوْ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْغُلُوِّ أَوْ الْبِدَعِ فِي الْعِبَادَةِ؛ [٢].

الشرح:

[١] هذه القاعدة؛ فليست العبرة بوجود الخارق للعادة مع الشخص، حتى ينظر حاله، فإن كان مستقيما على طاعة الله، وهو من المؤمنين المتقين، فإن هذا الخارق يكون كرامة من الله ﷻ له، وأما إن كان مخالفا لأوامر الله، ومطيعا لأوامر الشيطان، فإن هذا الخارق، يكون خارقا شيطانيا، يجري على يده بواسطة الشياطين، فلا يعد من أولياء الله، وإنما يعد من أولياء الشيطان.

[٢] أفاك أثيم ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ أفاك: كذاب، أثيم: كثير الإثم بما يمارس من الفواحش والمعاصي، فكيف يعد هذا وليًا لله ﷻ؟! هذا من المغالطات.

وَلِهَذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ الشَّيَاطِينُ وَاقْتَرَنَتْ بِهِمْ، فَصَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ لَا مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ. [١].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، [٢].

الشرح:

[١] تنزلت عليهم الشياطين، بسبب إفكهم وإثمهم تنزلت عليهم الشياطين. فالإنسان إما أن يكون وليًّا لله، وإما أن يكون وليًّا للشيطان، فإن أطاع الله ورسوله، واتقى الله، فهو من أولياء الله، وإن كان أطاع الشيطان، وعصى الرسول ﷺ، فإنه يكون من أولياء الشيطان. هذا فرق واضح وقاعدة واضحة، لا تلتبس إلا على صاحب هوى، أو جاهل يحسب أن كل بيضاء شحمة؛ كما قالوا.

[٢] ما معنى ﴿يَعْشُ﴾؟ تفسرها الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿يَعْشُ﴾ معناها: يعرض عن الوحي، وعن ذكر الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وهو القرآن والسنة، وذكر الله أيضا بالثناء على الله، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، فمن أعرض عن هذا، فإن الشيطان يأخذه، ويجعله من جنوده، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ هذه عقوبة له، فإن الله يسلط عليه الشيطان، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾؛ يعني: ملازم له، الشيطان يلازمه، ولا ينفك عنه؛ عقوبةً له.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٧] أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٧]، يصدون هؤلاء عن سبيل الله ﷻ، وأعظم من ذلك ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، الإنسان إذا صار يحسب أنه على هدى، وهو على ضلال، هذه مصيبة، أما إذا كان الإنسان على ضلال، وهو يدري أنه على ضلال، هذا من الممكن أن يرجع، لكن إذا كان على ضلال، ويحسب أنه على هدى، هذه مصيبة، هذا لا يرجع، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ [الزخرف: ٣٧-٣٨]، ويوم القيامة يتبين له الحق، ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾؛ يعني: المشرق والمغرب، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٨-٣٩].

وَذِكْرُ الرَّحْمَنِ هُوَ الذِّكْرُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ [١] مِثْلُ الْقُرْآنِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقُرْآنِ، وَيُصَدِّقْ خَبَرَهُ، وَيَعْتَقِدْ وُجُوبَ أَمْرِهِ، فَقَدْ أَعْرَضَ عَنْهُ، [٢] فَيُقَيِّضُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَيَقْتَرِنُ بِهِ، [٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠]، [٤].

الشرح:

[١] هو الوحي المنزل، هذا ذكر الرحمن ﷻ.

[٢] من لم يصدق بالقرآن، وقال: إنه سحر، أو أساطير الأولين، أو إنه كذب، أو إنه قول محمد، وليس كلام الله، أو إن القرآن مخلوق، وليس هو كلام الله، فهذا لم يؤمن بالقرآن، وأيضا لا يكفي أنه يصدق أن القرآن كلام الله، بل لابد أن يعمل به، ويتبعه، حتى يكون من أهل القرآن، ومن أولياء الله ﷻ.

[٣] يصير قرينا له، لا ينفك عنه.

[٤] مما يدل على أن الذكر هو القرآن المنزل قوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾، فدل على أن الذكر هو ما أنزله الله ﷻ على رسوله من الكتاب والسنة، هذا هو الذكر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، [١].

الشرح:

[١] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾؛ مثل قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾؛ يعني: من أعرض عن الوحي الذي أنزلته على نبيي، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيقة. قيل: هذا في القبر، يضيق عليه قبره؛ لأنه يُسأل، ويقال له: «يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ» فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ». قَال: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا». قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ»(١)، فهذا هو الضنك -والعياذ بالله-، وكذلك يكون في ضنك في الحياة الدنيا، فتجده يعيش في قلق، وفي هم، وفي وساوس، وفي حزن، أما المؤمن، فتجده يعيش مطمئنا، مستريح البال، متنعما بذكر الله ﷻ، هذا الذي أعرض عن ذكر الله يعيش في الدنيا في قلق وهم وضيق، حتى ولو كان يملك الملايين من الأموال، فإنه في ضنك، في عيشة ضنك، لا يتلذذ بما في يده، أو في القبر ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ ثم يوم القيامة يحشر أعمى، فاقدا للبصر؛ عقوبة له،

(١) أخرجه أبو داود كاملًا في سننه (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

فيستغرب فيقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾، ما السبب؟!
السبب: قال ﷻ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ الجزاء
من جنس العمل.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذِكْرَهُ هُوَ آيَاتُهُ الَّتِي أَنْزَلَهَا؛ [١] وَلِهَذَا لَوْ ذَكَرَ الرَّجُلُ اللَّهَ ﷻ دَائِمًا لَيْلًا وَنَهَارًا مَعَ غَايَةِ الزُّهْدِ، وَعَبَدَهُ مُجْتَهِدًا فِي عِبَادَتِهِ، [٢] وَلَمْ يَكُنْ مُتَّبِعًا لِذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ -وَهُوَ الْقُرْآنُ- كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، [٣].

الشرح:

[١] الله ﷻ سماه الذكر، الذكر الحكيم.

[٢] انتبهوا. يعني: ما المراد بالذكر، الذكر الذي يقوله الإنسان من التسبيح، والتهليل، والتكبير؟ المراد بالذكر: الوحي، أما الذكر الذي يصدر من الإنسان، فهذا، انتبهوا لما يقول الشيخ: (**دَائِمًا لَيْلًا وَنَهَارًا**)؛ يعني: لا يجف لسانه من ذكر الله. (**مَعَ غَايَةِ الزُّهْدِ**) مع غاية الزهد في الدنيا.

[٣] إذا أكثر من الأذكار والأوراد، الآن معهم أوراد يقرؤونها كثيرة في الصباح والمساء مكتوبة، بعضهم يحفظها، ويجتهد في الطاعة والعبادة، لكنه لا يتبع القرآن، وإنما يتبع الشيخ الفلاني والطريقة الفلانية، ولا يتبع القرآن، هذا من أولياء الشيطان، هذا يكون من أولياء الشيطان، فتنبهوا لهذا. فيكون إذًا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ليس المراد بها الذكر اللساني بالتسبيح والتهليل والتكبير، المراد بالذكر هنا: الوحي المنزل، وهو القرآن.

وَلَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ؛ [١] فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْمِلُهُ فِي الْهَوَاءِ. وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. [٢].

الشرح:

[١] ولو كان معهم خوارق؛ مثل: الطيران في الهواء، أو المشي على الماء، أو المشي على النار، ولا يتألم في ظاهره، فإن هذه خوارق شيطانية، الشياطين هي التي تأتي بها إليهم، وتخدمهم بها، تخدمهم بهذه الأمور، فليست العبرة بوجود الخارق مع الإنسان، إنما العبرة بسلوكه وسيره، فإن كان متبعا لرسول الله ﷺ، فهو من أولياء الله، وإن كان عاصيا لرسول الله ﷺ، ومطيعا للخرافيين والشياطين، ومخالفا لسنة الرسول، فهو من أولياء الشياطين، وإن كان يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وما أشبه ذلك من الخوارق الشيطانية التي يخدمون بها أولياءهم.

[٢] الشيطان يحمل هؤلاء في الهواء، ويقطع بهم المسافات البعيدة، ويخبرهم عن أشياء لا يعلمها الإنس، يخبرهم بها، وبوجودها، وبأمكنتها، هذه أحوال شيطانية، ليست هي الكرامات التي لأولياء الله ﷻ، وهذا مما التبس على الناس الآن، فهذا الكتاب في الحقيقة كتاب نفيس يكتب بماء الذهب؛ لأنه بيَّن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان غاية البيان.

فَصْلٌ

في صفات المنافقين وأمور الجاهلية

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَفِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ [١].

الشرح:

[١] انتهى رحمه الله من بيان أولياء الله وأولياء الشيطان، وبيان علاماتهم التي يعرفون بها، وأن الأمر ليس بالدعاوى، وإنما الأمر بالحقيقة، بيَّن أولياء الله الخلص، وأعداء الله، وأولياء الشيطان الخلص، ثم ذكر الصنف الثالث: وهو من يكون وليًّا لله من جهة، ووليا للشيطان من جهة، وهو المؤمن العاصي، الذي لم تصل معصيته إلى الكفر والشرك، بل هي كبيرة من كبائر الذنوب، دون الكفر والشرك، فهذا ليس وليًّا لله خالصا، ولا وليًّا للشيطان خالصا، وإنما هو بين بين، بين ذلك، فيكون وليًّا لله بقدر ما فيه من الإيمان وطاعة الله ورسوله، ويكون وليًّا للشيطان بقدر ما فيه من معصية الله ورسوله.

(وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَفِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ)، المقصود بالشعبة من النفاق العملي الذي قد يكون في بعض المؤمنين، والذي خافه النبي ﷺ على أصحابه، فقال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». قُلْنَا بَلَى. فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ

صَلاَتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[١]، هذا نفاق عملي، نفاق أصغر، أما النفاق الأكبر، فهو من الصنف الأول، الذي فيه نفاق أكبر هذا من أولياء الشيطان، من الصنف الثاني، وهم أولياء الشيطان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»(١). فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ فَفِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا. [١].

الشرح:

[١] يعني: النفاق العملي، منافقا خالصا، يعني: في النفاق العملي، لا يكون كافرا: «وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا»، فدل على أنه يكون في المؤمن إيمان، ويكون فيه نفاق، يكون فيه إيمان، ويكون فيه نفاق.

«إذَا حَدَّثَ كَذَبَ»: الواجب على المسلم أن يصدق في أحاديثه، ولا يعوِّد نفسه الكذب والتساهل فيه.

«وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»: إذا صدر منه وعد لأحد، فإنه لا يفي بالوعد، هذا نفاق، والواجب على المسلم أنه إذا وعد، يفي بوعده، ولا يتخلف ويغر الموعود، هذا من خصال النفاق.

«وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ»: إذا اؤتمن على سر، اؤتمن على عمل وظيفة، اؤتمن على وديعة، اؤتمن على معاملة، إذا اؤتمن، خان -والعياذ بالله-، الخيانة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

ليست من صفات المؤمن، المؤمن من صفاته الأمانة في القول والعمل، يكون أمينا.

«وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»: إذا عاهد ولي أمر المسلمين، غدر ونكث الطاعة، أو عاهد أحدا من أفراد الناس، حتى ولو الكافر، إذا عاهد - ولو الكافر -، يجب الوفاء: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾، فإذا عاهد أحدا من الخلق - مؤمنا أو كافرًا -، فإنه يجب عليه الوفاء بعهده؛ فالغدر في العهود هذا من النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]، فيكون المؤمن عند عهده ووعده، وصدقه وأمانته، حتى يكون سالما من النفاق العملي، الشاهد من الحديث أن المؤمن قد يكون فيه خصلة من خصال النفاق، فيجتمع إيمان ونفاق فيه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»(١) [١].

الشرح:

[١] فهذا دليل على أن الإيمان يتفاضل، وأن بعضه أكمل من بعض، وليس هو شيئًا واحدًا - كما يقوله المرجئة -، بل الإيمان يتفاضل، فقوله: «**أَعْلَاهَا**»، هذا دليل على أنه له أعلى، وله أدنى، «**أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، وأدنى خصال الإيمان إماطة الأذى عن طريق المسلمين، «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»؛ لأن الحياء يكف الإنسان عما لا يليق، الحياء المراد به الحياء الذي يكف الإنسان عما لا يليق، قال ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(٢)، فالحياء من الإيمان، يصير شعبة من شعب الإيمان، الشاهد من الحديث أن الإيمان يتفاوت: منه ما هو أعلى، ومنه ما هو أدنى، ومنه ما هو متوسط، وليس شيئا واحدا، فدل على أن من الناس من يكون مؤمنا كامل الإيمان، وهذا من الأولياء الخلص، ومنهم من يكون ناقص الإيمان، وهذا فيه إيمان، وفيه نقص، فيه نقص في إيمانه، فيكون من جهة وليًّا لله، ومن جهة عدوا لله ووليا للشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود ﷺ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ - وَهُوَ مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ - : «إِنَّك امْرُؤٌ فِيك جَاهِلِيَّةٌ» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَى كِبَرِ سِنِّي؟! قَالَ: «نَعَمْ»(١) [١].

الشرح:

[١] هذا أبو ذر ﷺ من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن أفضل الصحابة ﷺ، ومع هذا قال له النبي ﷺ: **«إِنَّك امْرُؤٌ فِيك جَاهِلِيَّةٌ»**؛ يعني: خصلة من خصال الجاهلية، فدل على أن المؤمن قد يكون فيه خصلة من خصال الجاهلية، والسبب في هذا أن أبا ذر ﷺ صار بينه وبين رجل أمه أعجمية شيء من سوء التفاهم، فعيره بأمه الأعجمية، قال ﷺ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**(٢)؛ لأن التعيير، والطعن في النسب من خصال الجاهلية -كما يأتي-، فهذا مع كمال إيمانه، وسابقته في الإسلام، صارت فيه هذه الخصلة، فكيف بغيره ممن هو ليس مثله، ولا قريبا منه؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠) من حديث المعرور ﷺ.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ»(١) [١].

الشرح:

[١] الجاهلية الأولى الكاملة زالت - ولله الحمد - ببعثة النبي ﷺ، لكن قد يبقى منها شيء في المسلمين، في بعض الأفراد؛ كما قال النبي ﷺ لأبي ذر. في بعض القبائل، في بعض الدول يبقى شيء من خصال الجاهلية: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ»، الحسب: هو منصب الإنسان، المنصب: هو الحسب، إذا كان الإنسان له منصب، وله مكانة عند الناس، وله جاه، فلا يفتخر بهذا، لا يجوز أن يفتخر بهذا، هذا من أمور الجاهلية، إذا افتخر بمنصبه وبمكانه، وترفع به على الناس، فهذا من أمور الجاهلية، «الْفَخْرُ بالأَحْسَابِ».

والثاني: «وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ»، والأنساب جمع نسب، وهو ما ينتمي إليه الشخص من قبيلة أو أسرة، فلا يجوز أن تطعن في أنساب الناس، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣] (الشعوب): قالوا: للعجم، والقبائل: للعرب، ليتعارفوا، فدراسة النسب إنما هي للتعارف فقط، وليست للطعن في بعضها، ﴿إِنَّ

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، الطعن في الأنساب بأن تقول: فلان نسبه وضيع، فلان ليس قَبَلِيًّا. ما يجوز هذا، أما أن تعرف النسب من أجل أن تعرف أقاربك وقبيلتك، فهذا لا بأس به، وقد جاء في الحديث: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»(١)، فدراسة النسب، ومعرفة الأنساب إذا كان القصد منها معرفة الأقارب والقبائل، لا بأس بذلك، أما إذا كان القصد منها الطعن في أنساب الناس، وتنقص أنساب الناس، فهذا لا يجوز، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والنبي ﷺ قال: «لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»(٢)، فهذا مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، لم يضر سلمان وبلالا رضي الله عنهما أن هذا حبشي، وهذا فارسي، وهذا صهيب الرومي، لم يضرهم ذلك، صاروا من سادات الصحابة وأكابر الصحابة رضي الله عنهم، ولم ينفع أبا لهب كونه هاشميا، وعما للرسول ﷺ، لم ينفعه هذا، فالاعتماد ليس على النسب، إنما الاعتماد على التقوى، والإيمان بالله ورسوله، إنما يعرف النسب لأجل التواصل فقط والتعارف.

الثالثة: «وَالنِّيَاحَةُ»؛ النياحة على الميت، رفع الصوت والجزع عند المصيبة، وتعداد محاسن الميت، بأن تقول: وا رأساه، وا سيداه، وا عضداه؛ كما تقول النائحات في الجاهلية، حتى إنهم يستأجرون نائحات يعددن محاسن الميت، ويجزعن، ويضربن الخدود، ويلطمن الوجوه،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٨٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

ويشققن الثياب، ويحلقن الرؤوس من باب الجزع على الميت، والذي ما لا يفعل له هذا يصير رخيصًا، ما له قيمة عندهم. هذا من أمور الجاهلية، والواجب الصبر عند المصائب، والاحتساب، وعدم الجزع، أما كون الإنسان يحزن ويبكي، هذا لا شيء فيه، الرسول ﷺ حزن على ابنه إبراهيم، وبكى ﷺ، فالحزن والجزع لا يضر، إنما يضر التسخط لقضاء الله وقدره، هذا هو الذي يضر، وهذا هو النياحة، وهذا لم ينعدم، ولم ينقطع، والآن يوجد في المسلمين من يفعله.

والأخيرة الرابعة: «وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ»؛ نسبة المطر إلى النجوم؛ كما هي عادة الجاهلية، فيقولون: إذا طلع النجم الفلاني، يحصل مطر، وإذا غاب النجم الفلاني، يحصل مطر، ولا ينسبون المطر إلى الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]، تنسبون المطر إلى النجوم، وأنها بسبب النجوم، ولهذا لما أمطرت السماء على الصحابة مع رسول الله ﷺ في الحديبية، صلى بهم الفجر، قال ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1]، فلا يجوز نسبة الأمطار والنجوم إلى الكواكب

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

والطوالع والغوارب؛ كما هي عادة الجاهلية، وإنما المطر بأمر الله، هو الذي ينزله إذا شاء ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، فالله هو الذي ينزل الغيث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، فنسبة المطر إلى الأفلاك أو إلى النجوم، أو إلى المناخات هذا من أمور الجاهلية. والشاهد من هذا أن الإنسان قد تكون فيه خصلة من خصال الجاهلية إذا كان عنده واحدة من هذه الأمور، وإن كان مسلما.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١). [١]، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»(٢). وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: «أَدْرَكْت ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»(٣). [٢].

الشرح:

[١] هذا الحديث سبق، لكن الرواية رواية مسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ »، فدل على أنه يحدث من المسلم الذي يصلي ويصوم، يحدث أن يكون فيه خصلة من النفاق.

[٢] ابن أبي مليكة تابعي جليل من علماء مكة، يقول: أدركت هذا العدد من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه؛ يعني لا يزكون أنفسهم؛ لأن النبي ﷺ خافه على أصحابه ﷺ، قال: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ»(٤) فخافه على أصحابه، فدل على أنه قد يوجد شيء من النفاق في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) هذه الزيادة عند مسلم كتاب الإيمان (١٠٩ - ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا (١/ ١٣٥- مع الفتح)- كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله- وقال الحافظ: وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه لكنه أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولًا في كتاب الإيمان له. ا. هـ.

(٤) سبق تخريجه (ص١٧٥).

المسلم، فينبغي له أن يحذر من هذا، ولا يقل: أنا مسلم. ويأمن من خصال النفاق، بل يخاف منها، ويحذر منها، ويستعيذ منها، كان النبي ﷺ يسر إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يسمي له المنافقين، يسر إليه، ولهذا يسمى حذيفة رضي الله عنه: أمين سر النبي ﷺ، فكان عمر رضي الله عنه يسأله، يقول: «**بِاللَّهِ، مِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: لَا**»[1]، يخاف على نفسه النفاق، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الإنسان لا يأمن على نفسه من النفاق، وإذا لم يأمن على نفسه، فإنه يحذر، ويتجنب خصال النفاق. والشاهد من هذا أن المسلم قد يكون فيه خصلة من خصال النفاق، فيكون من جهتها فيه موالاة للشيطان بقدر ما فيه. وقول ابن أبي مليكة دليل على كمال إيمانهم، وأنهم لا يكملون أنفسهم، ولا يزكون أنفسهم على ما لهم من القدر والمكانة في الإيمان، لا يزكون أنفسهم، يخافون على أنفسهم من النفاق.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨١)، والخلال في السنة (٤/ ١١١، ٥/ ٦٧)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١/ ١٤٤)، والبزار في مسنده (٧/ ٢٩٢).

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]. [١].

الشرح:

[١] الله ﷻ لما أجرى ما جرى في وقعة أحد على المسلمين من النكبة والمصيبة بسبب المخالفة التي حصلت من بعضهم، وهم الرماة الذين كانوا على الجبل، أمرهم النبي ﷺ ألا يتركوه، سواء انتصر المسلمون، أو هزموا بعض الرماة لما رأوا المسلمين انتصروا في أول المعركة، وصاروا يجمعون الغنائم، حاولوا النزول من الجبل، وظنوا أن المعركة انتهت، فذكرهم قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه بأن الرسول ﷺ قال: «لاَ تَبْرَحُوا»(١)، لكنهم مع هذا نزلوا، وتركوا الجبل، فلما رأى المشركون الجبل قد خف، انقضوا على المسلمين من خلفهم، وداهموهم من جهة الجبل، فصار المسلمون بين الكفار، من أمامهم ومن خلف ظهورهم، ثم دارت المعركة مرة ثانية، وجرى على المسلمين ما جرى من النكبة، استشهد منهم سبعون رضي الله عنهم، وحتى الرسول ﷺ جرح، وهشم المغفر على رأسه، وكسرت رباعيته ﷺ، كل هذا من جراء المعصية التي حصلت، شؤم المعصية، ولا يقتصر ضررها

(١) أخرجه البخاري مطولًا (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١).

على من فعلها، بل نالت الأخيار، الحاصل أن الله ذكرهم بهذا، فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، هذا يوم أحد، الجمعان: جمع المسلمين، وجمع الكافرين، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بقدره وقضائه ﷻ بإذنه القدري، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾، فدل على أنه يكون في بعض المؤمنين نفاق، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الله أجرى هذا للاختبار؛ ليتميز الصادق في إيمانه الخالص ممن فيه نفاق. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾، هذا محل الشاهد، فدل على أنه يضعف الإيمان، حتى يكون صاحبه أقرب إلى الكفر، يكون معه إيمان ضعيف، وفي الحديث: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1]، «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2]، فدل على أن الإيمان يكون فيه ضعيف وأضعف، حتى يكون صاحبه أقرب إلى الكفر.

﴿لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾، هذا محل الشاهد من الآية الكريمة: أن الإيمان ينقص، ويضعف، حتى يكون قريبا من الكفر، وليس الإيمان شيئًا واحدا لا يزيد، ولا ينقص - كما تقوله المرجئة الضُلال -، بل هو يزيد وينقص.

الشاهد فيه: أن المؤمن يضعف إيمانه، حتى يكون أقرب إلى الكفر.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فَقَدْ جَعَلَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ، [١] فَعُلِمَ أَنَّهُمْ مُخَلِّطُونَ، [٢] وَكُفْرُهُمْ أَقْوَى، وَغَيْرُهُمْ يَكُونُ مُخَلِّطًا وَإِيمَانُهُ أَقْوَى [٣].

وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، [٤] فَبِحَسَبِ إِيمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وِلَايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَتَقْوَى، كَانَ أَكْمَلَ وِلَايَةً لِلَّهِ. [٥].

الشرح:

[١] هذا محل الشاهد.

[٢] (فَعُلِمَ أَنَّهُمْ مُخَلِّطُونَ)؛ يعني: يخلطون الإيمان مع الكفر والنفاق، وكفرهم أقوى من إيمانهم.

[٣] من المؤمنين من يكون إيمانه خالصا، ومنهم من يكون مخلطا؛ يعني: فيه إيمان، وفيه نفاق، ثم هم يتفاوتون: هذا مخلط، لكن إيمانه أقوى من النفاق، وبعضهم العكس، يكون مؤمنا، ولكن نفاقه أقوى من إيمانه، فالناس يتفاوتون في إيمانهم تفاوتا عظيما، وليسوا على درجة واحدة.

[٤] (المؤمنين) خبر كان، و(هم) هذا ضمير فصل، يسمونه ضمير فصل، وفي بعض النسخ (هم المؤمنون)، فيكون ضمير الفصل مبتدأً، و(المؤمنون) خبره.

[٥] بحسب إيمانه وتقواه تكون ولايته لله، تكون خالصة أو مخلطة؛ إيمانه أقوى أو نفاقه أقوى.

فَالنَّاسُ مُتَفَاضِلُونَ فِي وِلَايَةِ اللَّهِ ﷻ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، [١] وَكَذَلِكَ يَتَفَاضَلُونَ فِي عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ. [٢].

الشرح:

[١] الناس متفاضلون في ولاية الله؛ يعني: في محبة الله، هم يحبون الله، والله يحبهم بقدر ما عندهم من الإيمان، فمنهم من تكون ولايته تامة، ومنهم من تكون ولايته ناقصة، وكلهم أولياء لله ﷻ، هذا فيه رد على المرجئة، عرفنا هذا، لكن فيه ردًّا على الخوارج الذين يكفرون أصحاب الكبائر، ويخرجونهم من الإيمان، هذا مذهب باطل، فأهل الكبائر معهم إيمان، لكن يكون إيمانهم ناقصا، وهم تحت المشيئة: إن شاء الله غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر، وهو وسط بين الخوارج الذين يكفرونهم، وبين المرجئة الذين يقولون: إيمانهم كامل، ولا تضرهم المعاصي، ولا يضر مع الإيمان معصية، يقولون كذا.

[٢] وكذلك الكفار ليسوا على درجة واحدة، أعداء الله ليسوا على درجة واحدة؛ بعضهم أخف من بعض في الكفر، وعداوته لله أخف: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المائدة: ٨٢]، فالكفار ليسوا على درجة واحدة في الكفر.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]. [١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. [٢].

الشرح:

[١] فهذا فيه دليل على أن الكفر يتفاضل، وأن الإيمان يتفاضل، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، دل على أن الإيمان يزيد، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ يعني: شك ونفاق.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾؛ يعني: نجاسة إلى نجاستهم الكفرية.

﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، فدل على أن الكفر يزيد أيضا رجسًا، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، دل على أن الكفر يزيد وينقص.

[٢] (النسيء) هو تأخير الحج عن وقته، كانوا في الجاهلية يؤخرونه عن وقته حسب أهوائهم، هذا النسيء، وهو التأخير، ويؤخرون الأشهر الحرم أيضا عن وقتها، هذا كان في أيام الجاهلية ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، فدل على أن الكفر يزيد، هؤلاء لما غيروا أحكام الله، صار هذا زيادة في كفرهم، كفر على كفر -والعياذ بالله-.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. [١] وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]. [٢] فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ قِسْطٌ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِ؛ وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ قِسْطٌ مِنْ عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ كُفْرِهِ وَنِفَاقِهِ. [٣]،

الشرح:

[١] هذا دليل على زيادة الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾، فدل على أن الهداية تزيد، والإيمان يزيد.

[٢] وهذا دليل على أن الكفر والنفاق يزيد: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: المنافقون ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، فدل على أن الكفر يزيد، والنفاق يزيد، ومرض القلب يزيد، حتى يموت القلب.

[٣] هذه النتيجة من سياق الآيات السابقة، دلت هذه الآيات على أن الرجل قد يكون فيه قسط من الإيمان، وقسط من النفاق والكفر، فلا يقال: إن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، وإنما الإيمان يزيد وينقص.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. [١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. [٢].

الشرح:

[١] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾؛ لأن الله أخبر أن على النار تسعة عشر من الملائكة، فقال بعض الكفار: أنا أكفيكم منهم كذا وكذا، يظن أنهم مثل الآدميين، يقول: النار فقط ما عليها إلا تسعة عشر، أنا أكفيكم منهم كذا وكذا من العدد، أنتم اكفوني الباقي، ونخرج من النار. من السخرية والاستهزاء. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، ليسوا مثل غيرهم؛ ملائكة، الملك لا يعلم قوته وغلظه وكبره إلا الله ﷻ، ليس مثل الآدميين؛ لا يستطيع الإنسان أن يتغلب عليهم؛ الملك الواحد لا يستطيعه البشر كلهم: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ اختبار ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ لأنه وافق ما عندهم من التوراة، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾، هذا محل الشاهد: أن الإيمان يزيد.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾، (السكينة): الطمأنينة يوم أحد، ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾، فدل على أن المؤمن يزيد إيمانه.

فَصْلٌ فِي طَبَقَاتِ الأَوْلِيَاءِ

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ: سَابِقُونَ مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ مُقْتَصِدُونَ. ذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ؛ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَآخِرِهَا، وَفِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ، وَالْمُطَفِّفِينَ، [١].

الشرح:

[١] أولياء الله يتفاوتون؛ منهم المقربون، ومنهم أصحاب اليمين، ومنهم الظالمون لأنفسهم، فأهل الإيمان يتفاوتون.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] وهؤلاء هم أصحاب المعاصي مع ما فيهم من الإيمان.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾، وهو الذي اقتصر على أداء الواجبات، وتجنب المحرمات، أدى الفرائض والواجبات، وتجنب المحرمات، هذا مقتصد، قد يفعل بعض المكروهات، وقد يترك بعض السنن، هذا مقتصد.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، هذه الطبقة العليا، وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط، هؤلاء هم السابقون، وجاء في مثل هذه الآية آيات يذكرها الشيخ -فانتبهوا لها- أن المؤمنين ليسوا على طبقة واحدة، وأنهم يتفاوت جزاؤهم يوم القيامة بحسب ذلك، وأصحاب اليمين هم الأبرار.

وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ، فَإِنَّهُ ﷻ ذَكَرَ فِي الْوَاقِعَةِ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى فِي أَوَّلِهَا، وَذَكَرَ الْقِيَامَةَ الصُّغْرَى فِي آخِرِهَا، فَقَالَ فِي أَوَّلِهَا: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة ١ - ١٤]. فَهَذَا تَقْسِيمُ النَّاسِ إِذَا قَامَتْ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أَيْ: فَهَلَّا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة ٨٣ - ٩٦]. [١].

الشرح:

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾، هذه أحداث يوم القيامة، ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾؛ يعني: أصنافًا، كنتم أيها المؤمنون أصنافا

ثلاثة، الخلق ليس المؤمنون خاصة، كنتم أيها الناس أصنافا ثلاثة: الكفار، والمؤمنون المقتصدون الأبرار، والسابقون. ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨﴾، هؤلاء هم الأبرار أصحاب اليمين، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾، هؤلاء الكفار - والعياذ بالله -، أصحاب الشؤم والكفر، وتكرار (أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) هذا من باب التفخيم، ثم قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾، فكانوا ثلاثة أصناف؛ أزواجا ثلاثة: كفار، وأصحاب يمين، والمقربون؛ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾، هذا في أول السورة، ذكر القيامة الكبرى، ثم في آخرها ذكر القيامة الصغرى، وهي الموت: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة: ٨٣]؛ يعني: الروح، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة: ٨٤-٨٧]؛ أي: الروح ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧]، ثم قال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]، هؤلاء هم السابقون المقربون، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]؛ يعني: سالم، يسلم من النار ومن الآفات، لكنه ليس مثل الطبقة العليا، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]، هؤلاء الكفار ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة: ٩٣-٩٤]، هكذا الناس عند الموت: إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من الكفار -والعياذ بالله-.

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الإِنْسَانِ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١ - ١٢]. [١].

الشرح:

[١] ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، هدينا الإنسان؛ يعني: هديناه الهداية العامة، التي هي بيان الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ هذا صنف، إما شاكرا وإما كفورا، فبين جزاء الكفور، وسيبين جزاء الشاكرين بعد ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، هؤلاء أصحاب اليمين، الأبرار وأصحاب اليمين يشربون من كأس من شراب الجنة، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾؛ أي: خلطها الكافور طيب الرائحة عذب المذاق.

قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، هؤلاء المقربون، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾

فالمقربون يشربون خالصا ليس ممزوجا، وأما الأبرار، فيشربون ممزوجا بالكافور.

قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾، هذه صفاتهم.

قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾، فذكر الأصناف الثلاثة، ذكر الكفار، وذكر أصحاب اليمين، وذكر عباد الله المقربين يشربون خالصا، يشربون من الرحيق المختوم خالصا.

قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، هذا جزاؤهم عند الله تبارك وتعالى.

وَكَذَلِكَ ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ، فَقَالَ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ
﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ
كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ
﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ
﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٧ - ٢٨] [١].

الشرح:

[١] ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، هذا صنف، (السِّجِّين): السجن الضيق، (السِّجِّين) فعيل: صيغة مبالغة من الضيق، السجن الضيق، وقيل: (السِّجِّين) هي تحت الأرض السابعة - والعياذ بالله -(١).

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾، الأبرار هؤلاء هم المقتصدون.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾، هؤلاء المقربون.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، هؤلاء هم الأبرار، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٤١٥)، والقرطبي (١٩/ ٢٥٧).

الأولون يمزج لهم، ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾، وهناك قال: مسك، وهنا قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (بها) يشربون خالصا، ليس ممزوجا.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَغَيْرِهِ مِنْ السَّلَفِ قَالُوا: يُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزْجًا وَيَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا(1)[١]، وَهُوَ كَمَا قَالُوا. فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: يَشْرَبُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ ضَمَّنَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: يَشْرَبُ، يَعْنِي: يُرْوَى بِهَا، فَإِنَّ الشَّارِبَ قَدْ يَشْرَبُ وَلَا يُرْوَى، فَإِذَا قِيلَ: يَشْرَبُونَ مِنْهَا، لَمْ يَدُلَّ عَلَى الرِّيِّ، فَإِذَا قِيلَ: يَشْرَبُونَ بِهَا، كَانَ الْمَعْنَى يَرْوُونَ بِهَا،[٢].

الشرح:

[١] (صرفا) يعني: خالصا، رحيقًا خالصًا.

[٢] فهم أوفر حظا من أصحاب اليمين، ومن الأبرار؛ لأن الأبرار وأصحاب اليمين يشربون الرحيق مخلوطا بالمسك، وفي الآية الأخرى بالكافور، وأما المقربون، فيشربون صرفا خالصة، ليس معها مزاج.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٤)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٣٠٠)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٨): وقال: «قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم. ومعنى صِرْفًا: أي خالصةً غير ممزوجة، والصِّرْفُ: الخالص من كل شيء». قاله ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٤).

فَالْمُقَرَّبُونَ يَرْوُونَ بِهَا، فَلَا يَحْتَاجُونَ مَعَهَا إِلَى مَا دُونَهَا؛ فَلِهَذَا يَشْرَبُونَ مِنْهَا صِرْفًا بِخِلَافِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَإِنَّهَا مُزِجَتْ لَهُمْ مَزْجًا، [١] وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾. [٢].

الشرح:

[١] وهذا أيضا الفارق؛ الأبرار يشربون منها؛ يعني: وقد لا يروون منها، وأما المقربون، فيشربون بها؛ يعني: يروون منها، فرق بين (يشربون منها) و(يشربون بها). انظر دقة الفهم، ودقة الفقه في القرآن.

[٢] القرآن يوافق بعضه بعضا، ولا يختلف؛ فمن مزج العمل في الدنيا بشيء من المعاصي، يمزج له الشراب يوم القيامة، ومن أخلص العمل، ولم يكن فيه معصية أبدا، شرب خالصا، ليس معه خلط؛ الجزاء من جنس العمل. تقدم أن الشيخ رحمه الله ذكر أن أولياء الله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، وهم: السابقون المقربون، والأبرار أصحاب اليمين، والظالمون لأنفسهم من عصاة الموحدين. وذكر أعمال كل من الطوائف الثلاث؛ فالمقربون السابقون أدوا الفرائض والنوافل، تجنبوا المحرمات والمكروهات، وصارت أعمالهم كلها عبادة لله عز وجل، وأما الأبرار أصحاب اليمين، فهم المقتصدون الذين أدوا الواجبات، وتركوا المحرمات، وقد يتركون النوافل، أو يفعلون شيئا من المكروهات، فهؤلاء مقتصدون وأبرار أصحاب يمين، الظالم لنفسه هو المؤمن الذي قد يقع منه بعض الكبائر

التي دون الشرك، يفعلون شيئا من المحرمات، التي هي دون الشرك، فهؤلاء ظالمون لأنفسهم، فجزاؤهم يكون على وفق أعمالهم، فالسابقون الأولون يشربون الرحيق المختوم صرفا، ليس مع خلطٍ؛ لأنهم خلصوا أعمالهم، صارت كل حياتهم لله ﷻ، وأصحاب اليمين المقتصدون يشربون، لكن من الممزوج بالكافور أو بالمسك، يمزج لهم؛ كما مزجوا في الدنيا العمل بشيء من حظوظ النفس وراحتها في المباحات، والظالم لنفسه هذا تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بذنوبه، ثم يدخله الجنة، قد يخرج من النار بشفاعة النبي ﷺ، يخرج من النار بعدما يدخلها، يخرج منها بشفاعة النبي ﷺ أو بشفاعة غيره، هؤلاء هم طبقات أولياء الله المؤمنين.

فَعِبَادُ اللَّهِ هُمْ الْمُقَرَّبُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي تِلْكَ السُّورَةِ [١] وَهَذَا لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، [٢] وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [٣].

الشرح:

[١] سورة الواقعة في أولها وآخرها، وسورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وفي سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، ذكر أنهم ثلاث طبقات.

[٢] هذا شاهد على أن الجزاء من جنس العمل، «مَنْ نَفَّسَ»؛ يعني: وسع، «عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً»؛ يعني: ضائقة، وجد أخاه في ضائقة من دين أو غيره، أو جوع أو غير ذلك، نفس عنه هذه الكربة، أو كان معرضا لعقوبة أو جزاء، فشفع له، وخلصه، والحاصل أنه نفس عن مؤمن كربة، هذا جزاؤه من جنس عمله، أنه يوم القيامة ينفس الله عنه من كرب يوم القيامة، «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

[٣] والدائن الذي له دين على معسر، إذا يسر عليه التسديد، ولم يضيق عليه، فإن الله ييسر له في الدنيا والآخرة؛ جزاء على عمله، فالجزاء من جنس العمل.

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، [١].

الشرح:

[١] من رأى على مسلم خطأ أو زلة؛ لأن الإنسان ليس بمعصوم، يحصل منه أخطاء، ويحصل منه بعض المعاصي، فمن اطلع على ذلك، فإنه يستر عليه، ولا ينشر خطأه للناس، مع مناصحته، هذا يستر الله عليه في الدنيا والآخرة؛ الجزاء من جنس العمل، فالإنسان له أخطاء، فإذا ستر على أخيه أخطاءه، ستر الله عليه أخطاءه، وأما من فضح أخاه، وشهر به، ونشر أخطاءه، فإن الله يفضحه، وينشر أخطاءه في الناس، وفي الحديث: «يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»(١)، فالستر مطلوب في هذا على أصحاب الأخطاء مع مناصحتهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، [١] وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. . . [٢].

الشرح:

[١] كذلك الله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه، فالمؤمن يعين أخاه المؤمن في دينه ودنياه، يعينه على مصالحه، فمن أعان أخاه، أعانه الله، الله ﷻ قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، فمن أعان أخاه، أعانه الله؛ الجزاء من جنس العمل.

[٢] هذا في الحث على طلب العلم، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ الجزاء من جنس العمل، فكما أنه سلك طريق التعلم رغبة في العلم النافع؛ لينتفع وينفع، فإن الله يسهل له بذلك طريقا إلى الجنة، فهذا فيه الحث على السعي في طلب العلم، وعدم التكاسل، عدم الميل إلى الراحة، طلب العلم لا شك أن فيه تعب، وفيه مشقة، لكنه من الجهاد في سبيل الله، فيصبر الإنسان، ولا ينال العلم بالراحة، إنما ينال بالتعب: طلب، سهر الليالي، والبحث، والتنقيب، وسؤال أهل العلم، وحضور مجالس العلم، وإن بعدت عنه، فهذا من سلوك الطريق لطلب العلم.

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. . . [١].

الشرح:

[١] هذا فيه فضل طلب العلم في المساجد، في بيوت الله ﷻ، هذا أفضل مكان لطلب العلم؛ لأنه تحصل فيه هذه الفوائد: نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وأعظم من ذلك أن الله يذكرهم فيمن عنده، في الملأ الأعلى، فهذا فيه فضل طلب العلم في المساجد، التي هي بيوت الله، وإحياء المساجد بذلك؛ لينتفع من يرتاد المساجد، ولما في ذلك من عمارة المساجد بيوت الله ﷻ، فأفضل مكان يطلب فيه العلم المساجد، ولا مانع من طلب العلم في المدارس، في المعاهد، في الكليات، أما طلب العلم في الأسرار والكهوف، والاستراحات، وغير ذلك من الأمكنة الخفية والمجهولة، فهذا لايجوز؛ لأنه قد يشوبه شيء من الأفكار - خصوصا في هذا الزمان -، يشوبه شيء من الأفكار المنحرفة، ويقصده دعاة الضلال، فيجب الحذر من هذه الأمور، أو من هذه الأمكنة المشبوهة، فالذي يريد طلب العلم لا يذهب إليها، وإنما يذهب إلى دور العلم: المساجد، المدارس، المعاهد، الكليات، هذه دور العلم، هذه هي محل طلب العلم، وأمور الدين ليس فيها خفاء وتخفي، لا يتخفى في هذه الأمكنة إلا إنسان عنده أفكار سيئة، لا يريد أن يطلع عليها، أما العلم الشرعي،

فليس فيه شيء يخفى عن الناس، ولهذا روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: **(إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم في تأسيس الضلالة)**[١]؛ لأن أمور الدين واضحة - ولله الحمد -، وليس فيها تخفى أو أسرار، بل هي تعلن للناس؛ ليستفيد منها الناس، وتزول الشبهة عن الإنسان، ولا يتهم، فهذا أمر يجب التنبه له، خصوصا في هذا الزمان.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٨).

وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١). رواه مسلم في صحيحه. [١].

الشرح:

[١] فالمدار على العمل الصالح، وأما النسب، فإنه لا يقدم الإنسان عند الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والنبي ﷺ قال: «لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَميٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»(٢).

النسب لا يقدمك عند الله ﷻ، ولو كنت من أشرف الناس نسبا، شرف النسب لم ينفع أبا لهب عم النبي ﷺ؛ أنزل الله فيه سورة تتلى إلى يوم القيامة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، ما نفعه نسبه، وهو من أشراف بني هاشم، وعم الرسول ﷺ، ولا ضر بلالا، ولا سلمان، ولا صهيبا، ولا خبابًا، وغيرهم من الموالي، ولا عمار بن ياسر، ما ضرهم أنهم موالٍ، صاروا من سادات الأولياء، من سادات الصحابة ﷺ، فهذا معنى قول الرسول ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ»؛ يعني: تأخر به عمله، «لَمْ يُسْرِعْ»، لم يقدمه نسبه، وإن كان نسبه مشهورًا، هذا لا ينفعه عند الله ﷻ، الله ﷻ قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٨١).

ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣] سواء كان لهم نسب، أو ما لهم نسب، فلا ينفع عند الله إلا العمل، يوم القيامة لا ينفع إلا العمل.

وَقَالَ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١). قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [١].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الصَّحِيحِ الَّذِي فِي السُّنَنِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْت الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْته، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»(٢) [٢].

الشرح:

[١] وهذا الحديث فيه أن الجزاء من جنس العمل، الراحمون الذين يرحمون الناس، ويلطفون بهم، ويرفقون بهم، ويطعمون الجائع، ويكسون العاري، ويتصدقون على المحتاجين، فإن الله يرحمهم جزاء؛ كما رحموا عباده، فإن الله يرحمهم، «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» وهو الله ﷻ، هذا فيه إثبات العلو لله ﷻ، وأنه في السماء.

[٢] هذا أيضا فيه أن الجزاء من جنس العمل، فمن وصل رحمه، وصله الله، ومن قطع رحمه، قطعه الله؛ الجزاء من جنس العمل، الرحمن من أسماء الله ﷻ، وهو يتضمن الرحمة، الرحمن اسمه، والرحمة صفته ﷻ، والرحم مشتقة من الرحمن من الاسم، اشتقاق الاسم، فهذا فيه آكدية حق الرحم، ورحم الإنسان هم أقاربه من جهة أبيه، أو من جهة أمه، هؤلاء هم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧)، وأحمد (١/ ١٩١ -١٩٢)، وقال الترمذي صحيح.

أرحامه، قد جعل الله لهم حقا بعد حق الوالدين، قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، فجعل حقهم في المرتبة الثالثة بعد حقه ﷻ، وبعد حق الوالدين؛ مما يدل على آكدية حق الرحم على قريبهم، قد توعد الله من قطع رحمه باللعنة، قال ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، ففي هذا الحديث أن من وصل رحمه، وصله الله بالخير، والنعمة، والبركة، في الدنيا والآخرة، وأن من قطع رحمه، بته الله، قطعه الله، وحرمه من الخير؛ جزاء على عمله، الجزاء من جنس العمل ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

وَقَالَ: «وَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»(١)، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ. [١].

الشرح:

[١] «مَنْ وَصَلَهَا»؛ يعني: الرحم، «وَصَلَهُ اللهُ»؛ جزاءً على عمله، «وَصَلَهُ اللهُ»، أوصله إلى كل خير، «وَمَنْ قَطَعَهَا»؛ أي: قطع رحمه، قطعه الله من الخير؛ جزاء من جنس العمل، هذا كله من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ استفاضة في أن جزاء أهل الجنة يوم القيامة بحسب أعمالهم، فمنهم السابقون المقربون، ومنهم المقتصدون، ومنهم الظالمون لأنفسهم، ومنهم الكفار والمنافقون؛ كما تقدم في سورة الواقعة وسورة الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) بلفظ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: من وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله».

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَوْعَيْنِ: مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَلَ الْقِسْمَيْنِ فِي حَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ، فَقَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْته عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْته كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(١)، [١].

الشرح:

[١] هذا سبق، الحديث رواه البخاري، وهو حديث قدسي: أن الله ﷻ قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فقد بارزني بالمحاربة»، فالله يثأر لأوليائه، فمن آذاهم أو عاداهم، فإن الله يحاربه بالعقوبة العاجلة والآجلة، الظاهرة والخفية، ثم قال: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، هذا عمل السابقين المقربين؛ أنهم يتقربون إلى الله بالفرائض، وبالنوافل، وجزاؤهم أن الله يكون معهم؛ يسددهم، ويثبتهم، ويوفقهم.

«حَتَّى أُحِبَّهُ»: يحبهم.

«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي

(١) سبق تخريجه (ص ٥٤).

لأُعِيذَنَّهُ»، معناه: أن الله معهم يسددهم، ويوفقهم؛ فلا يمشون إلا إلى الخير، ولا يمشون إلى مجالس الشر، ولا يأخذون ويعطون بأيديهم إلا ما فيه الخير، ويستعملون أيديهم بالخير، ولا يسمعون إلا ما يرضي الله ﷻ: من القرآن والذكر، والتسبيح والتهليل، لا يسمعون اللغو، واللهو، وقول الزور، والغيبة والنميمة، لا يسمعون بآذانهم إلا ما يرضي الله؛ لأن الله وفقهم، وحفظ أسماعهم، كذلك لا يبصرون إلا ما فيه رضا الله ﷻ: من التفكر في ملكوت الله ﷻ، النظر إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، نظر الاعتبار والتذكر، فالله يصونهم في جوارحهم، فيستعملونها في الخير بدلًا من أن يستعملوها في الشر؛ الجزاء من جنس العمل، لما تقربوا إلى الله بالفرائض والنوافل، أحبهم الله، وكان معهم ﷻ.

فَالْأَبْرَارُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ هُمْ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ، يَفْعَلُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيَتْرُكُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُكَلِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَنْدُوبَاتِ، [١] وَلَا الْكَفَّ عَنْ فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ. [٢].

وَأَمَّا السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، فَفَعَلُوا الْوَاجِبَاتِ والمستحبات، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، [٣].

الشرح:

[١] هؤلاء المقتصدون، وهم الأبرار وأصحاب اليمين، اقتصروا على فعل الفرائض وترك المحرمات، وقد يتركون النوافل، أو يفعلون شيئا من الأمور المكروهة، أو يعطون أنفسهم شيئا مما تشتهي من المباحات، فهؤلاء لما أعطوا أنفسهم شيئا مما يريحها، فإن الله ﷻ يعطيهم يوم القيامة مثل أعمالهم، فلما مزجوا أعمالهم، مزج الله لهم الشراب يوم القيامة؛ الجزاء من جنس العمل.

[٢] (**فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ**): الزائد، يعطون أنفسهم ما تشتهي من المباحات، فهم جعلوا شيئا لأنفسهم من حياتهم، هذا مباح لا بأس به، لكنه ينقص ثوابهم عند الله؛ فلا يكونون مع السابقين المقربين.

[٣] هذه ميزتهم. فجعلوا عملهم كله لله ﷻ، ولم يجعلوا شيئا لأنفسهم؛ مثل ما فعله الأبرار والمقتصدون، كانت حياتهم كلها لله؛ آثروا ثواب الله ورضاه عنهم، آثروه على شهوات أنفسهم - وإن كانت مباحة -، تركوها

لأجل الله - وإن كانت مباحة -؛ فنالوا المرتبة العليا، مرتبة السابقين المقربين.

فَلَمَّا تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبَاتِهِمْ أَحَبَّهُمْ الرَّبُّ حُبًّا تَامًّا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»(١)، يَعْنِي: الْحُبَّ الْمُطْلَقَ،[١] كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، **أَيِّ: أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ الْإِنْعَامَ الْمُطْلَقَ التَّامَّ الْمَذْكُورَ فِي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾** [النساء: ٦٩]. **[٢].**

الشرح:

[١] (**الْحُبَّ الْمُطْلَقَ**): الحب التام، يحبهم الحب التام، الله يحب الأبرار، ويحب الظالمين لأنفسهم بقدر ما معهم من الإيمان، أما الحب التام، فهو للسابقين المقربين، والأبرار دونهم في ذلك، والظالمون لأنفسهم دون الأبرار؛ طبقات.

[٢] فالسابقون المقربون أنعم الله عليهم الإنعام التام، الذي ليس فيه نقص، وأما من دونهم، فالله أنعم عليهم أيضا مطلق الإنعام، لكن الإنعام المطلق، لا.

هناك فرق بين الإنعام المطلق، ومطلق الإنعام: مطلق الإنعام يكون فيه نقص، أما الإنعام المطلق، فلا نقص فيه؛ الجزاء من جنس العمل،

---

(١) هذا جزء من حديث: الولي، سبق تخريجه (ص ٥٧).

وإلا فالأبرار المقتصدون الله أنعم عليهم بنعمة عظيمة، كذلك الظالمون لأنفسهم، الله أنعم عليهم بقدر ما معهم من الإيمان والهداية، لكنه إنعام دون إنعام الأبرار، وإنعام الأبرار دون إنعام المقربين.

فَهَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبُونَ صَارَتْ الْمُبَاحَاتُ فِي حَقِّهِمْ طَاعَاتٍ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ، [١] فَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عِبَادَاتٍ لِلَّهِ، فَشَرِبُوا صِرْفًا كَمَا عَمِلُوا لَهُ صِرْفًا، [٢] وَالْمُقْتَصِدُونَ كَانَ فِي أَعْمَالِهِمْ مَا فَعَلُوهُ لِنُفُوسِهِمْ، [٣].

الشرح:

[١] يعني: أنهم تقربوا إلى الله بترك المباحات، فضلا عن ترك المكروهات والمحرمات، فصار عملهم كله لله ﷻ.

[٢] شربوا يوم القيامة من شراب الجنة صرفا، ليس فيه خلط: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٦]؛ أي: المقربون، في حين أنه ذكر الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: ٥]؛ ممزوجة بالكافور، وهو طيب الرائحة، لكنه ليس مثل الرحيق الخالص.

[٣] فيها ما فعلوه لنفوسهم: تمتعوا بالمباحات، وأعطوا لنفوسهم شيئًا من الراحة في المباحات، هذا لا يثابون عليه، ولا يعاقبون عليه.

المباح: ما تساوى طرفاه، ليس فيه ثواب، وليس فيه عقاب، فلما أعطوا لأنفسهم شيئا من الراحة، فإن ذلك ينقص في جزائهم يوم القيامة عن درجة المقربين، ولهذا يقولون: حسنات الأبرار سيئات المقربين، المقربون لا يعطون لأنفسهم ما يعطيه الأبرار لأنفسهم.

فَلَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَشْرَبُوا صِرْفًا؛ [١] بَلْ مُزِجَ لَهُمْ مِنْ شَرَابِ الْمُقَرَّبِينَ بِحَسَبِ مَا مَزَجُوهُ فِي الدُّنْيَا. [٢].

وَنَظِيرُ هَذَا انْقِسَامُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام إِلَى: عَبْدٍ رَسُولٍ، وَنَبِيٍّ مَلِكٍ، وَقَدْ خَيَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا. [٣].

الشرح:

[١] لكن يكون جزاؤهم أنقص من جزاء المقربين.

[٢] مزج لهم بالكافور، مزج لهم بالمسك.

[٣] الأنبياء منهم من هو عبد رسول، ومنهم من هو عبد ملك، والعبد الرسول أفضل من العبد الملك، والرسل الملوك مثل: يوسف عليه السلام، مثل: داود وسليمان، هؤلاء أنبياء، وهم ملوك في نفس الأمر، وقد خير النبي ﷺ: هل يريد أن يكون رسولا ملكا، أو يريد أن يكون عبدا رسولا؟ فاختار أن يكون عبدا رسولا. تواضع لله ﷻ، فاختار أن يكون عبدا رسولا، ولا يعطى من الملك مثل ما أعطي إخوانه: يوسف، وداود، وسليمان عليهم السلام.

فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ مِثْلُ: دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَنَحْوِهِمَا ﷺ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ الَّذِي قَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٥-٣٩]، أَيْ: أَعْطِ مَنْ شِئْتَ وَاحْرِمْ مَنْ شِئْتَ لَا حِسَابَ عَلَيْكَ. [١].

فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتْرُكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتَصَرَّفُ فِي الْوِلَايَةِ وَالْمَالِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَخْتَارُ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ عَلَيْهِ. [٢].

الشرح:

[١] الله أعطى سليمان ﷺ لما سأل ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾، أجاب الله دعوته، وأعطاه الملك الذي لم يعطه لغيره: سخر له الريح تحمله هو وجنوده إلى حيث شاء، وسخر له الشياطين والعفاريت تعمل له ليل نهار، وأعطاه من القوة والملك ما لم يعطه لغيره مع النبوة ﷺ، وأباح له أن يعطي ويمسك من غير حساب، من غير أن يحاسبه الله على ذلك، لا شك أن هذا فيه فضل عظيم، لكنه دون فضل النبي الرسول.

[٢] فكما أن المؤمنين طبقات، بعضها أفضل من بعض، فأيضا الرسل والأنبياء بعضهم أفضل من بعض: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فالله فضل بعض النبيين على بعض.

وَأَمَّا الْعَبْدُ الرَّسُولُ فَلَا يُعْطِي أَحَدًا إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَلَا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَحْرِمُ؛ كما في صَحِيحِ الْبُخَارِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِي أَحَدًا وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ»(١)؛ [١] وَلِهَذَا يُضِيفُ اللَّهُ الْأَمْوَالَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، [٢].

الشرح:

[١] النبي الملك أباح له الله أن يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ (امنن) يعني: أعط، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، لا حرج عليك في ذلك. أما العبد الرسول، فليس كذلك؛ لا يعطي من يشاء، ولا يمنع من يشاء، وإنما يعطي من أمره الله بإعطائه، ويمنع من أمره الله بمنعه؛ لأنه عبد، ليس ملكا.

[٢] ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية -كالفيء، والغنيمة، وغير ذلك، والأنفال- إلى الله والرسول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، فيجعل المال لله والرسول، ولم يجعله للرسول فقط؛ كما جعله لسليمان عليه السلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٧) بلفظ: «ما أُعْطِيكُمْ ولا أَمْنَعُكُمْ، إنما أنا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ».

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧] [١] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]. [٢].

الشرح:

[١] فالرسول ﷺ لا يعطي، ولا ينفل أحدا إلا بأمر الله ﷻ.

فالرسول ﷺ لم ينفرد بالفيء، وإنما هو لله وله؛ فلا يتصرف فيه إلا بأمر الله، فالرسول ﷺ منفذ؛ ولهذا جاء في الحديث: «مَا أُعْطِيكُمْ وَلاَ أَمْنَعُكُمْ، أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ»(١) الله هو الذي يأمر، والرسول ﷺ إنما هو منفذ.

[٢] المغانم، كيف تصرف المغانم؟ هل بهوى الناس، أو بهوى الرسول؟ لا، لابد من الرجوع إلى ما شرعه الله فيها: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾؛ يعني: من أموال الكفار في المعركة، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، في الآية الأخرى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]؛ لأنه يعطي بأمر الله، ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَلِهَذَا كَانَ أَظْهَرُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ الأَمْوَالَ تُصْرَفُ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِ وَلِيِّ الأَمْرِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ(١)، وَيُذْكَرُ هَذَا رِوَايَةً عَنْ أَحْمَدَ(٢)،[١] وَقَدْ قِيلَ فِي الْخُمُسِ: إِنَّهُ يُقَسَّمُ عَلَى خَمْسَةٍ، كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ(٣)، وَأَحْمَدَ فِي الْمَعْرُوفِ عَنْهُ(٤)، [٢].

الشرح:

[١] أي: أموال المغانم.

[٢] عملا بالآية، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]؛ سهم الله والرسول، سهم واحد، ولذي القربى اثنان، واليتامى ثلاثة، والمساكين أربعة، وابن السبيل خمسة، فالخمس يصرف على هذه المصارف الخمسة؛ كما في الآية.

---

(١) انظر: المدونة الكبرى (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: المغني (٦/ ٣١٢).

(٣) انظر: المهذب (٢/ ٢٤٦).

(٤) انظر: المغني (٦/ ٣١٣)، ومسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص ٢٤٧)، و(ص ٤٠٥).

وَقِيلَ: عَلَى ثَلَاثَةٍ، كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(١) [١].

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْعَبْدَ الرَّسُولَ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ يُوسُفَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، [٢] كَمَا أَنَّ الْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُقَرَّبِينَ سَابِقِينَ، فَمَنْ أَدَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ مَا يُحِبُّهُ، فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيَقْصِدُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَا أُبِيحَ لَهُ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ مِنْ أُولَئِكَ. [٣].

الشرح:

[١] وقيل يصرف الخمس على ثلاثة أقسام: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ذكره رحمه الله لمصارف الفيء والأموال هذا من باب الاستطراد كعادته رحمه الله، وأما المقصود وصلب الموضوع، فهو البحث في النبي الملك، والعبد الرسول.

[٢] كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم السلام هؤلاء عبيد رسل، فهم أفضل من الأنبياء الملوك؛ مثل: يوسف عليه السلام، فإنه تولى على ملك مصر، ومثل: سليمان عليه السلام، وأبيه داود عليه السلام.

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١٠/٨ - ٩).

[٣] يعني: من السابقين الذي يستعمل حياته كلها لله، يكون كل عمله عبادة، وهم السابقون الأبرار والمقتصدون، عملهم عبادة، وقد يكون فيه شيء غير عبادة؛ مباح، يكون هناك شيء مباح، لا يثابون عليه، ولا يعاقبون عليه، فهم أنقص من السابقين.

فَصْلٌ

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَهُ الْمُقْتَصِدِينَ وَالسَّابِقِينَ فِي سُورَةِ فَاطِر [١] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٥]، [٢].

الشرح:

[١] ذكر الله في سورة فاطر أن هذه الأمة المحمدية ثلاثة أقسام أو ثلاث طبقات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات. وأخبر أنهم كلهم في الجنة: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ كلهم؛ الظالم لنفسه يدخل الجنة، قد يدخلها أول وهلة، وقد يعذب، ثم يدخلها في النهاية، فمآله إلى الجنة، والمقتصدون والسابقون هؤلاء في الجنة، لا تعذيب عليهم، لا يدخلون النار.

[٢] ظالم لنفسه، وهو المؤمن الموحد الذي قد يفعل شيئًا من الكبائر التي دون الشرك، هذا ظالم لنفسه، معرض نفسه للعذاب إن لم يعف الله عنه، هذا الظالم لنفسه معرض للوعيد، لكنه من أهل الجنة؛ إما في البداية وإما في النهاية.

ثم المقتصد، وهو الذي اقتصر على فعل الواجبات والفرائض وترك المحرمات، هذا مقتصد، وهم الأبرار وأصحاب اليمين، ومنهم سابق بالخيرات، وهم المقربون.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾، وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون أصحاب الكبائر؛ لأن الله أخبر أنهم يدخلون الجنة، والخوارج والمعتزلة يقولون: لايدخلون الجنة، وهم مخلدون في النار. نسأل الله العافية من الضلال!

لَكِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. [١].

الشرح:

[١] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؛ يعني: القرآن، ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾؛ أي: اخترناهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، هم هذه الأمة، أورثها الله الكتاب، وهو القرآن العظيم، واصطفاهم: اختارهم على غيرهم من الأمم، كرمهم بذلك، وشرفهم.

وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُمْ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ بَعْدَ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِحُفَّاظِ الْقُرْآنِ،[١] بَلْ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ، [٢] وَقَسَّمَهُمْ إِلَى: ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ، وَمُقْتَصِدٍ، وَسَابِقٍ، بِخِلَافِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الْوَاقِعَةِ[١]، وَالْمُطَفِّفِينَ[٢]، وَالِانْفِطَارِ[٣]؛ [٣].

الشرح:

[١] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، فوراث هذا الكتاب هم المؤمنون، ولو كانوا لا يقرؤون القرآن، وليس ذلك خاصًا بحفاظ القرآن، بل كل مؤمن من هذه الأمة، فإنه ورث هذا الكتاب، ويحصل على هذا الجزاء عند الله ﷻ، فإن المؤمن من أهل القرآن، وإن لم يحفظه.

[٢] فهو من الذين اصطفاهم الله، وهو من هذه الأمة التي ورثت الكتاب.

[٣] فإنه ﷻ لم يذكر في الواقعة إلا صنفين من المؤمنين: المقربين وأصحاب اليمين، وذكر معهم أصحاب الشمال، وهم الكفار، وكذلك في سورة الإنسان ذكر صنفين فقط: المقربين والأبرار، وذكر الكفار معهم، وفي سورة الانفطار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، ذكر الصنفين فقط، أما في سورة فاطر، فذكر الأصناف

---

(١) يعني الآيات من (١-١٤)، وكذا الآيات من (٨٣ - ٩٦)، وسبق ذكرها (ص ١٩٥).

(٢) يعني الآيات من (٧ - ٢٨)، وسبق ذكرها (ص ١٩٩).

(٣) يعني الآيات من (٣ - ١٢).

الثلاثة من هذه الأمة، وذكر بعدهم أهل النار - والعياذ بالله -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، فذكر أربعة أصناف؛ ثلاثة من هذه الأمة، وصنف الكفار صنف واحد - والعياذ بالله -. والمطففين أيضا ذكر فيها المقربين والأبرار فقط.

فَإِنَّهُ دَخَلَ فِيهَا جَمِيعُ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَافِرُهُمْ وَمُؤْمِنُهُمْ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. [١].

فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ: أَصْحَابُ الذُّنُوبِ الْمُصِرُّونَ عَلَيْهَا.

وَالْمُقْتَصِدُ: الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ الْمُجْتَنِبُ لِلْمَحَارِمِ.

وَالسَّابِقُ لِلْخَيْرَاتِ: هُوَ الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، كَمَا فِي تِلْكَ الْآيَاتِ، وَمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ تَوْبَةً صَحِيحَةً لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنِ السَّابِقِينَ وَالْمُقْتَصِدِينَ، [٢].

الشرح:

[١] سورة الواقعة وسورة الإنسان وسورة المطففين وسورة الانفطار دخل فيها المؤمن والكافر من جميع الأمم، لكن هذه الآية من سورة فاطر خاصة بهذه الأمة، بالمؤمنين من هذه الأمة.

[٢] أما من تاب من الذنوب، فهو كمن لا ذنب له، حتى ولو فعل الشرك والكفر، وتاب فتاب الله عليه؛ كمن لا ذنب له، إنما هذا في أصحاب الذنوب الذين لم يتوبوا، وهي دون الشرك، هؤلاء تحت المشيئة.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٦] [١].

الشرح:

[١] قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، تابوا منها، صاروا في الجنة؛ كأنهم لم يذنبوا. ففيه فضل التوبة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾، فالتائب من الذنب لا تنقص درجته عن السابقين والأبرار وأصحاب اليمين، إذا حسن عمله، لا ينقص، ولا تنقصه المعصية التي تاب منها؛ كأنها لم تكن.

وَقَوْلُهُ: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣]، مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ. [١].

وَأَمَّا دُخُولُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ النَّارَ فَهَذَا مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ السُّنَنُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ، وَإِخْرَاجِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَشَفَاعَةِ غَيْرِهِ. فَمَنْ قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَتَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى أَنَّ السَّابِقِينَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا، وَأَنَّ الْمُقْتَصِدَ أَوْ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ لَا يَدْخُلُهَا، كَمَا تَأَوَّلَهُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَهُوَ مُقَابَلٌ بِتَأْوِيلِ الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ لَا يَقْطَعُونَ بِدُخُولِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ النَّارَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ قَدْ يَدْخُلُ جَمِيعُهُمُ الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ عَذَابٍ، وَكِلَاهُمَا مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا. [٢].

الشرح:

[١] ردا على الخوارج والمعتزلة، الذين يقولون: إنه يخلد في النار من دخلها، لا يخرج منها، والأدلة من القرآن والسنة على أن الموحد إن دخل النار، فإنه لا يخلد فيها، بل يخرج منها.

[٢] هذا رد على المرجئة، هذا الكلام فيه رد على الطائفتين، على الذين يقولون: إن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، لا يخرجون منها. وهم الخوارج والمعتزلة. المرجئة على النقيض؛ يقولون: أصحاب الكبائر

لا يدخلون النار أبدا، هم في الجنة، ولا تضرهم الكبائر التي دون الشرك. وهذا غرور وجهل؛ فإنه تواترت الأدلة على أن أصحاب الكبائر قد يدخلون النار، ويعذبون فيها، وقد يبقون فيها مدة طويلة، ويخرجون من النار فحما متفحمين، ثم تنبت أجسامهم، وتحيا، ثم يدخلون الجنة[(١)]، فهذا رد على المرجئة، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، والإيمان لا ينقص بالمعاصي، ولا تضرهم. هذا جهل، وقول على الله بغير علم، ومخالفة للأدلة؛ فالخوارج والمرجئة على طرفي نقيض، أهل السنة متوسطون - ولله الحمد - في هذا، فلا يقولون: إن المعصية لا تضر، وإن العاصي صاحب الكبيرة كامل الإيمان؛ كما تقوله المرجئة، ولا يقولون: إنه ليس معه إيمان أصلا، وهو كافر؛ كما تقوله الخوارج، بل يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ...».

وَقَدْ دَلَّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ الطَّائِفَتَيْنِ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ، وَهُوَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، **[١] فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَهُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ التَّائِبُ؛ [٢] كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِمَنْ تَابَ، [٣] وَمَا دُونَ الشِّرْكِ يَغْفِرُهُ اللَّهُ أَيْضًا لِلتَّائِبِ، فَلَا تَعَلُّقَ بِالْمَشِيئَةِ.**

الشرح:

[١] هذا رد على الخوارج والمعتزلة؛ كما تقدم.

[٢] التائب هذا كمن لا ذنب له، إنما الكلام في غير التائب صاحب الكبيرة التي لم يتب منها، هذا محل الدليل.

[٣] حتى الشرك والكفر فالتوبة تجُبُّ ما قبلها، وليس خاصا بصاحب الكبيرة.

وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْفِرَةَ لِلتَّائِبِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، [١] فَهُنَا عَمَّمَ الْمَغْفِرَةَ وَأَطْلَقَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْعَبْدِ أَيَّ ذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ، فَمَنْ تَابَ مِنْ الشِّرْكِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَابَ مِنْ الْكَبَائِرِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَيُّ ذَنْبٍ تَابَ الْعَبْدُ مِنْهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ.

فَفِي آيَةِ التَّوْبَةِ عَمَّمَ وَأَطْلَقَ، وَفِي تِلْكَ الْآيَةِ خَصَّصَ وَعَلَّقَ، فَخَصَّ الشِّرْكَ بِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَعَلَّقَ مَا سِوَاهُ عَلَى الْمَشِيئَةِ، [٢] وَمِنْ الشِّرْكِ التَّعْطِيلُ لِلْخَالِقِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ يَجْزِمُ بِالْمَغْفِرَةِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ. [٣].

الشرح:

[١] ثم قال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، أمر بالتوبة؛ فهو يغفر الذنوب جميعا لمن تاب.

[٢] يغفر ما دون ذلك لمن يشاء، أما في آية التوبة، فلم يستثنِ، لم يقل: من تاب، تاب الله عليه إن شاء.

[٣] هذا الرد على المرجئة، أشد من الشرك الجحود والتعطيل، الذين ينكرون الرب ﷻ.

وَنَبَّهَ بِالشِّرْكِ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، كَتَعْطِيلِ الْخَالِقِ، [١] أَوْ يَجُوزُ إِلَّا يُعَذَّبَ بِذَنْبٍ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ، [٢] وَلَوْ كَانَ كُلُّ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ مَغْفُورًا لَهُ بِلَا تَوْبَةٍ وَلَا حَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ لَمْ يُعَلِّقْ ذَلِكَ بِالْمَشِيئَةِ، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَغْفِرُ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ، فَبَطَلَ النَّفْيُ وَالْوَقْفُ الْعَامُّ. [٣].

الشرح:

[١] يعني جحد الرب ﷻ، والقول بأن الأمر معلق بالدهر أو بالطبيعة، وليس هناك خالق -تعالى الله عما يقولون- وهم الدهرية والملاحدة.

[٢] أو يجوز ألا يعذب بذنب؛ كما هو قول المرجئة، يقولون: لا يعذب بذنب ما دام أنه مؤمن، وإن صدرت منه ذنوب، فهو لا يعذب أبدا.

[٣] ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فالتوبة لم يعلقها الله بالمشيئة، من تاب، تاب الله عليه، وإنما علق العفو بالمشيئة لمن لم يتب من المؤمنين.

فَصْلٌ

وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ﷻ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ. وَالنَّاسُ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، [١].

الشرح:

[١] أولًا: الضابط في ولي الله من هو؟ بيَّنه الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣]، فمن جمع بين هذين الوصفين - الإيمان، والتقوى -، فإنه ولي لله، ومن فقد الوصفين أو أحدهما، فإنه عدو لله، وهو من أولياء الشيطان، هذا مقتضى ما دل عليه القرآن من تعريف الولي، لا كما تصالح عليه المخرفون من أن الولي هو الذي يظهر على يده خارق من الخوارق المخالفة للواقع، ويعتبرون هذا وليًّا، فإذا كان يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، أو يدخل النار، ولا تحرقه بزعمهم، فهذا ولي لله، دون نظر إلى عمله: هل عنده الوصفان أو لا؟ هل هو مؤمن تقي أو لا؟ فإن كان مؤمنًا تقيًّا، فهذا الذي يجري على يديه كرامة من كرامات الأولياء، أما إذا كان فاقدًا للوصفين أو أحدهما، فهذا ليس وليًّا لله، وهذا الخارق يعد خارقًا شيطانيًّا، فإن الشياطين تحمله في الهواء، تطير به في الهواء، تمشي به على الماء، تخيل إلى الناس أنه يدخل في النار، ولا تحرقه...، إلى آخره؛ يعني: خوارق شيطانية تجري على يد عدو الله، فلا يغتر بهذا الأمر، قال

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم إن أولياء الله يتفاوتون؛ بعضهم أقرب إلى الله من بعض، السابقون المقربون أقرب إلى الله من الأبرار وأصحاب اليمين، وأصحاب اليمين والأبرار أقرب من الظالمين لأنفسهم من المؤمنين الذين عندهم إيمان، لكن عندهم مخالفات لا تخرجهم من الدين، فهم يتفاوتون في الولاية لله ﷻ بتفاوت إيمانهم وتقواهم: قوة، وضعفا، وتوسطا.

فَهُمْ مُتَفَاضِلُونَ فِي وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ. [١] وَأَصْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى: الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللَّهِ، [٢].

الشرح:

[١] كما أن أعداء الله وأولياء الشيطان يتفاوتون؛ بعضهم أشد عداوة وكفرًا من بعض، بحسب ما يحصل منهم من الكفر والضلال، فبعضهم أشد عداوة لله من بعض.

[٢] أساس الإيمان والتقوى الإيمان بالرسل؛ لأن من آمن بالرسل، فقد آمن بالمرسِل - وهو الله ﷻ -، وآمن بما معهم من الشرائع، وما معهم من الكتب.

الإيمان بالرسل يتضمن الإيمان بالله، والإيمان بكتبه، والإيمان بكل ما أخبروا به، وما جاؤوا به، بخلاف من لم يؤمن بالرسل، فإنه -وإن ادعى أنه ولي لله- من أولياء الشيطان؛ لأن كفره بالرسل يتضمن كفره بما جاء به. وهذا فيه رد على من يدعون الولاية، وهم ليسوا من أتباع الرسل، يقولون: لسنا بحاجة إلى الرسل، نحن عرفنا ووصلنا إلى الله، لسنا بحاجة إلى الرسل، الرسل إنما هم للعوام، أما نحن، فخاصة، ومنهم خاصة -الخاصة كما يقولون-، فهؤلاء أعداء الرسل، فكيف يكونون أولياء لله ﷻ؟ وهم يقولون: لسنا بحاجة إلى الرسل، نحن نعرف الله، ونصل إليه بدون الرسل.

وَجِمَاعُ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِخَاتَمِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، [١] فَالْإِيمَانُ بِهِ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، [٢].

الشرح:

[١] من آمن بمحمد ﷺ، فهو مؤمن بجميع الرسل؛ لأنه هو خاتم المرسلين، وهو المصدق للرسل ﷺ، ومن كفر بهذا الرسول، فهو كافر بالرسل؛ كاليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بهذا الرسول، هؤلاء كافرون بجميع الرسل، حتى الرسل الذين يزعمون أنهم من أتباعهم، وأنهم يؤمنون بهم، هم كافرون بهم.

[٢] لأنه خاتم الرسل، وكتابه مهيمن على الكتب السابقة، وناسخ لها، فهو الكتاب الخاتم، والكتاب الناسخ لما قبله، فمن لم يؤمن بهذا الرسول وبهذا القرآن، فهو كافر بجميع الرسل، وإن كان يزعم أنه مؤمن بهم؛ لأن من جحد نبيا واحدا، فهو جاحد لجميع الرسل، فكيف إذا كان هذا النبي الذي جحده هو أفضل الرسل، وخاتم الرسل، والمصدق للرسل. وهذا يفرق بين الله ورسله، ومن فرق بين الله ورسله، فآمن ببعض وكفر ببعض، فهم الكافرون حقا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠- ١٥٢].

وَأَصْلُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ هُوَ الْكُفْرُ بِالرُّسُلِ وَبِمَا جَاءُوا بِهِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ؛ [١] فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ. [٢].

الشرح:

[١] لأن الكفار على قسمين:

كفار في الظاهر والباطن، وهم الذين لا يؤمنون بالرسل، أو لا يؤمنون ببعضهم.

وكفار في الباطن دون الظاهر، وهم المنافقون الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، وهؤلاء شر من الكفار الذين أظهروا كفرهم؛ لأن الذين أظهروا كفرهم عُرفوا أنهم أعداء لله ورسوله، فيعاملون معاملة الكفار، أما هؤلاء، فأبطنوا كفرهم، وخادعوا؛ فيغتر بهم من لا يعرف حقيقتهم، وضرر المنافقين على الإسلام أشد من ضرر الكفار بكثير.

[٢] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولهذا يعاتب الكفار يوم القيامة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩]، يقولون للرسل: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]، يضللون الرسل، نسأل الله العافية! ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، فهم يعترفون يوم القيامة بأنهم بلغتهم الرسل، وأنه

ليس لهم عذر؛ لأن الله لا يظلم أحدا، ولو كانت ما بلغتهم دعوة الرسل، فإنه لا تكون قامت عليهم الحجة، والله لا يعذب إلا من بلغته الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولذلك أهل الفترة وأطفال المشركين، والذين لم تبلغهم الدعوة؛ كانوا منقطعين عن العالم، ولم يسمعوا بشيء، فهؤلاء يسمون أهل الفترة، أمرهم إلى الله ﷻ يوم القيامة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]، [١].

الشرح:

[١] يجب الإيمان بجميع الرسل؛ من أولهم إلى آخرهم، من سمى الله منهم ومن لم يسم، قد سمى الله منهم طائفة؛ مثلما في هذه الآية، وفي آية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٤]، هؤلاء سماهم الله، فنؤمن بهم، ونؤمن بمن لم يسم لنا، ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ﴾ [النساء: ١٦٤]، وأول الرسل هو نوح ﷺ، هو أول رسول إلى أهل الأرض؛ ولهذا قال: ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾؛ فهو أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك فيها في قوم نوح، لما عبدوا الأولياء والصالحين، ونصبوا صورهم، وعبدوها، حدث الشرك من ذاك الوقت، فأرسل الله نوحا ﷺ، فهو أول رسول بعد حدوث الشرك في الأرض، وكانوا من قبل على دين

آدم عليه السلام، كان فيهم أنبياء يعلمونهم، ويرشدونهم، وكانوا على التوحيد، وإنما حدث الشرك في قوم نوح، فأرسل الله إليهم أول رسول، وهو نوح عليه السلام، والشاهد من الآية بيان الحكمة من إرسال الرسل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، هذه هي الحكمة من إرسال الرسل؛ لئلا يحتج أحد يوم القيامة، ويقول: أنا ما بلغني رسالة، ولا بلغني دين، الله قطع معذرتهم بإرسال الرسل.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨- ٩]. [١] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَوْجٌ أَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ جَاءَهُمْ النَّذِيرُ فَكَذَّبُوهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُلْقَى فِيهَا فَوْجٌ إِلَّا مَنْ كَذَّبَ النَّذِيرَ. [٢].

الشرح:

[١] فهذا فيه أنه قامت عليهم الحجة، وأنهم جاءهم النذير، بلغهم، لكنهم كذبوا: ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾، وجحدوا الوحي من الله ﷻ؛ ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ﴾ أيها الرسل ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ (إن) بمعنى: (ما) نافية؛ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾، فحصروا الضلال على الرسل - والعياذ بالله -، حصروا الضلالة على الرسل، ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾، ليس عندكم هدى.

[٢] ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الملك: ٩ - ١٠]، اعترفوا أنهم لا يسمعون، ولا يعقلون من الرسل، أنهم صموا آذانهم، وأغلقوا عقولهم، ولم يلتفتوا إلى ما جاء به الرسل، فتكبروا عن ذلك: ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، قال الله ﷻ: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]؛ لأن الله لا يظلم أحدا، لا يعذبه بدون ذنب، ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا﴾؛ أي: بعدا ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِإِبْلِيسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]. [١] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْلَؤُهَا بِإِبْلِيسَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ؛ فَإِذَا مُلِئَتْ بِهِمْ لَمْ يَدْخُلْهَا غَيْرُهُمْ. [٢] فَعُلِمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ تَبِعَ الشَّيْطَانَ، [٣] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعْ الشَّيْطَانَ وَلَمْ يَكُنْ مُذْنِبًا، [٤] وَمَا تَقَدَّمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِالرُّسُلِ. [٥].

الشرح:

[١] هؤلاء أولياء إبليس، الذين يتبعون إبليس، ويكونون معه يوم القيامة في جهنم: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾، فالنار دار إبليس ومن تبعه، والجنة دار المتقين، ودار الرسل وأتباعهم.

[٢] دخول خلود، قد يدخلها من أتباع الرسل أصحاب المعاصي والكبائر، لكنهم لا يخلدون فيها.

[٣] إلا من تبع الشيطان اتباعًا كليًا، فيدخلها دخولًا مؤبدًا، أو تبعه بعض الاتباع، فيدخلها بقدر ما حصل منه.

[٤] هناك طرف ثالث ليسوا من أتباع الشيطان، وليسوا مؤمنين؛ مثل: الصغار الأطفال الذين لم يبلغوا التمييز، مثل: أصحاب الفترة، مثل: المجانين الذين ليس لهم عقول، فهؤلاء صنف ثالث، لم يحصل منهم كفر، ولم يحصل منهم إيمان.

[٥] أما من لم تقم عليه الحجة -كأصحاب الفترة، والأطفال الذين لم يبلغوا سن التمييز، والمجانين والبله الذين ليس لهم عقول-، فهؤلاء لايدخلون النار؛ لأنهم ليس لهم ذنب.

فَصْلٌ

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ إِيمَانًا مُجْمَلًا، [١] وَأَمَّا الْإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ فَيَكُونُ قَدْ بَلَغَهُ كَثِيرٌ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ بَعْضُ ذَلِكَ، [٢] فَيُؤْمِنُ بِمَا بَلَغَهُ عَنْ الرُّسُلِ، وَمَا لَمْ يَبْلُغْهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَوْ بَلَغَهُ لَآمَنَ بِهِ، وَلَكِنْ آمَنَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِيمَانًا مُجْمَلًا. [٣].

الشرح:

[١] الإيمان بالرسل يتفاوت؛ فإيمان العوام يختلف عن إيمان العلماء، والعلماء يعلمون تفاصيل، ويعلمون ما لا يعلمه الجهال، فيجب على العالم أكثر مما يجب على الجاهل؛ لأن العالم يعلم التفصيل، وأما الجاهل، فإنه عنده علم مجمل، العامي عنده علم مجمل، فيؤمن بقدر علمه.

[٢] يعني تعلم، وعرف كثيرا مما جاءت به الرسل؛ فهو أوسع دائرة وإيمان من العامي، الله ﷻ قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، خشيتهم أكثر من خشية الجهال، وإن كان جهال المؤمنين مؤمنين بالله ﷻ، وعندهم خشية لله، لكنها أقل من خشية العلماء.

[٣] هو يؤمن بما بلغه، ويؤمن بما جاءت به الرسل، مما لم يبلغه؛ لأن لا أحد يحيط بالعلم، لكنه يؤمن بما بلغه إيمانا مفصلا، ويؤمن بما لم يبلغه إيمانا مجملا، هكذا المؤمن.

فَهَذَا إِذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهِ مَعَ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، [١] لَهُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ، وَمَا لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْهُ مَعْرِفَتَهُ وَالْإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ بِهِ، [٢] فَلَا يُعَذِّبُهُ عَلَى تَرْكِهِ، لَكِنْ يَفُوتُهُ مِنْ كَمَالِ وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ، [٣].

الشرح:

[١] إذا عمل بعلمه مع الإخلاص لله، فهو من أولياء الله.

[٢] كما سبق أن المؤمنين يتفاوتون في الولاية؛ بعضهم أرفع من بعض: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

[٣] الذي لم تبلغه الحجة، ولم تبلغه الرسالة، فهذا لا يكلف أن يؤمن بشيء لم يبلغه، لم يعرفه، هذا يعذر بجهله، لكنه فيمن لا يمكن زوال جهله، لم يسمع شيئا ولا عنده أحد يبلغه، وعاش منقطعا عن العالم، وكذلك لعوام الذين بلغهم الإسلام، لكن لا يعرفون التفاصيل التي يعرفها العلماء، فالعلماء الذين يعملون بعلمهم، ويخلصون لله أرفع درجة من العوام الذين لا يعلمون التفاصيل.

فَمَنْ عَلِمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ وَآمَنَ بِهِ إِيمَانًا مُفَصَّلًا وَعَمِلَ بِهِ، فَهُوَ أَكْمَلُ إِيمَانًا وَوِلَايَةً لِلَّهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مُفَصَّلًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَكِلَاهُمَا وَلِيٌّ لِلَّهِ تَعَالَى. [١] وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ. [٢].

الشرح:

[١] كلاهما ولي لله؛ لأنهم مؤمنون متقون، لكن تفاوتوا في الإيمان والتقوى؛ فتفاوتوا في الدرجة عند الله ﷻ.

[٢] قال ﷻ: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] والجنة درجات، كل درجة يسكنها أهلها الذين استحقوها؛ فليسوا بمنزلة واحدة، كما أن النار - والعياذ بالله - دركات بعضها تحت بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، الجنة درجات، لماذا صارت درجات؟ لأن أعمال أهلها متفاوتة، والله ﷻ لا يظلم أحدا، فينزل كل واحد بما يستحق من عمله، فهم يتفاوتون فيها بحسب أعمالهم.

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢١]. [١].

الشرح:

[١] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ الله فاوت بين العباد في الدنيا؛ في الأرزاق، والإمكانيات، والفقر، والغنى. . .، إلى آخره: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، لا أحد يمنع عطاء الله ﷻ، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فهو يعطي الناس في الدنيا، ويفاوت بينهم، وإن كانوا كفارا، فإذا كان لا يريد إلا الدنيا، فإن الله يعطيه من الدنيا ما يريد ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥]، نعطيهم، ولذلك تجد عند الكفار من العلوم الدنيوية، ومن الإمكانيات، ومن المقدرات ما ليس عند المؤمنين؛ لأن المؤمنين على العكس يريدون الآخرة، ولا يريدون الدنيا إلا بقدر ما يبلغهم للآخرة، أما هؤلاء، فيريدون الدنيا بذاتها، ولا يريدون الآخرة؛ فلذلك -وإن وفرت لهم الدنيا- فإنهم يحرمون يوم القيامة من الجنة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]، فالله أعطاهم

من الدنيا، ووفر لهم، ووفى لهم مطلوبهم، لكن لما لم يريدوا الآخرة، لم يكن لهم فيها نصيب -والعياذ بالله-، وماذا تنفعه الدنيا؟! ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾، أما من أراد الآخرة، وسعى لها سعيها، أرادها، وسعى، ولا تكفي الإرادة بدون سعي، بل لابد من السعي بالعمل الصالح، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ شرطان: سعى لها سعيها، وهو مؤمن مصدق بما عند الله ﷻ، مصدق بالآخرة، والجزاء، والجنة، والنار، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾، يشكر الله لهم ذلك ﷻ؛ لأن الله غفور شكور، يشكر لهم، ولا يضيع أعمالهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ المؤمنين والكفار، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ثم قال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾، في الدنيا، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

فَبَيَّنَ اللَّهُ ﷻ، أَنَّهُ يَمُدُّ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ مِنْ عَطَائِهِ، وَأَنَّ عَطَاءَهُ مَا كَانَ مَحْظُورًا مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ، [١] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١] **فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَتَفَاضَلُونَ فِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ دَرَجَاتِهَا أَكْبَرُ مِنْ دَرَجَاتِ الدُّنْيَا، [٢].**

الشرح:

[١] يعني ليس ممنوعا، لا من البر، ولا من الفاجر؛ فهو يعطي المؤمن والكافر في هذه الدنيا، من الذي يرزق الكفار، يطعمهم، ويسقيهم، ويمكنهم من الرفاهية، ومن هذه المخترعات؟ هو الله ﷻ، ومن الذي يمد المؤمنين بالإيمان واليقين والعمل الصالح، ويرزقهم أيضا من الدنيا من الطيبات، ومن المال الطيب، هو الله ﷻ، هو الذي يرزق هؤلاء وهؤلاء في الدنيا، ويتفاوتون في الدنيا، والآخرة أكبر تفاوتا وأكبر تفضيلا.

[٢] ما بين كل درجتين؛ كما بين السماء والأرض؛ كما قال ﷺ.

وَقَدْ بَيَّنَ تَفَاضُلَ أَنْبِيَائِهِ عليهم السلام كَتَفَاضُلِ سَائِرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ [١] فَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، **وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] **[٢].**

الشرح:

[١] تفاضل الأنبياء، تفاضل الصحابة، تفاضل سائر المؤمنين، ليسوا على حد سواء في الإيمان، ولا يكونون على حد سواء في الجزاء يوم القيامة في الدرجات؛ لأن الله لا يظلم أحدا، بل يتفضل أكثر من عمل الإنسان، ويضاعف له.

[٢] الرسل عليهم السلام يتفاضلون فيما بينهم، منهم من كلم الله مثل: موسى عليه السلام ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، فعند موسى عليه السلام ما ليس عند غيره من إخوانه النبيين، وعند عيسى عليه السلام ما ليس عند غيره من إخوانه من النبيين، وعند محمد ﷺ ما ليس عند الجميع، وإبراهيم عليه السلام عنده ما ليس عند غيره، الرسل يتفاضلون عليهم السلام: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ولكن لا يتنقص المفضول، ولا يجوز لأحد أن يتنقص أحدًا من الأنبياء، وإن كان مفضولا، وغيره من إخوانه أفضل منه من النبيين، فلا يتنقص الأنبياء؛ ولهذا قال ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُوا

بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»(١)، فلا يجوز التفضيل من باب الافتخار، واحتقار الآخر وانتقاصه.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ مثل: موسى عليه السلام كلمه الله، الله مكلِّم، ومن مُكلَّم؟ اسم مفعول؛ ولهذا حاول الجهمي عمرو بن عبيد مع القارئ أبي عمرو بن العلاء: أريدك أن تقرأ هذه الآية: (مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهَ)، فيكون النبي هو الذي كلم الله، لا أن الله هو الذي كلمه؛ حتى يجحد كلام الله، أن الله يتكلم، فقال له: هبني قرأتها كذا، ماذا تقول في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فعند ذلك انبهت الخبيث، وانسد عليه الطريق(٢).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ يعني: بجبريل عليه السلام، هو روح القدس.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾، وهو الكتاب، كتاب الزبور الذي يترنم به. إذا ترنم داود بالزبور، خشعت الجبال، والطيور، وصرن يرددن معه، يرجعن معه لحسن صوته ﷺ، هذه فضيلة خاصة بداود عليه السلام.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٧٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣)، والبداية والنهاية (١٠/ ٨٠).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُك، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَن، وَإِنْ أَصَابَك شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْت لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١). [١].

الشرح:

[١] مما يدل على التفاضل هذا الحديث: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»، فدل على أن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم، فالقوي في إيمانه خير من الضعيف في إيمانه، «وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»؛ المؤمن وإن كان إيمانه ضعيفا، ففيه خير، خير من الكافر والمنافق؛ فلايحتقر الضعيف من المؤمنين، لا يحتقر؛ لأنه أحب إلى الله من كثير، أحب إلى الله من جميع الكفار.

وهذا فيه فعل الأسباب، وأن الإنسان لا يقول: أنا متوكل على الله، ومؤمن بالله، ويعطل الأسباب، بل يعمل الأسباب: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ»؛ تترك العمل، وتترك الكسب، وتقول: أنا متوكل على الله. هذا لا يجوز.

وطلب الرزق وفعل الأسباب، هو من قدر الله، لا يعارض القدر، تقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

إن كان الله مقدرًا لي شيئًا، فسوف يأتيني، ما يأتيك إلا بسبب، إلا إذا فعلت السبب، فإذا فعلت السبب، قد يأتيك المطلوب، وقد لا يأتيك، ولله الحكمة في ذلك، قد يكون عدم حصوله لك أحسن لك، فلا تجزع ولا تسخط، «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، فيصبح الإنسان في قلق: لماذا لم أفعل كذا؟! أنا الذي خربت. لا تلم نفسك، ولا تلم القدر، شيء فعلت فيه السبب، ولم يحصل، تؤمن بالله ﷻ، وتعلم أنه لو قدر، لحصل، لكنه لم يقدر، «قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

الشاهد من الحديث هو أوله: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»؛ لا بالنسب، ولا بالشرف، ولا بالحسب، إنما هو بالعمل، قال ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١)، [١] وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، **[٢].**

الشرح:

[١] فدل على أن الحكام يتفاضلون، وهم العلماء، يتفاضلون في طلب الحكم الشرعي من الأدلة، يتفاضلون في ذلك، فمنهم من يصيب الحكم الشرعي باجتهاده، فيكون له أجران - أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة -، ومنهم من يجتهد، ولا يصيب، فيكون له أجر واحد -أجر الاجتهاد-، فدل على أن العلماء يتفاضلون، والفقهاء يتفاضلون، وفيه الحث على الاجتهاد وطلب الحكم الشرعي من الأدلة.

[٢] الصحابة ﷺ يتفاضلون، الذين آمنوا وأنفقوا قبل فتح مكة أفضل من الذين آمنوا وأنفقوا بعد فتح مكة، ثم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾؛ من الذين آمنوا بعد الفتح، والذين آمنوا، وأنفقوا قبل الفتح، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾؛ مثل: قوله ﷺ: «وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»، فإذا كان الصحابة يتفاضلون، كذلك بقية المؤمنين، التفاضل إنما هو بالعمل.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦]، [١].

الشرح:

[١] فالله فضل المجاهدين في سبيله على القاعدين تفضيلين: تفضيل بدرجة، وتفضيل بدرجات. فالله فضل المجاهدين على القاعدين غير أولي الضرر، الذين لهم عذر، لهم أجر، ولهم نيتهم في الجهاد، ولكن الذين باشروا الجهاد أفضل من الذين نووه بقلوبهم، وعجزوا بأبدانهم، لكنه ليس فضلًا كثيرًا، أفضل بدرجة فقط؛ لأن هؤلاء إنما حبسهم العذر، فلهم أجر من خرج وجاهد، لكن من جاهد بنيته أقل درجة ممن جاهد بنيته وبمباشرته بنفسه في الجهاد: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ القاعدون عن ماذا؟ عن الجهاد، ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾؛ الذين لهم عذر، ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، الله لا يقنط أحدا، ولا ييئس أحدا، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ الذين ليس لهم عذر، هذا في الجهاد الذي هو فرض كفاية؛ لأن الجهاد على قسمين: فرض عين، إذا حاصر العدو البلد، وفرض كفاية، وهو جهاد الطلب، الجهاد على نوعين: جهاد الدفاع، وجهاد الطلب، فجهاد الدفاع هذا فرض

عين على كل من يقدر عليه، وأما جهاد الطلب، فهذا فرض كفاية، إذا قام به من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، لكن الذي قام به يرفعه الله درجات على الذي لم يقم به ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥-٩٦]، فهذا دليل على أن المجاهدين في سبيل الله يتفاوتون، فمن قعد لعذر، فالمجاهد بنفسه والمباشر أفضل منه بدرجة، ومن قعد بغير عذر، جاز له ذلك، ولكن يفضل عليه الذي جاهد بدرجات كثيرة، لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ لأنه لم يحددها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢]، [١].

الشرح:

[١] الأعمال تتفاضل: أيضا سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، هذه أعمال صالحة، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا؛ لأن هناك من يفتخر بعمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج، وخدمة الحجاج، وظن أن هذا يكفي، الله ﷻ بيّن أن هناك ما هو أعلى منه، وهو الجهاد في سبيل الله ﷻ.

(وسقاية الحاج): توفير الماء لهم من زمزم، السقاية كانت لبعض بطون بني هاشم، وبعضهم يتولى الرفادة، وهي إطعام الحجاج، وبعضهم يتولى السدانة (سدانة الكعبة)، فكانت أعمال الحج موزعة على قريش: منهم من يتولى سدانة الكعبة؛ فتحها وإغلاقها والمحافظة عليها، ومنهم من يتولى سقاية الحجاج؛ توفير الماء للحجاج في المشاعر، ومنهم من يتولى الرفادة، وهي إطعام المحتاجين من الحجاج. هذه أعمال جليلة، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل منها، فدل على أن الأعمال الصالحة تتفاضل؛ فالذي

يجاهد في سبيل الله أفضل من المعتكف في المسجد الحرام. سبحان الله! مع أن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾، هذا دليل على أن الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج، وإن كانت هذه أعمال صالحة وجليلة مع الإخلاص لله ﷻ، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل منها بكثير.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، هذا للمجاهدين.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، [١] **وقال تعالى:** ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. [٢].

الشرح:

[١] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾، القنوت هنا معناه: طول قيام الليل، ﴿قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ﴾، هل يستوي هو والمؤمن النائم؟ لا يستوي، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾؛ يعني: ساعات الليل، ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾، هذا دليل على أن العلماء أفضل من العوام من المؤمنين.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ﴾ [المجادلة: ١١]؛ يعني: مجالس الذكر، حلق الذكر؛ لأنه قد يأتي من يريد الاستماع، ولا يجد مكانا، الله أمرهم أن يفسحوا له مكانًا، ويمكنوه من حضور العلم: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾؛ أي: مجالس طلب العلم، ﴿فَافْسَحُوا﴾ لمن جاء متأخرا: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وسّعوا له في المجلس، يوسع الله لكم في الجنة، وفي الدنيا أيضا، ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾؛ يعني: قوموا إلى

الصلاة، فقوموا، ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، ثم قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، هذا محل الشاهد، فالمؤمنون يتفاوتون، والعلماء يتفاوتون في الأجر، فهذا دليل على أن الأعمال تتفاضل، وأن المؤمنين يتفاضلون، ويتفاوتون في الأعمال.

فَصْلٌ

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا، لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. [١].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ -وَقَدْ تَقَدَّمَ- يَقُولُ اللَّهُ تبارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»(١) وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا تَقِيًّا حَتَّى يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ، فَيَكُونُ مِنَ الْأَبْرَارِ أَهْلِ الْيَمِينِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى يَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، [٢].

الشرح:

[١] سبق لنا أن المؤمنين درجاتح منهم السابقون المقربون، وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض والنوافل، وينالون محبة الله ونصرته وتأييده، هؤلاء هم المقربون، ومنهم المقتصدون الأبرار الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فهؤلاء مقتصدون، وهم الأبرار وأصحاب اليمين، يتفاوتون.

[٢] فالسابقون المقربون عندهم زيادة النوافل بعد الفرائض، أما المقتصدون، فعندهم الفرائض فقط، وهي خير كثير، الفرائض خير كثير.

---

(١) انظر: تخريجه (٥٧).

فَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ. [١] وَكَذَلِكَ مَنْ لَا يَصِحُّ إِيمَانُهُ وَعِبَادَاتُهُ، وَإِنْ قَدَرَ أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ [٢] - وَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ حَتَّى يُرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ - فَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانُوا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، [٣].

الشرح:

[١] لأن قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ يخرج الكفار.

[٢] هذا الصنف الثالث الذي لا له، ولا عليه، وهو الطفل الصغير الذي لم يميز، والمجنون الذي ليس عنده عقل، وكذلك الذي لم تبلغه الدعوة. لا يصح إيمانه؛ لأنه غير مكلف، ليس لأنه عنده ناقض من النواقض التي تبطلها، بل لأنه غير مكلف، ليس عنده شرط الصحة. «**أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ**» أصحاب الفترة.

[٣] يعني: اختلفوا في أصحاب الفترة، وأطفال المشركين، ومن لم تبلغه الدعوة، فمنهم من توقف، ووكل أمرهم إلى الله، ومنهم من قال: يرسل إليهم رسولًا يوم القيامة، يدعوهم إلى الله، فمن آمن، دخل الجنة، ومن أبى، دخل النار؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقيل: إنهم هم المعنيون بقوله ﷻ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾؛ يعني: بين الجنة والنار، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]، هؤلاء هم أصحاب الفترة. ولكن لا يعذبون، هم ليسوا من أولياء الله، لكنهم ليسوا كفارا؛ فلا يعذبون؛ لأنهم معذورون.

فَمَنْ لَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ لَا بِفِعْلِ الْحَسَنَاتِ وَلَا بِتَرْكِ السَّيِّئَاتِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. [١] وَكَذَلِكَ الْمَجَانِينُ وَالْأَطْفَالُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»(١). [٢] وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ ﭭ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ عَلَى تَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ. [٣].

الشرح:

[١] لا يكون من أوليائه إلا من تقرب إليه: «وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ»، وقال: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»(٢)؛ فلايكون وليًّا لله من لم يتقرب إليه بالفرائض، أو بالفرائض والنوافل.

[٢] القلم يعني التكليف: «رُفِعَ الْقَلَمُ»؛ يعني: التكليف.

[٣] لقوله ﷺ: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ»(٣)، فدل على أنه تصح منهم العبادات، ويؤجرون عليها، وإن كانت غير واجبة عليهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٦/ ١٥٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وأحمد (٦/ ١٠٠) من حديث عائشة ﭭ، وأخرجه أبو داود (٤٣٩٩)، والترمذي (١٤٢٣)، وابن ماجه (٢٠٤٢)، وأحمد (١/ ١١٨) من حديث علي ﭬ.

(٢) سبق تخريجه (ص ٥٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٧).

لَكِنَّ الصَّبِيَّ الْمُمَيِّزَ تَصِحُّ عِبَادَاتُهُ وَيُثَابُ عَلَيْهَا عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا الْمَجْنُونُ الَّذِي رُفِعَ عَنْهُ الْقَلَمُ فَلَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، [١] وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ إِيمَانٌ وَلَا كُفْرٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ؛ [٢] بَلْ لَا يَصْلُحُ هُوَ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُقَلَاءِ لِأُمُورِ الدُّنْيَا كَالتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ. [٣] فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ بَزَّازًا وَلَا عَطَّارًا [٤].

الشرح:

[١] لعدم النية، النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(١)، والمجنون ليس عنده نية ولا قصد.

[٢] لأنه غير مكلف، مرفوع عنه القلم، فليس له قصد في الأعمال؛ لا الخير، ولا الشر، ليس عنده قصد.

[٣] فإذا كان لا يصلح لأمور الدنيا، ولا يولى على أمور الدنيا لعدم أهليته، فكذلك أمور الآخرة.

[٤] البزاز الذي يبيع البز، والعطار الذي يبيع العطر.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَلَا حَدَّادًا وَلَا نَجَّارًا، [١] وَلَا تَصِحُّ عُقُودُهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. فَلَا يَصِحُّ بَيْعُهُ وَلَاشِرَاؤُهُ وَلَا نِكَاحُهُ وَلَا طَلَاقُهُ وَلَا إِقْرَارُهُ وَلَا شَهَادَتُهُ [٢].

وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِهِ، بَلْ أَقْوَالُهُ كُلُّهَا لَغْوٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ [٣] وَلَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ. [٤].

بِخِلَافِ الصَّبِيِّ الْمُمَيِّزِ فَإِنَّ لَهُ أَقْوَالًا مُعْتَبَرَةً فِي مَوَاضِعَ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَفِي مَوَاضِعَ فِيهَا نِزَاعٌ. [٥].

الشرح:

[١] يعني: أصحاب حرف.

[٢] ولا يصح بيعه وشراؤه، وزواجه، وتزويجه، وغير ذلك؛ لفقده العقل.

[٣] حتى الأقوال القبيحة إذا صدرت منه - كالسب، والشتم، وألفاظ الكفر -، لا يؤاخذ عليها؛ لأنه ليس له قصد.

[٤] هذا من رحمة الله ﷻ، وعدله ﷻ، فلا يعذب إلا من بلغته الرسالة، وكان متأهلا بالعقل.

[٥] ولذلك سمي مميزا؛ لأنه يميز الصحيح من الفاسد، ويميز بين الضار والنافع، ليس مثل من دون التمييز، أو مثل: المجنون لا يميز.

فيثاب على الذكر، وعلى التسبيح والتهليل، وعلى الصلاة، وعلى العبادات، وتكون له نافلة.

وَإِذَا كَانَ الْمَجْنُونُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ الْإِيمَانُ وَلَا التَّقْوَى وَلَا التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، وَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ؛ [١].

الشرح:

[١] المجنون لا يوصف بأنه ولي لله، ولا أنه عدو لله؛ لأنه غير مكلف، لكن الشيخ ينبه على شيء مهم، وهو أن الصوفية يعتبرون المجانين من خواص الأولياء، وأن ما يفعلونه فعل ولي، وهذا رد على الخرافيين الصوفية، الذين يعتقدون أن المجانين وفاقدي العقل أولياء لله؛ فيتوسلون بهم.

فإن بني آدم أو جميع الخلق - من الملائكة، والشياطين، وبني آدم، والجن- ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، خصوصا بني آدم، وإلا فالملائكة قسم واحد؛ أولياء لله ﷻ، الرسل كلهم أولياء لله ﷻ، أما بنو آدم والجن؛ أي: الثقلان: الجن والإنس، فهم على ثلاثة أقسام:

قسم يكون وليًا لله، وهم المؤمنون المتقون.

وقسم يكون عدوا لله، وهم الكفار، والمشركون، والمنافقون.

وقسم لا يوصف بأنه ولي لله، ولا عدو لله، وهم من ليس عندهم عقول: كالمجانين، والأطفال الذين ليس لهم عقول، فهؤلاء لا يوصفون بأنهم أولياء، ولا أعداء لله ﷻ؛ لأن هناك من الناس من يعتقد أن المجانين

أولياء لله، وأنهم يتوسل بهم، وهم غالب الصوفية والقبوريين والمخرفين، الذين يعتقدون أن هؤلاء أولياء لله، مع أنهم ليسوا أولياء، ولا أعداء لله ﷻ غير مكلفين، وهذا القسم الثالث هو الذي يعنيه الشيخ الآن.

لَا سِيَّمَا أَنْ تَكُونَ حُجَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ إِمَّا مُكَاشَفَةٌ سَمْعِهَا مِنْهُ، أَوْ نَوْعٌ مِنْ تَصَرُّفٍ، مِثْلِ: أَنْ يَرَاهُ قَدْ أَشَارَ إِلَى وَاحِدٍ، فَمَاتَ أَوْ صُرِعَ؛ [١].

الشرح:

[١] يعني: يعتقد أنه ولي لله، وإذا قيل له: ما دليلك على أنه ولي لله؟ قال: قد يحصل منه أمور غريبة تجري على يده: كالمكاشفة - وهي الإخبار عن أشياء غائبة أو مستقبلة -، أو يشير إلى أحد، ثم يصاب. هذا خارق للعادة، فيدل على أن هذا المجنون ولي لله، فنقول: هذه الأمور لو جرت على يد العقلاء، فإنها خوارق شيطانية، لا تدل على ولاية الله، فكيف إذا جرت على يد من ليس عنده عقل، هذا أولى إلَّا يوصف بأنه ولي لله. تصرف تصرفا غريبا، فيظن أن هذه كرامة، ومن كان عنده كرامة، فهو ولي، نقول: لا، هذه لا تعدو أن تكون من خوارق الشياطين، يجرونها على أيدي هؤلاء، ولو جرت على يد عاقل، ما يعد من أولياء الله، ما دام أنه ليس من المؤمنين المتقين، فكيف إذا جرت على يد غير مكلف؟!

وكل هذا بسبب الشياطين؛ لأجل أن تلبس به على الناس.

فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ -مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ- لَهُمْ مُكَاشَفَاتٌ وَتَصَرُّفَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ، [١] كَالْكُهَّانِ وَالسَّحَرَةِ وَعُبَّادِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، [٢] فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ عَلَى كَوْنِ الشَّخْصِ وَلِيًّا لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ وِلَايَةَ اللَّهِ، فَكَيْفَ إِذَا عُلِمَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ وِلَايَةَ اللَّهِ؟! [٣].

الشرح:

[١] شيطانية ليست صادرة عنهم، وإنما هي من الشياطين التي تلابسهم، أو تخالطهم.

[٢] فهم تجري على أيديهم، وهم كفار ومشركون، تجري على أيديهم أشياء غريبة، وهي من الشياطين، وليست منهم، إنما هي من الشياطين الذين لابسوهم، وخالطوهم؛ ليضلوا بهم الناس، فليسوا أولياء لله ﷻ. مجرد وجود الخارق لا يدل على أن هذا الشخص ولي لله، حتى ينظر في عمله، فإن كان من المؤمنين المتقين، فهو ولي لله، وهذه كرامة أجراها الله على يده، وإن كان فاجرا كافرا مشركا، فهذه خوارق شيطانية، ولذلك المشركون عندهم الكهان، وعندهم المنجمون، وعندهم من هذه الأنواع، مع أنهم مشركون.

[٣] لا تتخذ هذه الخوارق دليلا على الولاية لله، ما دام أنه غير تقي وغير مؤمن، إنما هو مشرك، أو كافر، أو منافق، فهذه خوارق شيطانية.

مِثْلُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ وُجُوبَ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ الشَّرْعَ الظَّاهِرَ دُونَ الْحَقِيقَةِ الْبَاطِنَةِ. [١].

الشرح:

[١] هؤلاء الذين يدعون أنهم من أولياء الله يظهر عليهم من الكفر والفجور الشيء الكثير، وتضييع الفرائض، وفعل الفواحش، لكن يقول لهم الشيطان، ويقولون: هؤلاء ليس عليهم تكليف، هؤلاء وصلوا إلى الله، ورفعت عنهم التكاليف، فهم أولياء لله. الشيطان يلبس عليهم، يزين لهم الحجج. فنقول: هؤلاء أولياء للشيطان، وليسوا أولياء للرحمن. وهذه خوارق شيطانية تلبس بها الشياطين على الناس؛ فلا يغتر بها، ولا تدل على ولاية الله، وهم يعملون الشرك، ويعملون الفواحش، ويستبيحون، ويقولون: هؤلاء ليسوا مكلفين، ليس عليهم حلال ولا حرام، كل شيء مباح لهم؛ لأنهم وصلوا إلى الله، والتكاليف إنما هي على العوام، أما هؤلاء، فخاصة الخاصة، ترفع عنهم التكاليف، ولا يحرم عليهم شيء!! كذا يقولون. ويفرقون بين الشريعة والحقيقة، الشريعة للعوام، وأما الحقيقة، فهي للخواص، فعندهم شريعة وحقيقة، هذه تقسيمات أهل الباطل، لا فرق بين الشريعة والحقيقة عند أهل الحق، وهم يفرقون بينهما، فيقولون: الشريعة للعوام، وأما الحقيقة فهي للخواص.

أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ غَيْرَ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ. [١] أَوْ يَقُولُ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ضَيَّقُوا الطَّرِيقَ، [٢] أَوْ هُمْ عَلَى قُدْوَةِ الْعَامَّةِ دُونَ الْخَاصَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُهُ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْوِلَايَةَ، [٣].

الشرح:

[١] كما مر أنهم يقولون: لسنا بحاجة إلى الأنبياء، الأنبياء إنما هم للعوام، وأما نحن، فلسنا بحاجة؛ لأننا نأخذ عن الله مباشرة. عن طريق رؤسائهم الذين يزعمون أنهم يتصلون بالله، ويأخذون عنهم مباشرة، وأنهم يجلسون مع الله، ويخلون معه، فيأخذون عنه مباشرة، فهم أفضل من الأنبياء الذين يأخذون من طريق الوحي، من طريق جبريل ﷺ، كذا بلغ الكفر إلى هذا الحد بهؤلاء، ويقال: هؤلاء أولياء!!

[٢] ضيقوا الطريق، يقولون: لا طريق إلا طريق الأنبياء، مع أن الطريق إلى الله واسع، طريق الأنبياء ومَنْ غيرهم، بل مَنْ غيرهم أفضل.

[٣] أو الأنبياء إنما هم للعامة، ما يعرفون الحقيقة، ما لهم إلا الظواهر، فالأنبياء جاءت لهم فقط، وأما هؤلاء، فليسوا بحاجة إلى الأنبياء. نسأل الله العافية!

فَهَؤُلَاءِ فِيهِمْ مِنْ الْكُفْرِ مَا يُنَاقِضُ الْإِيمَانَ. فَضْلًا عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ ﷻ، [١].

الشرح:

[١] الكفر لا يجتمع مع الإيمان؛ الكفر الأكبر لا يجتمع مع الإيمان، الشرك الأكبر لا يجتمع مع التوحيد أبدا؛ ضدان لا يجتمعان.

الله ﷻ شرط في الولي أن يكون مؤمنا تقيًّا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله، فمن لم يكن مؤمنا تقيًّا، فهو ليس من أولياء الله، بل هو من أولياء الشيطان، وإن ظهر علي يديه خوارق، فهي خوارق شيطانية، وليست كرامات. الله ﷻ قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأولياء الشيطان هم الكفار، والمشركون، والمنافقون ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦]، القرآن واضح في بيان أولياء الله من أولياء الشيطان.

فَمَنْ احْتَجَّ بِمَا يَصْدُرُ عَنْ أَحَدِهِمْ مِنْ خَرْقِ عَادَةٍ عَلَى وِلَايَتِهِمْ كَانَ أَضَلَّ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. [١].

الشرح:

[١] فإن مجرد خرق العادة لا يدل على الولاية، حتى يكون معه إيمان بالله وتقوى، فإن كان معه كفر ونفاق وشرك، فهو من أولياء الشيطان، وهذا الخارق خارق شيطاني، هو ليس من الكرامات، فإن هؤلاء قد يطيرون في الهواء، ويمشون على الماء، يدخلون النار، ولا تحرقهم، وليس هذا من صنيعهم، وإنما هو من صنيع الشياطين، يخبرون بأشياء بعيدة وغائبة، هم لم يطلعوا عليها، وإنما هي من اطلاع الشياطين ووحي الشياطين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، الله وضح هذا تمام التوضيح، لكن هؤلاء لا يعبؤون بالقرآن، وإنما يأخذون بأقوال شياطينهم وشيوخهم، فهذا هو الحق عندهم، أما القرآن، فهذه ظواهر تصلح للعوام!!

وَكَذَلِكَ الْمَجْنُونُ؛ فَإِنَّ كَوْنَهُ مَجْنُونًا يُنَاقِضُ أَنْ يَصِحَّ مِنْهُ الْإِيمَانُ [١] وَالْعِبَادَاتُ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي وِلَايَةِ اللَّهِ، [٢].

الشرح:

[١] فترك الإيمان والتقوى قد يكون بسبب من العبد، وهو العاقل الذي يدرك الأمور، فيترك طاعة الله وطاعة رسوله، ويكون من أولياء الشيطان باختياره، وقد يكون ليس من اختياره ترك الواجبات، أو وقع في شيء من المحرمات، ليس باختياره؛ لأنه مجنون ليس عنده عقل، ولا يميز بين طيب وخبيث، وبين إيمان وكفر، ليس عنده عقل، فهذا لا يعد كافرا، هذا الصنف المجنون والصغير لا يعد كافرا، وإن فعل ما فعل، وترك ما ترك، لا يعد كافرا؛ لأنه ليس عنده عقل، والتكليف مناطه العقل.

[٢] فهو لا تصح منه العبادات التي هي شرط في ولاية الله: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ»(١)؛ يعني: بعد الفرائض، «حَتَّى أُحِبَّهُ»، فالذي يتقرب إلى الله بالفرائض فقط هذا من الأبرار، والذي يتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، هذا من السابقين ومن المقربين.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥٧).

وَمَنْ كَانَ يَجُنُّ أَحْيَانًا وَيُفِيقُ أَحْيَانًا، إِذَا كَانَ فِي حَالِ إِفَاقَتِهِ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤَدِّي الْفَرَائِضَ وَيَجْتَنِبُ الْمَحَارِمَ؛ [١] فَهَذَا إِذَا جُنَّ لَمْ يَكُنْ جُنُونُهُ مَانِعًا مِنْ أَنْ يُثِيبَهُ اللَّهُ عَلَى إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ الَّذِي أَتَى بِهِ فِي حَالِ إِفَاقَتِهِ، وَيَكُونُ لَهُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ. [٢].

الشرح:

[١] الجنون على قسمين:

القسم الأول: جنون مطبق دائم، هذا صاحبه لا يؤاخذ، ولا يقال: إنه مؤمن ولا كافر.

القسم الثاني: جنون يأتي أحيانا، ويذهب أحيانا، فهذا في حال إفاقته وعبادته لله يكون وليًّا لله، وفي حال جنونه وذهاب عقله، لا يوصف بأنه ولي لله، ولا عدو لله.

[٢] لأن الله ﷻ لا يضيع عمل عامل، فعمل الذي يجن أحيانا لا يبطل بالجنون، بل يحتسبه الله له، ويجزيه عليه.

يكون وليًّا لله في حال إفاقته، وتقواه، وعمله الصالح، وإذا جاءه الجنون، ارتفع عنه التكليف، فلا يؤاخذ، ولا يكون وليًّا لله في حال جنونه، ولا يكون عدوا لله أيضًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْجُنُونُ بَعْدَ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُهُ وَيَأْجُرُهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ. وَلَا يُحْبِطُهُ بِالْجُنُونِ الَّذِي أُبْتُلِيَ بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَعَلَهُ، [١] وَالْقَلَمُ مَرْفُوعٌ عَنْهُ فِي حَالِ جُنُونِهِ. [٢].

فَعَلَى هَذَا، فَمَنْ أَظْهَرَ الْوِلَايَةَ، وَهُوَ لَا يُؤَدِّي الْفَرَائِضَ، وَلَا يَجْتَنِبُ الْمَحَارِمَ، بَلْ قَدْ يَأْتِي بِمَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا وَلِيٌّ لِلَّهِ، [٣].

الشرح:

[١] إذا كان في أول حياته مؤمنًا بالله، مؤديًا للفرائض، متجنبًا لمحارم الله، ثم جن في آخر عمره إلى أن مات، فإن الله لا يضيع أعماله السابقة، بل يحتسبها له، ويجزيه عليها؛ لأنه ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا تبطل الأعمال إلا بالشرك: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، لا تبطل إلا بالشرك، والكفر، والردة، أما الجنون، فإنه لا يبطل الأعمال.

[٢] فلا يثاب ولا يعاقب.

[٣] لم يكن لأحد من أهل العلم والبصيرة، بل حتى ولا العوام الذين عندهم إيمان وعقيدة، لا يقولون: إن هذا ولي لله. وهو يفعل المحارم، ويترك الفرائض، إنما يقول هذا أهل التخريف وأهل الباطل.

فَإِنَّ هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا ؛ بَلْ كَانَ مُتَوَلِّهًا مِنْ غَيْرِ جُنُونٍ، [١] أَوْ كَانَ يَغِيبُ عَقْلُهُ بِالْجُنُونِ تَارَةً وَيُفِيقُ أُخْرَى، وَهُوَ لَا يَقُومُ بِالْفَرَائِضِ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ، فَهُوَ كَافِرٌ. [٢].

الشرح :

[١] الوله : الحب ؛ لأن الحب درجات، منها الوله.

[٢] الذي يعتقد أنه لا يلزمه اتباع الرسول، وإنما هو يصل إلى الله من غير طريق الرسول، هذا كافر، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمجرد أنه يحب الله، ويعبد الله بهواه وبما وضعه لنفسه من غير اتباع للرسول، فهذا كافر، ولو كان بزعمه أنه يعبد الله، ويتقرب إلى الله ؛ لأن عمله غير صحيح، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»(١)، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فلا طريق إلى الله إلا باتباع الرسول ﷺ، وفي هذا رد على هؤلاء الذين يقولون: لسنا بحاجة إلى اتباع الرسول، نحن نعرف، ونصل إلى الله بدون الرسول. هذا لا شك أنه من أكفر الناس، وأشد الناس ضلالا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَإِنْ كَانَ مَجْنُونًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا قَدْ ارْتَفَعَ عَنْهُ الْقَلَمُ؛ [١] فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَاقَبًا عُقُوبَةَ الْكَافِرِينَ فَلَيْسَ هُوَ مُسْتَحِقًّا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ ﷻ، فَلَا يَجُوزُ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ أَنْ يَعْتَقِدَ فِيهِ أَحَدٌ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، [٢] وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَهُ حَالَةٌ فِي إِفَاقَتِهِ كَانَ فِيهَا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مُتَّقِيًا كَانَ لَهُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ فِي حَالِ إِفَاقَتِهِ فِيهِ كُفْرٌ أَوْ نِفَاقٌ، أَوْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ الْجُنُونُ، [٣] فَهَذَا فِيهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ مَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، [٤].

الشرح:

[١] هذا قد ارتفع عنه القلم، ولا يقال: إنه كافر ولا مؤمن، ولا ولي ولا عدو، هذا غير مكلف.

[٢] هذا لا يلحق بأهل الإيمان، وأهل التقوى، وإن كان غير مكلف، مرفوع عنه القلم، فإنه لا يلحق بعباد الله المؤمنين المتقين، ولا يكون في منزلة أهل الإيمان وأهل العمل، وأهل الجهاد في سبيل الله ﷻ.

[٣] هذا رد على الذين يتخذون المجانين والمجاذيب أولياء لله ﷻ.

[٤] هناك فرق بين مجنون المؤمنين، ومجنون الكفار: مجنون المؤمنين لا يبطل عمله الذي عمله قبل الجنون - كما سبق -، مجنون الكفار إذا كان قبل جنونه كافرا بالله، يفعل الفواحش والمحرمات والشرك، ثم جن، فإنه في حال جنونه لا يؤاخذ، لكن في حال إفاقته يؤاخذ على كفره وشركه بالله ﷻ.

وَجُنُونُهُ لَا يُحْبِطُ عَنْهُ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ حَالَ إِفَاقَتِهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ. [١].

الشرح:

[١] لا يُكَفِّرُ الله به ما يحصل في حال إفاقته من كفر ونفاق؛ لأنه إنما ترك الكفر؛ لأنه عجز عنه، وأصابه ما أصابه، فهو لا يزال كافرا، ولا يعتبر ما أصابه من الجنون مكفرا عنه الكفر الذي حصل منه والمعاصي السابقة. هذا فصل مهم جدا، وهو أن تعرف الرد على هؤلاء الذين يتخذون المجانين أولياء لله ﷻ، فهؤلاء المجانين إما أن يكونوا مجانين مسلمين، أو مجانين كفار، مجانين المسلمين على قسمين:

القسم الأول: من جنونه مطبق في كل حياته وكل عمره، هذا لا له ولا عليه.

القسم الثاني: أو جنونه ثابت، وليس مطبقا، لكنه يعبد الله في حال إفاقته وعقله، ثم يصاب بالجنون، فهذا يثاب على أعماله الصالحة التي عملها قبل الجنون، فله من ولاية الله بقدر ما عمل في حال إفاقته.

أما مجنون الكفار فهو على قسمين:

القسم الأول: مجنون الكفار إذا كان جنونه مطبقًا، هذا مثل الأول، ولو كان من الكفار، فلا يحاسب؛ لأنه ما حصل منه كفر ولا شرك.

القسم الثاني: إذا كان في حال إفاقته يكفر بالله، ويشرك بالله، ويفعل الفواحش، فهذا كافر، ويعاقب على كفره وشركه في حال إفاقته، ولايكون جنونه مكفرا لما حصل منه.

فَصْلٌ

وَلَيْسَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ شَيْءٌ يَتَمَيَّزُونَ بِهِ عَنْ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ مِنْ الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ، [١].

الشرح:

[١] هذا مهم جدا؛ لأن هؤلاء المخرفين يتخذون علامات، ويجعلون للأولياء علامات تميزهم في اللباس وفي المنزلة، ويصنعون حولهم هالة من التقديس والتعظيم، وأما أهل السنة وأهل الجماعة والمؤمنون، فليس لأولياء الله عندهم علامة، يختفون، أولياء الله قد لا يعرفون؛ لأن ولي الله على الحقيقة لا يحب أن يعرف، ولا يلبس لباسا خاصا، ولا يقول للناس: أنا ولي. أو يتميز بشيء يقول: أنا ولي. إذا فعل هذا، فهذا رياء ينقص ولايته، ويبطلها، فليس لهم لباس خاص، وليس لهم زي خاص - كما يفعله المخرفون -، بل قد لا يعرف، قال ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»(١)، بل أخبر ﷺ أنه لو شفع لم يُشَفَّعْ(٢)، وإن خطب لم يُزَوَّجْ، وهو من أولياء الله المتقين، فهو لم يتميز، ولم يظهر عمله، هذا دليل على إخلاصه لله ﷻ، أما الذي يظهر نفسه، أو يظهرونه الناس، ويعمل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٨٨٧): «... طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

له هيلمان، هذا ليس دليل على ولايته لله ﷻ، فليست الولاية بالعلامات، إنما الولاية بالإيمان بالله، والإيمان في القلب، والأعمال التي يعملها لا يقصد بها الرفعة والرياء والسمعة، وإنما يقصد بها وجه الله، صفته التواضع، لا التكبر والعجب بنفسه، هؤلاء هم أولياء الله، وهذه فائدة عظيمة تبين أنه ليس لأولياء الله علامات يعرفون بها، بل ربما أنهم يخفون أنفسهم، ويتواضعون، ويعتبرون أنفسهم مقصرين في حق الله ﷻ، لا يعجبون بأعمالهم، ولا بمظاهرهم. ولهذا قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»(١) هؤلاء هم الأولياء.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣) من حديث أنس ﷺ.

فَلَا يَتَمَيَّزُونَ بِلِبَاسٍ دُونَ لِبَاسٍ إِذَا كَانَ كِلَاهُمَا مُبَاحًا ، [١] وَلَا بِحَلْقِ شَعْرٍ أَوْ تَقْصِيرِهِ أَوْ ضَفْرِهِ إِذَا كَانَ مُبَاحًا ؛ [٢] كَمَا قِيلَ : كَمْ مِنْ صِدِّيقٍ فِي قَبَاءٍ، وَكَمْ مِنْ زِنْدِيقٍ فِي عَبَاءٍ[١] ، [٣].

الشرح :

[١] بل هم يلبسون مثلما يلبس الناس، أو أقل مما يلبس الناس، ما يضعون عمائم، وأكمام واسعة، ويقال : هؤلاء أولياء. لا ، مثل الناس مندمجون بالناس، لا يُعرفون، لكن قلوبهم عند الله ﷻ.

[٢] ولا بعلامة شعر إذا كان مباحا ، يصير له شعر خاص، أيضا في جسمه، هو كسائر الناس يعفي لحيته، ويحفي شاربه، ويعمل خصال الفطرة مثل الناس، ما يتميز بشيء. أو (ضفر الشعر) جعله ضفائر، بل هو مندمج مع الناس تماما، ما يتميز بعلامة.

[٣] (**كَمْ مِنْ صِدِّيقٍ**)، الصدّيق : هو كثير الصدق، عظيم الصدق، (**فِي قَبَاءٍ**) يعني : لباس متواضع، ما يميزه عن غيره، (**وَكَمْ مِنْ زِنْدِيقٍ فِي عَبَاءٍ**)؛ يعني : في لباس فخم، ومظهر جميل، لكنه زنديق، فليست الولاية بالمظاهر إنما الولاية تكون فيما بين العبد وبين ربه ﷻ لا يعلمها إلا الله ﷻ.

---

(١) قال في التوضيحات الحسان (ص٧٧) : القباء : الجبة وهي من لباس الأغنياء. والعباء : الثياب الخشنة التي يعتاد لبسها الفقراء. وانظر القاموس المحيط مادة (قبا)، وإيضاح مختار الصحاح (ص٤٤).

بَلْ يُوجَدُونَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الظَّاهِرَةِ وَالْفُجُورِ، فَيُوجَدُونَ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ، [١].

الشرح:

[١] وأيضا الأولياء، أولياء الله لا يكونون في فريق خاص من الناس، يكونون في العلماء، ويكونون في العوام، ويكونون في التجار، ويكونون في المزارعين، ما يتميزون، فلا يقال: إن أولياء الله يقتصرون على عمل معين. لا، يندمجون مع الناس، يطلبون الرزق مثل الناس، يكونون مزارعين، يكونون مجاهدين في سبيل الله، يكونون علماء، يكونون عواما من عوام أهل التوحيد، يكونون تجارا، ليس معنى الولي أن يترك التجارة، ويعطيه الناس، ويتقربون إليه بالأموال. لا، هو يشتغل، داود عليه السلام نبي الله، وملك أيضا، عنده من الأموال الشيء الكثير، إنما يأكل من عمل يده ﷺ، يصنع الدروع، ويبيع، ويأكل من عمل يده، ما يأخذ من بيت المال المتوفر عنده، ما يأخذ منه شيئًا، هذا ولي الله. ولهذا قال ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(١) مع أنه ملك ونبي.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٢) من حديث المقدام رضي الله عنه.

وَيُوجَدُونَ فِي أَهْلِ الْجِهَادِ وَالسَّيْفِ، [١] وَيُوجَدُونَ فِي التُّجَّارِ وَالصُّنَّاعِ وَالزُّرَّاعِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَصْنَافَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠]. [٢].

الشرح:

[١] يكونون مع المجاهدين.

[٢] الله ذكر في هذه الآية أن من أولياء الله من هم يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، يسافرون للتجارة، ولا يتركون قيام الليل، بل يقومون الليل، ويقرؤون ما تيسر من القرآن، ومنهم من يجاهد في سبيل الله، يجاهد الكفار لإعلاء كلمة الله، ولا يترك العبادة وقيام الليل، فهذا فيه أن أولياء الله لا يختصون بطائفة معينة، يكونون مع المجاهدين، يكونون مع التجار الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، يكونون من العلماء، من القراء.

وَكَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَ أَهْلَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ: «الْقُرَّاءَ»،[١] فَيَدْخُلُ فِيهِمْ الْعُلَمَاءُ وَالنُّسَّاكُ، [٢].

الشرح:

[١] القراء في عرف السلف هم العلماء، ليس مجرد الذين يقرؤون القرآن فقط، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ. قِيلَ لِشَرِيكٍ مِنَ الْعَمَلِ. قَالَ: نَعَمْ»**(١) هؤلاء القراء بالمعنى الصحيح، أما الذي يقرأ القرآن فقط، ويجيد القراءات، ويعرف القراءات السبع أو العشر، لكنه لا يعمل بالقرآن، هذا ليس من أولياء الله، فأولياء الله وأهل القرآن هم الذين يتلونه حق تلاوته، يعملون به، ويتفكرون في معانيه، ويتدبرونه.

[٢] القراء يدخل فيهم العلماء الذين جمعوا بين القراءة والعلم، ويدخل فيهم النساك؛ يعني: العباد، وإن لم يقرؤوا القرآن، فمن آمن بالله، وآمن بالرسل، وآمن بالقرآن، فهو من أهل القرآن، ولو لم يكن حافظا له، ومن كان يحفظ القرآن، ولكنه لا يعمل به، فهو ليس من أهل القرآن.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٤٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/ ١٢٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٨٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واللفظ للحاكم من رواية شريك.

ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ اسْمُ «الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَرَاءِ». [١].

الشرح:

[١] درج السلف الصالح في القرون المفضلة، ولم يحدث التصوف، إنما حدث التصوف متأخرا، والتصوف في الأصل: الاجتهاد في العبادة والزهد في الدنيا؛ ولذا يسمون النساك، الذين تفرغوا في العبادة وقراءة القرآن، ولم يدخل فيهم بدع ولا شرك، وإنما شقوا على أنفسهم في العبادة، فهؤلاء سلكوا مسلكا شاقا، لم يؤمروا به، فهو من جنس رهبانية النصارى، الله لم يأمرنا بالرهبانية والتشدد في العبادة، لكن هؤلاء اجتهدوا، فأخذوا هذا المنحى، وكانوا في أولهم عبادا متقشفين، ومتزهدين، وإن لم يكن هذا مرغبا فيه، لكنه لا ينقص أهله، ثم تطور التصوف - وهكذا البدع تتطور -، تطور التصوف إلى أن خرجوا من الدين، وصاروا ملاحدة: أهل وحدة الوجود، وعباد القبور... إلى آخره، فتطور التصوف في الأخير، ثم الشيخ بين سبب تسميتهم بالصوفية، ذكر الأقوال في ذلك، ورجح أن الصوفية نسبة إلى الصوف؛ لأنهم كانوا يلبسون الصوف من باب التخشن والتزهد، فسموا بالصوفية؛ لأن مظهرهم لبس الصوف، ما يلبسون القطن والكتان والأشياء الرقيقة، وإنما يلبسون الخشن من باب التزهد والتقشف، هذا هو الصحيح في تسميتهم.

وَاسْمُ «الصُّوفِيَّةِ» هُوَ نِسْبَةٌ إِلَى لِبَاسِ الصُّوفِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، [١] وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَى صَفْوَةِ الْفُقَهَاءِ، [٢] وَقِيلَ: إِلَى صُوفَةَ بْنِ أُدِّ بْنِ طانجة [٣]، قَبِيلَةٌ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يُعْرَفُونَ بِالنُّسُكِ، [٤] وَقِيلَ: إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، [٥].

الشرح:

[١] هذا هو الصحيح.

[٢] الصفوة؛ نسبة إلى الصفوة، وهذا غير صحيح؛ لأنه لو كان إلى الصفوة، لقيل: صفوي، ولم يقل: صوفي، من جهة اللغة.

[٣] وقيل: إنهم نسبة إلى رجل، هو أول من أظهر التصوف، اسمه صوفة، فنسبوا إليه، صوفية نسبة إلى رجل اسمه صوفة.

[٤] يعني: بالتزهد والتقشف.

[٥] وهذا باطل، قيل: إن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة الذين على عهد النبي ﷺ، والذين مر بكم ذكرهم، وأن المراد بأهل الصفة فقراء الصحابة الذين ليس لهم بيوت ولا مأوى، النبي ﷺ جعل لهم صفة في المسجد يجتمعون فيها، ويتصدق الناس عليهم، ومنهم من يشتغل بالنهار، ويكتسب، ويأوي إلى الصفة؛ لأنه ليس له منزل، فسموا بأهل الصفة، هؤلاء قالوا: الصوفية نسبة إلى أهل الصفة، هذا غلط. بينهم وبين أهل الصفة فروق كبيرة.

وَقِيلَ: إِلَى الصَّفَا، [١] وَقِيلَ: إِلَى الصَّفْوَةِ، [٢] وَقِيلَ: إِلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، [٣] وَهَذِهِ أَقْوَالٌ ضَعِيفَةٌ، [٤] فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: صَفِّيٌّ أَوْ صَفَائِيٌّ أَوْ صَفَوِيٌّ أَوْ صِفِّيٌّ، وَلَمْ يَقُلْ: صُوفِيٌّ. [٥].

الشرح:

[١] صفاء القلب، كان المفروض أن يقال: صفائي، أو صفوي، ولا يقال: صوفي، صوفي نسبة إلى الصوف. واضح هذا؟

[٢] وقيل: إلى الصف الأول؛ نسبة إلى الصف الأول في الصلاة، وكل هذا ليس له أصل.

[٣] أو الصف المقدم يوم القيامة بين يدي الله، وهذا تزكية لنفوسهم.

[٤] كلها أقوال ضعيفة، والصحيح الأول: أنهم نسبة إلى الصوف؛ لأنهم كانوا يلبسون الصوف من باب التخشن في اللباس، والزهد، وعدم الترفه.

[٥] يعني: إذا نسب إلى الصفة، يقال: صفي. أو صفائي إذا قيل: إنه نسبة إلى الصفاء. إذا كان نسبة إلى الصفوة، هذه الاشتقاقات اللغوية. وصوفي ظاهر أنه نسبة إلى الصوف.

وَصَارَ أَيْضًا اسْمُ «الْفُقَرَاءِ» يُعْنَى بِهِ أَهْلَ السُّلُوكِ، وَهَذَا عُرْفٌ حَادِثٌ، [١] وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ أَيُّمَا أَفْضَلُ: مُسَمَّى «الصُّوفِيِّ»، أَوْ مُسَمَّى «الْفَقِيرِ»؟ [٢] وَيَتَنَازَعُونَ أَيْضًا أَيُّمَا أَفْضَلُ: الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ، أَوْ الْفَقِيرُ الصَّابِرُ؟(١). [٣].

الشرح:

[١] أيضا يسمون أنفسهم بالفقراء، والفقر على قسمين:

القسم الأول: فقر بمعنى الحاجة وقلة ذات اليد.

والقسم الثاني: فقر إلى الله ﷻ، فكل الناس فقراء إلى الله، ولو عندهم المليارات والملايين، هم فقراء إلى الله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، فلو كان عنده أموال طائلة، فهو فقير إلى الله ﷻ.

[٢] بعضهم يقول: فقراء، ولا يقول: صوفية، الأمر سهل في هذا، لكن الفقير قد يكون معناه صحيحًا؛ لأن الناس فقراء إلى الله ﷻ، لكن صوفي. هذا ليس له معنى صحيح.

[٣] هذه مسألة معروفة؛ أيهما أفضل: الغني الشاكر، أو الفقير الصابر؟ والإمام ابن القيم له كتاب في هذا اسمه: (عدة الصابرين)، بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أفضلهما أتقاهما لله، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص٣٦١).

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا نِزَاعٌ قَدِيمٌ بَيْنَ الْجُنَيْد(١) وَبَيْن أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ(٢)، [١].

الشرح:

[١] الجنيد من قدماء الصوفية، وكذلك الفضيل بن عياض، وكذلك بشر الحافي، هؤلاء من النساك، لكنهم لم يحصل لهم من الابتداع والشر ما حصل للمتأخرين، اقتصروا على العبادة والاجتهاد في العبادة، والزهد والتقشف، وكانوا متبعين للسنة. الجنيد والفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وهؤلاء من أفاضل العباد، وهم أهل سنة، وإن كانوا شقوا على أنفسهم، لكنهم أهل سنة.

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد البغدادي، أصله من نهاوند، مولده بالعراق، تفقه على مذهب أبي ثور، توفي سنة ٢٩٧هـ انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٢٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، متصوف صحح مذهب الحلاج، صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز، توفي سنة ٣٠٩ هـ. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٤٥).

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ فِيهَا رِوَايَتَانِ. [١].

وَالصَّوَابُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَا قَالَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]. [٢].

الشرح:

[١] يعني: أن الغني الشاكر أفضل، أو أن الفقير الصابر أفضل روايتان.

[٢] هذا الذي أشار إليه ابن القيم، والشيخ هنا أشار إليه، قال: الصحيح أن أفضلهما هو من كان أتقى لله ﷻ.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، فكل بني آدم يرجعون إلى ذكر وأنثى: آدم وحواء، فهم في النسب سواء إلى آدم، كلهم بنو آدم، جعلهم الله شعوبا وقبائل، قالوا: والشعوب للعجم، والقبائل للعرب(١)، من أجل أي شيء؟ ما الحكمة؟ ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ﴾؛ فدراسة النسب ومعرفة النسب من أجل التعارف وصلة الأرحام لا بأس بها، أما دراسة النسب ومعرفة النسب لأجل الافتخار، فهذا لا يجوز، «لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»(٢)، ولهذا

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٥٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٨١).

جاء في الحديث أن الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية[1]، الله لم يجعل الأنساب لأجل التفاخر، وإنما جعلها من أجل معرفة النسب وصلة الأرحام والتعارف.

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».

فِي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ: «أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ أَتْقَاهُمْ. [١] قِيلَ لَهُ: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُك، فَقَالَ: يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ يَعْقُوبَ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ إِسْحَاقَ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُك. [٢] فَقَالَ: عَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا»(١). [٣].

الشرح:

[١] كما في الآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، لكن الذين يسألون الرسول ﷺ لا يريدون هذا، يريدون شيئا آخر.

[٢] فهو نبي، ابن نبي، ابن نبي، ابن نبي.

[٣] يعني: تسألوني: أي العرب أفضل، أي قبائل العرب أفضل؟ قالوا: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

فَدَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ. [١].

وَفِي السُّنَنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضَ، وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ إلَّا بِالتَّقْوَى، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»(١) [٢].

وَعَنْهُ أَيْضًا ﷺ أنه قال: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ»(٢).

فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَتْقَى لِلَّهِ فَهُوَ أَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِذَا اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَى اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ. [٣].

الشرح:

[١] إذا أسلموا، وفقهوا، فهم خيار الناس.

[٢] الأصل أننا متساوون، كلنا بنو آدم، إنما التفاضل بالتقوى عند الله ﷻ، أما الأنساب، فإنها لا تقتضي ميزة على الناس.

[٣] الفخر بالآباء إنما هو من أمور الجاهلية، المسلم لا يفتخر بنسبه، ولا يحتقر الناس. فالعربي والعجمي من جهة الأصل سواء، لكن قد يكون

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٤٧٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٠)؛ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦١).

العجمي أفضل من العربي بالتقوى، وقد يكون العربي أفضل من العجمي بالتقوى. انظر إلى سلمان الفارسي وبلال الحبشي، وإلى صهيب الرومي، وإلى الموالي في عهد النبي ﷺ، الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعلم، صاروا سادة المؤمنين، من السابقين الأولين ومن المهاجرين، بلال من المهاجرين، وسلمان كان بالمدينة لما هاجر النبي ﷺ مملوكا ليهودي، ثم اشتراه النبي ﷺ، وأعتقه، فلم يضرهما كون هذا فارسيًّا، وهذا حبشيًّا، ولم ينفع أبا جهل وأبا لهب أنهما قرشيان هاشميان، لم ينفعهم نسبهم، النبي ﷺ قال: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَفْظُ الْفَقْرِ فِي الشَّرْعِ يُرَادُ بِهِ الْفَقْرُ مِنَ الْمَالِ، وَيُرَادُ بِهِ فَقْرُ الْمَخْلُوقِ إِلَى خَالِقِهِ، [١] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، [٢].

الشرح:

[١] للصوفية اصطلاح آخر غير التصوف، وهو أنهم يتسمون بالفقراء، قال الشيخ: والفقر على قسمين: فقر من المال، يستحق صاحبه الصدقات، وفقر إلى الله ﷻ، وهذا يعم جميع العباد، الفقر من المال هذا يكون لبعض الناس، لكن الفقر إلى الله هذا يكون في جميع العباد: الأغنياء، والفقراء، والسلاطين، والسوقة، والعلماء، والعوام، والعرب والعجم، كلهم فقراء إلى الله، قال الله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾، فليس هذا خاصا بالصوفية؛ حتى يضعوه شعارا لهم، وإنما هو عام لجميع الخلق، كلهم فقراء إلى الله ﷻ.

[٢] هذا الفقر من المال، الذي يستحق صاحبه الصدقات.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، [١] وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ صِنْفَيْنِ مِنْ الْفُقَرَاءِ: أَهْلَ الصَّدَقَاتِ وَأَهْلَ الْفَيْءِ، فَقَالَ فِي الصِّنْفِ الْأَوَّلِ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] [٢].

الشرح:

[١] هذا النوع الثاني، وهو الفقر إلى الله ﷻ. وهذا عام في جميع الناس، كل العباد فقراء إلى الله ﷻ، ليس هذا خاصا بطائفة دون طائفة.

[٢] مدح الله صنفين من الفقراء في القرآن: أحدهما أهل الصدقات؛ كما في آية البقرة، قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾؛ يعني: الصدقات ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: حبسوا، لا يستطيعون السفر لطلب الرزق: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ومع هذا يتعففون، ولا يظهرون للناس فقرهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، مدحهم الله ﷻ بهذه الصفات، نعم هؤلاء أهل الصدقات -ووضع الصدقات في هذا الصنف أفضل من وضعها في المتسولين-؛ الذين لا يسألون، وهم فقراء أحق من الذين يسألون، قال ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ

تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَالَ فِي الصِّنْفِ الثَّانِي -وَهُمْ أَفْضَلُ الصِّنْفَيْنِ-: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧﴾ [الحشر: ٨]. [١].

الشرح:

[١] الصنف الثاني: هم فقراء المهاجرين، الذين تركوا أموالهم وأوطانهم، وفروا بدينهم إلى بلاد الإسلام، الصحابة فروا بدينهم، ويريدون الجهاد مع رسول الله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، هذا قصدهم.

المقصد الأول: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

والمقصد الثاني: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾، ثم إن الله أثنى عليهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فيقدمون في الفيء، وهو ما أفاء الله على رسوله من الغنائم في الجهاد في سبيل الله، يبدأ بالمهاجرين، ثم من بعدهم الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑨﴾ [الحشر: ٩].

الطائفة الثالثة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] من بعد المهاجرين والأنصار، فهؤلاء لهم نصيبهم في الفيء ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، قال العلماء: فمن كان يبغض الصحابة، فليس له حق من الفيء بنص هذه الآية، من كان يبغض الصحابة، ويجد في نفسه غلًّا عليهم، فإنه لا يستحق من الفيء شيئًا.

وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هَجَرُوا السَّيِّئَاتِ. [١].

الشرح:

[١] الهجرة في اللغة هي الترك[١]، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، وهجرة القلوب من الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد. وهي من الترك، ترك الشيء، يقال: هجره، إذا تركه، وأما الهجرة في الشرع، فهي على قسمين: عامة، وخاصة.

فالعامة: هجر كل ما نهى الله عنه من المعاصي والسيئات وجميع المخالفات، هذه هجرة، بمعنى أنه ترك المعاصي وهجرها، ولهذا قال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[٢].

الهجرة العامة: هجرة ما نهى الله عنه من الشرك، ما نهى الله عنه من المعاصي، ما نهى الله عنه من الأذى، وكلام السوء وغير ذلك، هذه الهجرة العامة.

---

(١) هَجَرَهُ هَجْرًا بالفتح وهِجْرانًا بالكسر: صَرَمَهُ، وهَجَرَ الشيءَ: تَرَكَهُ، وفي الصومِ: اعْتَزَلَ فيه عن النكاحِ. ويَهْتَجِرانِ ويَتَهاجَرانِ: يَتَقاطَعانِ، والاسمُ: الهِجْرَةُ بالكسر. وهَجَرَ الشِّرْكَ هَجْرًا وهِجْرانًا وهِجْرَةً حَسَنَةً. والهِجْرَةُ بالكسر والضم: الخُروجُ من أرضٍ إلى أُخرى وقد هاجَرَ. والهِجْرَتانِ: هِجْرَةٌ إلى الحَبَشَةِ وهِجْرَةٌ إلى المدينَةِ. وذو الهُجْرَتَيْنِ: مَنْ هاجَرَ إليهما. انظر: القاموس المحيط (١/ ٦٣٧)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠، ٦٤٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الهجرة الخاصة: هي الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فرارا بالدين، هذه الهجرة الخاصة، وهي من أفضل الأعمال - كما يأتي -، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الهجرة على نوعين: هجرة الأبدان، وهجرة القلوب[1]:

هجرة الأبدان: من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام.

هجرة القلوب: الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله؛ من البدعة إلى السنة، هذه هجرة القلوب، هذه هجرة دائمة، كل حياة العبد ينبغي أن يكون مهاجرا بقلبه، أما هجرة الأوطان، فهذه تفعل عند الحاجة إليها، أما هجرة القلوب، فهذه دائمة في حياة المسلم.

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية (١/ ١٦).

وَجَاهَدُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، [١] كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» [٢].

الشرح:

[١] فجمعوا بين الهجرتين؛ الهجرة العامة، وهي هجرة ما نهى الله عنه، والهجرة الخاصة، وهي الهجرة بالدين من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

[٢] هذا من الإيمان، ليس هذا هو تعريف الإيمان كله، بل هذا من الإيمان: «**مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»، أما من لم يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فهذا إيمانه ناقص، ليس بمؤمن الإيمان الكامل، بل إيمانه ناقص.

«**الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»؛ يعني: المؤمن الإيمان الكامل من أمنه الناس على دمائهم، فلم يسفك دما حراما، لا من المسلمين، ولا من المعاهدين، والمستأمنين: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، نفس المؤمن ونفس المعاهد، حرم الله قتلها، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وعلى أموالهم، فلايغش، ولا يخون، ولا يسرق، ليست الخيانة بالسرقة فقط، وإنما الغش خيانة أيضا، الغش خيانة في البيع والشراء، ولا يأمنه الناس على أموالهم، ولايأمنونه بالتعامل معه، هذا نقص في إيمانه.

وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، [١] وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، [٢] وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ»(١). [٣].

الشرح:

[١] كذلك هذا الإسلام الكامل: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، فإن لم يسلم المسلمون من لسانه بالكلام عليهم وتنقصهم، أو يده بقتلهم وضربهم وغير ذلك، فهذا ليس بمسلم الإسلام الكامل، ليس معناه أنه كافر، معناه: أنه ليس بمسلم الإسلام الكامل؛ لأنه ترك خصلة من خصال الإسلام، ففيه نقص.

[٢] هذه الهجرة العامة.

[٣] هذا من الجهاد أن يجاهد نفسه، أول ما تجاهد من الأعداء نفسك؛ لأن الجهاد أقسام: جهاد النفس، وهذا أول أنواع الجهاد، ثم جهاد شياطين الإنس والجن، ثم جهاد المنافقين والفساق، ثم جهاد الكفار بالسلاح، فالجهاد أنواع، وأولها جهاد النفس؛ لأن من لم يجاهد نفسه، لم يجاهد بقية أنواع الجهاد.

---

(١) أخرجه أحمد بطوله من حديث فضالة بن عبيد (٦/ ٢٦)، وأخرج بعضه: البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، وأبو داود (٢٤٨١)، والترمذي (٢٥٠٤)، والنسائي (٨/ ١٠٥) وابن ماجه (٢٩٣٤).

أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي يَرْوِيه بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»، فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَلَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالِهِ(١).

وَجِهَادُ الْكُفَّارِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ؛ بَلْ هُوَ أَفْضَلُ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ، [١].

الشرح:

[١] الجهاد الأكبر: جهاد الكفار، ليس جهاد النفس، الجهاد الأكبر: جهاد الكفار بالسلاح، وبذل النفس، والمال في سبيل الله ﷻ، فأفضل أنواع الجهاد جهاد الكفار في سبيل الله ﷻ، أما أنه قال ﷺ لما رجعوا من غزوة تبوك: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ»، وهو جهاد الكفار، «إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»، وهو جهاد النفس، هذا لا أصل له، وبعضهم يقول: إن هذا من كلام بعض العلماء، وليس من كلام الرسول ﷺ، وليس له سند يعتمد عليه، ولا هو في الكتب المعروفة، إلا اللهم إذا كان ذكر في بعضها للتنبيه على سنده، وأنه ليس بسند يعتمد عليه، فالحاصل أن سنده لا يحتج به، ومتنه

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٩٨) عن جابر ﷺ وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢/ ١٤٤) موقوفًا على إبراهيم بن أبي عبلة. وقال العراقي في تخريج الإحياء: رواه البيهقي في الزهد من حديث جابر، وقال: هذا إسناد فيه ضعف. ا.هـ. انظر: المغني عن حمل الأسفار (٢٥٨٤)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٥١١). وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٢٤٦٠)، وقال منكر.

أيضا غير صحيح، ليس جهاد النفس أعظم من جهاد الكفار، جهاد الكفار أعظم؛ لأن الله أثنى على المجاهدين في القرآن، وفضلهم على غيرهم، فكيف يكون جهادًا أصغر، والله عظم من شأنه، وأثنى على أهله، وحث عليه؟!

جهاد الكفار أعظم أنواع الجهاد، وليس جهاد النفس، إذًا يقعد كل واحد بزاوية من بيته، ويقول: أنا أجاهد نفسي، ولا أذهب لأغزو، ولا أعمل شيئًا، كيف أذهب للجهاد الأصغر وأترك الأكبر؟! ويكون الصحابة قد أخطؤوا؛ لأنهم ما قعدوا في بيوتهم يجاهدون أنفسهم، وتركوا الجهاد في سبيل الله!!!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢]. [١].

الشرح:

[١] ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾؛ الذين يقعدون عن الجهاد لا يخلون من إحدى حالتين، الحالة الأولى: أن يكونوا معذورين عندهم ضرر يمنعهم من الخروج للجهاد، معذورون عن الخروج، الفئة الثانية: من قعد عن الجهاد المستحب، وهولا عذر له، ذكر الله الصنفين في هذه الآية: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ يعني من ذوي الأعذار ﴿دَرَجَةً﴾ واحدة، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ الذين لاضرر عليهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦] الجهاد -كما هو معلوم- منه ما هو فرض، ومنه ما هو فرض كفاية، والمراد هنا: ما هو فرض كفاية، الذي إذا قام به من يكفي، بقي في حق سائر المؤمنين سنة، وهذه السنة من أفضل الأعمال.

وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْت عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي إلَّا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إلَّا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إلَّا أَنْ أُعَمِّرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا ذَكَرْتُمَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ إذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ سَأَلْته، فَسَأَلَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(١). [١].

الشرح:

[١] هذا سبب نزول الآية في الحديث، ذكره الشيخ؛ أن هؤلاء النفر من الصحابة رضي الله عنهم بعضهم فضل سقاية الحاج؛ يعني: إعداد الماء للحجاج، وبعضهم فضل عمارة المسجد الحرام على الجهاد في سبيل الله، علي بن أبي طالب رضي الله عنه لفقهه وعلمه فضل الجهاد في سبيل الله على عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، ولما ذكر ذلك للنبي ﷺ، أنزل الله هذه الآية: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩]، فسمى من فضل عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج على الجهاد ظالما، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فوضع الفضيلة في غير موضعها، ثم

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧٩).

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٢٠]، هذا رد على من قالوا: إن عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج أعظم درجة عند الله من الجهاد.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قُلْت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ اسْتَزَدْته لَزَادَنِي(١). [١].

الشرح:

[١] هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه سأل النبي ﷺ: «**أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، ثم سأله بعد ذلك، فقال: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، بر الوالدين بعد الصلاة لوقتها في الفضيلة، قال: «**ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، فدل هذا على عظمة الصلاة، وعلى أنها تؤدى في وقتها الذي جعلها الله فيه، ودل على فضل بر الوالدين، ومكانته عند الله ﷻ؛ لأن حقهما يأتي بعد حق الله ﷻ، ثم الجهاد في سبيل الله، فبر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله، وهل بعد هذا آكد؟ والنبي ﷺ جاءه رجل يريد أن يجاهد في سبيل الله، قال له: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»(٢). فالذين يذهبون الآن ليجاهدوا بزعمهم، ويتركون والديهم، ولا يستأذنونهم، ويزعمون أن هذا أفضل من بر الوالدين هذا من الجهل - والعياذ بالله -؛ فبر الوالدين مقدم على الجهاد في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤، ٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

سبيل الله. لو كان هذا جهادا في سبيل الله، مع أنه لا تنطبق عليه ضوابط الجهاد في سبيل الله، لكن لو فرضنا أنه جهاد في سبيل الله، وتنطبق عليه ضوابط الجهاد، فبر الوالدين مقدم عليه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(١) [١].

الشرح:

[١] الأحاديث في فضائل الأعمال كثيرة، وتتفاوت، أحيانا يذكر النبي ﷺ هذا، وأحيانا يذكر هذا؛ مما يدل على أن فضائل الأعمال كثيرة -والحمد لله-، وأن الله وسَّع الخير، فأفضل الأعمال إيمان بالله، ثم جهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ثم الحج المبرور، الحج المبرور من الجهاد في سبيل الله، ليس كل الحج، لكن الحج المبرور، الذي تقبله الله من صاحبه، وأداه صاحبه على الوجه المشروع خالصا لوجه الله؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فيكون خالصا لوجه الله، ويكون صوابا على سنة رسول الله، ولا يخالطه معصية ولا إثم، هذا هو الحج المبرور.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُهُ» أَوْ «لَا تُطِيقُهُ»، قَالَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ وَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ»(١) [١].

الشرح:

[١] هذا يدل على فضل الجهاد في سبيل الله، وأن الذي يجاهد في سبيل الله أفضل من الصائم الذي لا يفطر، وأفضل من القائم الذي لا يفتر من القيام، فدل على أن الجهاد هو أفضل الأعمال؛ فلا يستهان بالجهاد في سبيل الله ﷻ، وغرض الشيخ من ذكر هذه الأعمال بيان صفات أولياء الرحمن، أن أولياء الرحمن هم أهل هذه الأعمال الجليلة، وليست الولاية للرحمن مجرد دعوى، أو شكليات، أو هالات حول الشخص، وإنما ولاية الله تقتضي هذه الأعمال الصالحة، هؤلاء هم أولياء الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣]، كل هذا داخل في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

وَفِي السُّنَنِ عَنْ مُعَاذٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ وَصَّاهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١) [١].

الشرح:

[١] لما بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل ﷺ لفضله وعلمه ﷺ، أرسله داعيا إلى الله، ومعلما، وقاضيا إلى جهة اليمن، قال له هذه الوصية العظيمة، أوصاه بثلاث كلمات: **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت»**؛ لازم تقوى الله، بامتثال أوامره وترك نواهيه، أينما كنت، سواء كنت في اليمن، أو في الشام، أو في مصر، أو في البر، أو في البحر، أو في الجو، **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت»**، أو كنت مع الناس، أو خاليا ليس عندك أحد من الناس، لازم تقوى الله ﷻ حيثما كنت، هذه هي التقوى الصحيحة، أما الذي يتقي الله في مكان دون مكان، أو مع الناس، ولكن إذا خلا، اختلف وضعه، فهذا لم يتق الله ﷻ: **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت»**، هذه واحدة، وهي في حق الله ﷻ، وفي حق نفسه، **«وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»**، الإنسان ليس معصوما، يقع منه أخطاء، يقع منه مخالفات، فعليه أن يتوب إلى الله، وأن يتبع السيئة الحسنة؛ تمحها؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، مع التوبة تتبع الطاعة، وتحل محل المعصية طاعة؛ من أجل أن الطاعة تمحو المعصية، تكفرها، **«وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»**،

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).

هذا فيما بين العبد وبين نفسه، أنه يراعيها، ولا يتركها تعمل ما تشاء، والثالثة: بينه وبين الناس: «وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»؛ رحابة صدر، واستقبال لهم، وانبساط معهم، ولين الجانب معهم، هذا الخلق الحسن، وهو صفة الرسول ﷺ، قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ)[١]، يعني: يمتثل القرآن الكريم، ويعمل به، هذا خلق الرسول ﷺ، والذي يدعو إلى الله يحتاج إلى الخلق: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤]، فهذه صفات يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله: أن يتقي الله حيثما كان، وأن يتبع السيئة الحسنة تمحها، وأن يخالق الناس بخلق حسن، هذه من أعظم صفات الداعية إلى الله ﷻ. فهؤلاء هم أولياء الرحمن الذين يتصفون بهذه الصفات الثلاث:

الصفة الأولى: يتقون الله حينما كانوا.

الصفة الثانية: ويتبعون السيئة الحسنة تمحها، ولا يتركون الذنوب تحيط بهم وتهلكهم.

الصفة الثالثة: ويخالقون الناس بخلق حسن. الله ﷻ قال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٣١)، وقال الألباني: صحيح لغيره، كما أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٩١، ١٦٣، ٢١٦).

وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنِّي لَأُحِبُّك، فَلَا تَدَعُ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعَنِّي عَلَى ذِكْرِك وَشُكْرِك وَحُسْنِ عِبَادَتِك»(١)، [١].

الشرح:

[١] قال لمعاذ ﷺ أيضا: «إِنِّي لَأُحِبُّك»، هذا فيه فضل معاذ ﷺ، وهو أن الرسول ﷺ يحبه، هذه فضيلة عظيمة لمعاذ، وفيه أن من أحب شخصا لأجل دينه أنه يخبره بذلك، فإن النبي ﷺ أخبر معاذا ﷺ أنه يحبه، «فَلَا تَدَعُ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعَنِّي عَلَى ذِكْرِك وَشُكْرِك وَحُسْنِ عِبَادَتِك»، وهذا فيه دليل على أن من أحببته أنك توصيه، توصيه بما ينفعه، فالنبي ﷺ لما أحب معاذًا ﷺ، أهدى إليه هذه الوصية العظيمة.

«دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»: دبر الشيء يفسر بتفسيرين: إما أنه آخره، وإما أنه ما بعده، «دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ» يحتمل أن المراد في آخر كل صلاة، ويحتمل أن المراد بعد السلام من كل صلاة، ولكن الاحتمال الأول أقوى؛ لأن الدعاء في داخل العبادة أفضل من الدعاء خارج العبادة، فالأفضل أن يأتي به داخل الصلاة قبل السلام، وإن قاله بعد السلام، فلا بأس أيضا، لكنه أقل من الأول.

«اللَّهُمَّ أَعَنِّي عَلَى ذِكْرِك وَشُكْرِك وَحُسْنِ عِبَادَتِك»: هذه صفات أولياء الله ﷻ، التي من اتصف بها كان من أولياء الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٥).

وَقَالَ لَهُ وَهُوَ رَدِيفُهُ: «يَا مُعَاذُ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قُلْت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا يُعَذِّبَهُمْ»(١) [١].

الشرح:

[١] هذه ثلاثة أحاديث، كلها في معاذ رضي الله عنه، فكفى بهذا فضلا لمعاذ رضي الله عنه هذا الحديث الثالث مما قاله النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه.

«**كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ**»؛ يعني: كان راكبا معه على حمار، ففيه جواز الإرداف على الدابة، إذا كانت تطيق ذلك، وفيه تواضع النبي ﷺ؛ حيث إنه كان يركب على الحمار، ويردف معه بعض أصحابه، وفيه فضيلة لمعاذ رضي الله عنه؛ حيث إنه كان رديف النبي ﷺ، وفيه الوصية والتعليم؛ «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**»، وفيه أن من سئل وليس عنده علم، أنه لا يستعجل في الجواب، ويسترشد من السائل، ولا يتخرص.

(**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟**)، و(**أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟**): دل على أن الله له حق على عباده، وهو أول الحقوق، وأوجب الحقوق، وآكد الحقوق، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وهذا هو الذي خلقهم الله من أجله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠).

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، هذا حق الله على عباده، ولا تكفي العبادة، بل لابد أن يجتنب الشرك.

بعض الناس يعبد الله، لكنه يشرك بالله ﷻ، فهذا لا تنفعه العبادة.

«**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ما قال: أن يعبدوه فقط، بل «**وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»؛ لأن الشرك يبطل العبادة.

و«**حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ**»، فحق الله على العباد هذا واجب، وحق العباد على الله هذا ليس واجبا على الله، وإنما هو حق تفضل الله به على عباده؛ لأن أحدا لا يوجب على الله شيئا، أما الله، فإنه يوجب على العباد، فأوجب عليهم عبادته وتوحيده، وتفضل ﷻ لمن عبده، ولم يشرك به شيئا ألا يعذبه، هذه بشرى عظيمة، وفيها منقبة لمعاذ رضي الله عنه، وهذه صفة أولياء الله ﷻ؛ أنهم يعبدونه، ولا يشركون به شيئا. وفيه فضل التوحيد، وأنه يكفر الله به الذنوب.

وَقَالَ أَيْضًا لِمُعَاذٍ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، [١].

الشرح:

[١] هذا حديث رابع لمعاذ ﷺ.

«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ»؛ يعني: أول شيء على المسلم أو على العبد، أول شيء على العبد أن يسلم لله ﷻ، ويدخل في دين الله، هذا أول شيء، أن يدخل في دين الله ﷻ، يدخل في الإسلام.

«وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»: عمود الإسلام الصلاة، فهذا تشبيه للإسلام بالخيمة أو البيت من الشَّعْرِ؛ لأنه لا يقوم إلا على عمود، لا تقوم الخيمة، أو البيت من الشعر، أو من الأدم إلا على عمود، وهذا شيء يعرفه الناس بالفطرة والتجربة، فلو أنك جئت بخيمة، أو ببيت من الشعر، أو من الأدم، أو غير ذلك، وليس معك عمود، لم تنتفع به، ولم تستظل به، حتى يكون معك عمود تقيمه عليه، فالإسلام لا يقوم إلا على الصلاة، فالذي ليس له صلاة لا يقوم له دين، ولا إسلام، وهذا يدل على أن من ترك الصلاة متعمدا، فإنه يكفر؛ لأنه ليس معه عمود الإسلام، عموده الصلاة.

«وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»؛ يعني: أرفع الإسلام وأعلاه الجهاد في سبيل الله، فهذا فيه فضل الجهاد في سبيل الله ﷻ، وأنه أفضل أنواع الطاعات.

وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَبْوَابِ الْبِرِّ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»، [١].

الشرح:

(وقال: يَا مُعَاذُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَبْوَابِ الْبِرِّ؟): أبواب الخير واسعة كثيرة، أبواب الخير يعني: أنواع الخير، وأنواع العبادات، زيادة على الإسلام على هذه الصفات، أو هذه الأركان للإسلام.

(الصَّوْمُ جُنَّةٌ): والجنة(١) ما يجتن به الإنسان ويتوقى به السلاح، وهو الترس الذي يكون بينه وبين سهام العدو، أو الحصن الذي يتحصن به، فالجنة ما يقيك من السهام؛ سهام العدو، (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) بمعنى أنه يقيك من المعاصي، وقاية، فإذا صام الإنسان - هذا شيء معروف -، إذا صام الإنسان، ابتعد عن المعاصي، وأقبل على الطاعة، فهذا من فضل الصيام؛ لأنه يحول بين العبد وبين شهواته، ويشغله بطاعة الله ﷻ، فهذا فيه فضل الصيام.

(وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ) الصدقة على المحتاجين والفقراء والمساكين تطفئ الخطيئة، يكفر الله بها السيئات، كما يطفئ الماء

---

(١) الجُنَّةُ، بالضم: كلُّ ما وَقَى والجُنَّةُ بالضم: ما استترت به من سلاح، والجُنة: السترة والجمع جُنَنٌ، واسْتَجَنَّ بجنة: استتر بسترة، والمِجَنُّ بالكسر الترس، وجمعه: مَجَانٌّ بالفتح. انظر: القاموس المحيط (١/ ١٥٣٢)، ومختار الصحاح (١/ ١١٩)، ولسان العرب (١٣/ ٩٢).

النار، فالخطيئة نار، نوع من النار، والصدقة تطفئها، تطفئ هذه النار. ففيه فضل الصدقة على المحتاجين.

(وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ)، كذلك التهجد بالليل في جوف الليل، وهو الثلث الأخير من الليل، أو وسط الليل، وهو قيام داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه[1]؛ يعني: بعد القيام، هذا جوف الليل، فأفضل ما يكون القيام في جوف الليل الأوسط؛ لأنه تنقطع الشواغل، وينام الناس، ولأنه أدل على الإخلاص لله، وأبعد عن الرياء ولأنه يحضر فيه القلب: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وناشئة الليل هي القيام بعد النوم، وبعد الهجعة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١١٣١، ٣٤٢٠)، ومسلم (١١٥٩): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ، صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ، صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا».

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧]، [١].

الشرح:

[١] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦] يقومون من المضاجع، وهم يحبون النوم، ويحبون الدفء إذا كان وقت برد، ويحب الإنسان أن ينام مع زوجته، لكن يتركون ذلك لله ﷻ، يتركون المضاجع مع محبتهم لها؛ طمعا فيما عند الله ﷻ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، يقومون يدعون الله ﷻ خوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه، فهذا فيه دليل على الجمع بين الخوف والرجاء، وأن الإنسان لا يعتمد على الخوف فقط، ويترك الرجاء، ولا يعتمد على الرجاء فقط ويترك الخوف، وإنما يكون بين الخوف والرجاء؛ خوفا وطمعا، هذه طريقة الأنبياء عليهم السلام: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، يتصدقون على المحتاجين، فهم يجمعون بين هذه الخصال، ومنها الصدقة من أموالهم على المحتاجين، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ثم ذكر جزاءهم، فقال ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾؛ كما أنهم أخفوا عملهم عن الناس، وقاموا في جوف الليل، والناس نيام،

فإن الله أخفى جزاءهم، بحيث لا يتصور أحد ما يعطيهم الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧]؛ يعني: الجزاء من جنس العمل، فلما آثروا طاعة الله على نومهم وعلى راحتهم، وتصدقوا من أموالهم على حبهم للمال، فإن الله ﷻ ادخر لهم جزاء لا أحد يقدر على وصفه، ولا يدركه أحد، فدل على أن الجزاء من جنس العمل، هذه صفات أولياء الرحمن.

إذا عملت هذه الأعمال، فاحذر مما يحبطها، احذر مما يفسدها، وأعظم ما يفسد الأعمال اللسان، أقرب شيء إلى الإنسان: يسب هذا، ويشتم هذا، ويغتاب هذا، ويسلط لسانه على الناس، فتذهب هذه الأعمال، فعلى الإنسان أن يحبس لسانه عن الكلام السيئ، ويستعمله في ذكر الله تبارك وتعالى، وإلا فإنه سيجني عليه لسانه.

ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ أَلَا أُخْبِرُك بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْت: بَلَى! فَقَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك هَذَا»، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(١). [١].

الشرح:

[١] «أَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك هَذَا»، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ)، أخذ ﷺ بلسان نفسه ليوضح لمعاذ خطر اللسان.

استغرب معاذ رضي الله عنه «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟»، مع أن الإنسان يتساهل في الكلام، وعنده شيء عادي، دائما يمزح، ويتكلم في الناس، ويسب هذا، ويمدح هذا، ولا له شغل إلا الكلام في الناس، يتساهل الناس في هذا، وعندهم أن الكلام سهل، فقال النبي ﷺ: «ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذُ»، هذه كلمة في الأصل دعاء، (ثَكِلَتْك أُمُّك) يعني: فقدتك، فقدتك أمك، هذا الأصل، لكن الرسول لا يريد هذا لمعاذ، لا يدعو على معاذ، وإنما هي كلمة تدور على الألسنة، «ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذُ»، هذا من باب الاستنكار على معاذ؛ لأنه ما تفطن للسان، «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» التي صدرت من ألسنتهم بالسباب والغيبة والشتم والنميمة، وغير ذلك وشهادة الزور، وأعظم ذلك الكفر

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١).

والشرك بالكلام، الأمر خطير جدا، هذا اللسان خطره عظيم، وأنتم تعلمون الذي قال لأخيه العاصي: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله ﷻ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(١) قال أبو هريرة رضي الله عنه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٢)؛ كلمة واحدة، الإنسان لا يتساهل بالكلام السيئ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

وَتَفْسِيرُ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ»(١). [١] فَالتَّكَلُّمُ بِالْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ عَنْهُ، وَالصَّمْتُ عَنِ الشَّرِّ خَيْرٌ مِنَ التَّكَلُّمِ بِهِ،[٢].

الشرح:

[١] تفسير قول الرسول ﷺ لمعاذ: «أَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك هَذَا» يفسره قوله: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا»؛ من ذكر الله، ومن الدعوة إلى الله، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلاوة القرآن، يتكلم كلام خير، «أَوْ لِيَصْمُتْ»، وإذا صمت وحبس لسانه، سلم من الإثم، فهو إما أن يتكلم بخير، وإما أن يصمت عن الشر.

[٢] التكلم بالخير خير من السكوت عن الخير، ما نقول: اسكت ولا تقل شيئا أبدا؛ لا خير ولا شر. لا، اسكت عن الشر، وتكلم في الخير، فالسكوت عن الشر خير من الكلام بالشر، والكلام بالخير خير عن السكوت عن الخير، فالسكوت قد يكون خيرا، وقد يكون نقصا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

فَأَمَّا الصَّمْتُ الدَّائِمُ فَبِدْعَةٌ مَنْهِيٌّ عَنْهَا ، [١].

الشرح:

[١] الإنسان ما يؤمر أن يسكت دائما ، قول الرسول: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ هَذَا»(١) ليس معناه أنك تصمت دائما ، ولا تتكلم بخير ، أو ما تكلم بالأمور المباحة ، لا ، ليس هذا المقصود، المقصود أنك تمسكه عن الشر فقط ، فلا يؤخذ من حديث معاذ هذا أن الإنسان يصمت ، ولا يتكلم لا بخير ولا بشر ، ولا بمباح ، هذا ليس عبادة ، السكوت ليس عبادة ، إلا عن الشر ، السكوت عن الشر هو العبادة . فمن زعم أن الصمت الدائم ، وأن الإنسان ما يتكلم ، ويقول : لأن الرسول ﷺ قال : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ هَذَا» ، هذا فهم خاطئ ، وهذا بدعة ، الله أمرنا بذكر الله ، وأمرنا بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأمرنا بالدعوة إلى الله ، أمرنا أن نتكلم ، لكن بالخير .

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٣٢).

وَكَذَلِكَ الِامْتِنَاعُ عَنْ أَكْلِ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَشُرْبِ الْمَاءِ، فَذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَذْمُومَةِ أَيْضًا، [١] كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا قَائِمًا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مُرُوهُ فَلْيَجْلِسْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»(١) [٢].

الشرح:

[١] الصمت الدائم هذا من البدع، الذي يعتقد أنه عبادة، ويقول: أنا أسلم من غوائل اللسان. ولا يحرك لسانه بذكر ولا بشيء، هذا بدعة، كذلك هذا مثل الذي يترك المباح الطيب، ويقول: هذا عبادة، يترك أكل اللحم، يترك أكل الفواكه، يترك اللباس الطيب الحسن، ويقول: هذا عبادة، لا، المباحات الله أباحها: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فالذي يترك المباحات، ويقول: هذه عبادة. هذا بدعة، ترك المباحات تعبدا لله بدعة.

[٢] هذا الرجل نذر أربعة أشياء:

الأولى: أنه يقف ولا يجلس، هذه واحدة.

الثانية: أنه لا يستظل؛ يكون في الشمس.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤).

الثالثة: أنه لا يتكلم.

الرابعة: أنه يصوم.

النبي ﷺ أقره على واحدة، وهي الصوم، ونهاه عن البقية، وهي الوقوف الدائم، وعدم الاستظلال بالظل، والصمت عن الكلام الدائم، نهاه عن هذه الأمور، فدل على أنها بدع؛ لأن هذه الأمور بدعة، ولا يتقرب إلى الله بهذه الأشياء.

(فَلْيَجْلِسْ)، هذا مقابل القيام.

(وَلْيَسْتَظِلَّ)، هذا عن عدم الدخول إلى الظلال والبقاء في الشمس.

(وَلْيَتَكَلَّمْ)، هذا عن الصمت الدائم.

(وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ)، أما الصيام، فقد قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»، الصيام طاعة؛ يتمه، ودل هذا الحديث أن من نذر محرما، فإن نذره لا ينعقد، وليس عليه الوفاء به، ولا كفارة عليه، قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رِجَالًا سَأَلُوا عَنْ عِبَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيُّنَا مِثْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ كَذَا وَكَذَا؟! وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١) [١].

الشرح:

[١] وهذا فيه أن من ترك المباحات تعبدا لله، فهو مبتدع، وأن هذا من الغلو في العبادة، والمطلوب الوسط والاعتدال، قال ﷺ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، دل على أن من ترك هذه الأشياء تقربا إلى الله، فهو مبتدع، وليس عابدا لله ﷻ، وأن الرسول ﷺ بريء منه، «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»؛ هذه البراءة، الرسول بريء من هذا، فهذا الحديث فيه أنه لا يتعبد لله بترك المباحات، وفيه أن الدين دين الوسط، دين الإسلام دين الوسط، بين الغلو وبين الجفاء، لا غلو ولا جفاء، هذا دين الإسلام وسط.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

فقوله: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» أَيْ: سَلَكَ غَيْرَهَا ظَانًّا أَنَّ غَيْرَهَا خَيْرٌ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، [١].

الشرح:

[١] لا خير من سنة الرسول ﷺ، فالذي يرى أنه يأتي بعبادة أفضل من عبادة الرسول، هذا ضال -والعياذ بالله-، قد تبرأ الرسول ﷺ منه، وهذا فيه رد على أهل البدع عموما، الذين يتركون سنة الرسول ﷺ، ويأتون بعبادات من عندهم ما أنزل الله بها من سلطان؛ أن الرسول بريء منهم، وفي الحديث الآخر: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١)، والحديث الآخر: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ»(٢)، والحديث الآخر: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»(٣).

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ خَيْرَ الْكَلَام كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ بِذَلِكَ كُلَّ يَوْمِ جُمْعَةٍ»(١). [١].

الشرح:

[١] سنة الرسول ﷺ هي ملة إبراهيم ﷺ، والله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، هل أحد يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفهاء الذين لا عقول لهم؟ ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾؛ يعني: لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، يعني: يتصف بالسفه، وهو خفة العقل والإدراك؛ لأن ملة إبراهيم هي الملة الحنيفية الكاملة، التي بعث بها رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، والرسول ﷺ قال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»(٢)، فهو راغب عن سنة الرسول وراغب عن سنة إبراهيم ﷺ. ويقول ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»؛ كل جمعة يقول هذا الكلام من باب التحذير للناس، والحث لهم على التمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٣٨).

فَصْلٌ

وَلَيْسَ مَنْ شَرْطِ وَلِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا لَا يَغْلَطُ وَلَا يُخْطِئُ؛ [١].

الشرح:

[١] ولي الله كما بينه الله في قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فكل مؤمن تقي، فهو ولي لله، وتقدم لنا أنه ليس لأولياء الله علامات يعرفون بها: لا في الأزياء، ولا في المعاملة مع الناس، وإنما هم كسائر الناس، لا يعرفون، فلا يجعلون لأنفسهم دعاية، أو يلبسون لباسا لا يلبسه غيرهم، أو أن يكون لهم أتباع، وهالات حولهم، بل كلما خفي الولي، كان هذا أكمل في ولايته؛ لأن الولاية إخلاص لله ﷻ، فالذي يحب أن يظهر، وأن يمدح، هذا عمله رياء، فلا يكون وليًا لله ﷻ، فأولياء الله لا يحبون أن يظهروا، ولا أن يمدحوا، ولا أن تكون لهم منزلة خاصة بين الناس، وهذا كما جاء في الحديث: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»(١) أشعث أغبر بمعنى: ليس له جاه، ولا يعرف، ومع هذا «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»؛ لأنه ولي لله ﷻ، وهذا يدل على إخلاصه؛ كما مر في قصة أويس القرني، الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، وهو من وفد اليمن، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه ﵃: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ»، فلما جاء

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٨).

مع وفد اليمن، كان مختفيا حتى بحث عنه عمر رضي الله عنه، فعثر عليه، طلب منه أن يدعو له، ثم إن عمر قال له: ألا أكتب لك إلى أهل العراق؟ قال: لا، دعني مع عامة الناس، فخرج على وجهه، ولم يعثر له على مكان بعد ذلك، مختفيا(١). هذه واحدة.

الثانية: الآن ليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يخطئ، بل يقع منه خطأ في الاجتهاد، إلا الأنبياء، أئمة الأولياء هم الأولياء، هؤلاء معصومون، الأنبياء عليهم السلام معصومون، أما من عداهم من الأولياء، فإنه

(١) عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟! أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

عرضة للخطأ والصواب، فلا يقال: إن الولي لا يخطئ، وكل ما قاله فإنه حق. ويؤخذ كأنه نبي، لا، هذا قول الصوفية مع رؤسائهم، ومع مشايخهم، يعتقدون لهم العصمة، وأنهم لا يخطئون، وأن المريد مع شيخه كالميت مع غاسله، ما يمانع في شيء، ولا يعترض في شيء، يستسلم استسلاما كاملا، هذه عقيدة الصوفية الضالة، فالولي يخطئ ويصيب، ويعترف بالخطأ والصواب، وسيأتيكم من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ما يبين هذا، هذا رد على الذين يقولون: إن الولي معصوم، ولذلك كل ما يصدر عنه، فإنه لا يعترض عليه، ولا يعارض. كما تقوله الصوفية في مشايخها، أو القبورية في مشايخها، وهذه مسألة مهمة جدا.

بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، [١] وَيَجُوزُ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ بَعْضُ أُمُورِ الدِّينِ، حَتَّى يَحْسب بَعْضُ الْأُمُورِ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، [٢].

الشرح:

[١] يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة؛ فيخطئ، يفتي بفتوى، أو يقول قولا، وفي الشريعة ما يخالف هذا القول وهذه الفتوى؛ لأنه لم يطلع عليها، هو ما تعمد المخالفة، لكن لم يطلع عليها، الله ﷻ يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، قال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فالولي لا يعتقد في حقه العصمة، غير الأنبياء عليهم السلام؛ لأن الله عصمهم، فهم يخطئون ويصيبون، ولكنهم يرجعون إلى الحق، ويقبلون النصح، ويشاورون العلماء؛ كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه -كما يأتي- إذا عرض الأمر، يستشير الصحابة المهاجرين والأنصار، وهو من خواص الأولياء.

[٢] يجوز أن يشتبه عليه بعض الأمور الدينية، فيظن أن هذا سنة، وليس بسنة، هذا صحيح وليس بصحيح؛ لأنه بشر يخطئ ويصيب، ليس معناه أنه إذا صار وليًا أنه خرج عن البشرية، بل هو بشر يخطئ ويصيب.

وَيَجُوزُ أَنْ يَظُنَّ فِي بَعْضِ الْخَوَارِقِ أَنَّهَا مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، [١] وَتَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَبَّسَهَا عَلَيْهِ؛ لِنَقْصِ دَرَجَتِهِ، وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، [٢].

الشرح:

[١] والولي الصادق لا يعتقد أن كل أمر خارق فهو كرامة، بل إنه يخاف أن تكون من الشيطان، فلا يغتر بما يظهر على يديه أنه كرامة، لا يجزم بهذا، قد يكون هذا تغريرًا من الشيطان؛ ليلبس عليه، فهذا من صفات الأولياء أنهم لا يغترون بالكرامات ولا يترفعون بها، وإنما يخفونها، ولا يعتمدون عليها.

[٢] كما سبق لكم أن الخارق للعادة إذا جرى على يد مؤمن تقي، فإنه كرامة، وإذا جرى على يد فاجر شقي، أنه خارق شيطاني، وليس كرامة.

(لِنَقْصِ دَرَجَتِهِ) لينقص درجته، وليغره بها، فالولي لا يغتر بالكرامة، لا تغره الكرامة.

وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ [١] فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْخَطَإِ، وَالنِّسْيَانِ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[١]، [٢].

الشرح:

[١] وإن لم يخرج بخطئه، إذا أخطأ، لا يخرج من ولاية الله، وهو ولي لله وإن أخطأ؛ لأنه لم يتعمد الخطأ، قد قال ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[٢]، فهو مأجور غير مأثوم على الخطأ، ويؤجر على الصواب مرتين.

[٢] كما في الحديث قال ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْخَطَإِ، وَالنِّسْيَانِ» ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فالولي إذا أخطأ أو نسي معفو عن خطئه ونسيانه؛ لأنه ليس معصوما.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣)، وابن حبان (١٦/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٤)، والأوسط (٨/ ٢٦٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٦) من حديث ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦]. [١].

الشرح:

[١] ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾: هذه الآيات من آخر سورة البقرة، فيها صفات أولياء الله:

أولًا: أنهم يؤمنون بالله وما أنزل الله ﷻ، يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

ثانيًا: أنهم أيضا يؤمنون بما أنزل الله، ولا يعتقدون أنهم يخرجون عن الشريعة؛ لأنهم وصلوا إلى الله، وليسوا بحاجة إلى الشريعة، فهم يؤمنون بما أنزل الله ﷻ، ويتبعونه، ولا يعتقدون أنهم استغنوا عن الشريعة؛ استغنوا عما أنزل الله.

الصفة الثالثة: أنهم يعترفون بالخطأ والنسيان، ويطلبون من الله ﷻ أن يغفر لهم.

الصفة الرابعة: أنهم يقولون: سمعنا وأطعنا، فيسمعون لكلام الله وكلام رسوله، ويتلقونهما بالقبول، ويطيعون الله ورسوله. هذه صفات أولياء الله.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اسْتَجَابَ هَذَا الدُّعَاءَ وَقَالَ: «قَدْ فَعَلْت»، [١].

الشرح:

[١] كل جملة يقول الله: «قَدْ فَعَلْت»؛ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾، قال الله ﷻ: «قَدْ فَعَلْت»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قال الله: «قَدْ فَعَلْت»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾، قال الله: «قَدْ فَعَلْت»، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: «قَدْ فَعَلْت»، فاستجاب الله هذه الدعوات، هذه صفة أولياء الله، تؤخذ من مثل هذه الآيات الكريمات. ولاحظوا أنهم اعترفوا أنهم مخطئون، وأنهم ينسون، اعترفوا بهذا، ولم يدعوا العصمة، وأنهم لايخطئون، ولا ينسون.

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]، **قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْهَا قَبْلَ ذَلِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، [١].**

الشرح:

[١] لما نزل قوله ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، شق ذلك عليهم مشقة عظيمة؛ أن الله سيحاسبهم عما في ضمائرهم وعما في نفوسهم، هذا صعب، صعب جدا، وجثوا على الركب، وقالوا: كلفنا من العمل ما نطيق، فأطعنا، لكن هذا لا نطيقه، ما جاء في هذه الآية لانطيقه: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾، هذا لانطيقه، فقال النبي ﷺ: **«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»**(٢)، فعند ذلك أنزل الله قوله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ثم نسخ الله هذه الآية بقوله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فتكون هذه الآية ناسخة لما قبلها، بعدما أبدوا الاستعداد للقبول والإيمان بها، وإن كان فيها مشقة عليهم، الله ﷻ عفا عنهم ونسخها، فقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا»، قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ اللَّهُ: «قَدْ فَعَلْت»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قَالَ: «قَدْ فَعَلْت» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: «قَدْ فَعَلْت». [١].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ [الأحزاب: ٥]. [٢].

الشرح:

[١] الإصر: المشقة، فإن الله عاقب بني إسرائيل، فحملهم المشقة؛ عقوبة لهم: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، فلما تعنتوا، الله حملهم ما لا يطيقون؛ عقوبة لهم، فهذه الأمة لما قالوا: سمعنا وأطعنا. خفف الله عنهم.

[٢] ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: الذي تتعمده القلوب فيه جناح، لكن ما جاء خطأ أو نسيانا

فإن الله ﷻ لا يؤاخذ هذه الأمة عليه؛ رحمة بها، وتخفيفا عنها؛ لأنهم استسلموا، وآمنوا، ولم يعارضوا مثلما عارض بنو إسرائيل؛ قالوا: سمعنا وعصينا.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄ مَرْفُوعًا أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١)، [١].

الشرح:

[١] فدل على أن الحاكم يخطئ، وأن المجتهد يخطئ، ولكنه لم يتعمد الخطأ؛ فلذلك عفا الله عنه، وأعطاه أجرا على اجتهاده، هذا من رحمة الله وفضله، والمجتهد المراد به: العالم الذي بلغ رتبة الاجتهاد، مع بلوغه رتبة الاجتهاد قد يخطئ، ولكن الله عفا عنه، وكتب له الأجر على اجتهاده، أما من يقول: من حق كل أحد أن يجتهد: العامي، والجاهل، وكل أحد يجتهد. هذا ضلال - والعياذ بالله -، نجد الآن من يقول: من حق كل مسلم أن يجتهد، ولو كان جاهلا وعاميا، من حقه أن يجتهد. وهذا ضلال مبين -والعياذ بالله-؛ الاجتهاد إنما هو من حقوق العلماء المتأهلين في الاجتهاد؛ كالأئمة الأربعة، ومن شاكلهم ممن توفر فيهم شروط الاجتهاد في استنباط الأحكام، هذا هو أعلى درجات الاجتهاد، هناك اجتهاد أقل منه في الترجيح، الترجيح بين أقوال العلماء يعرضها على الدليل، فيأخذ ما ترجح بالدليل، هذا يسمونه الاجتهاد المذهبي، وهو الاجتهاد في الترجيح.

والنوع الأول يسمى: الاجتهاد المطلق، هذا لا يقوى عليه إلا فحول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

الأئمة، الذين تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، أما الاجتهاد الجزئي والاجتهاد الترجيحي، فهذا يقوى عليه من تمرس في طلب العلم، وعرف الأقوال وأدلتها، ولا يجتهد اجتهادًا من عنده مبتكرًا وجديدًا، لا، بل يتبع أقوال العلماء، فيختار منها ما ترجح بالدليل، هذا يسمى الاجتهاد المذهبي.

«وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» هذا الشاهد من الحديث: **«إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ»**، فدل على أن العالم المتبحر قد يخطئ.

فَلَمْ يُؤَثِّمْ الْمُجْتَهِدَ الْمُخْطِئَ؛ بَلْ جَعَلَ لَهُ أَجْرًا عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَجَعَلَ خَطَأَهُ مَغْفُورًا لَهُ، وَلَكِنَّ الْمُجْتَهِدَ الْمُصِيبَ لَهُ أَجْرَانِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ وَلِيُّ اللَّهِ يَجُوزُ أَنْ يَغْلَطَ لَمْ يَجِبْ عَلَى النَّاسِ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يَقُولُهُ مَنْ هُوَ وَلِيٌّ لِلَّهِ [١].

الشرح:

[١] والأول له أجران؛ أجر عن الاجتهاد، وأجر عن الإصابة.

هذه النتيجة من البحث السابق، من أول الفصل إلى الآن، هذه النتيجة، إذا كان الولي يخطئ أحيانا، وليس معصوما، فلا يلزمنا أن نقبل كل ما يقوله، ونعتقد له العصمة، بل يجب أن نعرض أقواله على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فهو مقبول، وما خالفها، فهو مردود، ولا ينقص هذا من قدره؛ لأنه مأجور؛ كما في الحديث: «وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، هو مأجور، ما نتنقصه؛ لأنه بذل وسعه، ولم يتعمد الخطأ، فلا يتنقص المخطئ من أهل العلم، ونتلمس لهم العثرات، ونتنقصهم، ونتكلم عنهم في المجالس، لا، إذا كانوا علماء، لكن -كما ذكرنا- إذا كانوا ليسوا بأهل اجتهاد، فلا يجوز أن يدخل في الاجتهاد أصلا، وهو مخطئ على كل حال، الذي ليس عنده المؤهلات للاجتهاد المطلق، أو الاجتهاد المذهبي، هذا مخطئ على كل حال، ولو أصاب، فهو مخطئ؛ لأنه ليس عنده مؤهلات

الاجتهاد. كما قال ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»(١)؛ لأنه ما أصاب نتيجة لأهليته، وإنما أصاب مصادفة فقط، وهو مخطئ؛ لأنه يجتهد، أو يقول في القرآن بغير علم.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٦) من حديث جندب رضي الله عنه.

لِئَلَّا يَكُونَ نَبِيًّا ؛ [١] بَلْ وَلَا يَجُوزُ لِوَلِيِّ اللَّهِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى مَا يُلْقَى إِلَيْهِ فِي قَلْبِهِ [٢].

الشرح :

[١] لأن النبي معصوم؛ لأن الأنبياء معصومون.

[٢] الناس لا يقبلون كل ما يقوله قضية مسلمة، حتى يعرض على الدليل، هو بنفسه أيضا لا يعتمد على ما يلقى في نفسه -من الأقوال، أو الهواجس، أو الأشياء-، حتى يعرضها على كتاب الله، ولا يقول: هذه كرامات، وهذه مكاشفات، وهذه. . . ؛ كما يقوله أهل الضلال، بل يعرض ما يلهم وما يقع في روعه، يعرضه على الكتاب والسنة، ولا يقبله دون مراجعة؛ لأن هذا قد يكون من الشيطان، عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الملهم المحدث - كما سيأتي - ما كان يقبل ما يأتيه حتى يعرضه على الكتاب والسنة.

إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ، [١] وَعَلَى مَا يَقَعُ لَهُ مِمَّا يَرَاهُ إِلْهَامًا وَمُحَادَثَةً وَخِطَابًا مِنَ الْحَقِّ؛ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِضَ ذَلِكَ جَمِيعَهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَإِنْ وَافَقَهُ قَبِلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ لَمْ يَقْبَلْهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَمُوَافِقٌ هُوَ أَمْ مُخَالِفٌ؟ تَوَقَّفَ فِيهِ. [٢] وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: طَرَفَانِ، وَوَسَطٌ: [٣].

الشرح:

[١] وذلك بعرضه على الكتاب والسنة، فإذا عرض لك خاطرة في حكم شرعي، رأيت أنه واجب، أو أنه مستحب، أو أنه حرام، أو مكروه، إذا عرض لك شيء، اعرضه على الكتاب والسنة.

[٢] يعرض ما عرض له وعنَّ في نفسه من الأفكار يعرضها على الكتاب والسنة، فإن وافق، فهو حق، وإن خالف، فإنه يتركه، وإن لم يتبين له أنه حق أو غير حق، يتوقف.

[٣] تنبهوا! الناس في هذا الباب مع الأولياء ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: صنف يعتقد لهم العصمة، وأن كل ما يقولونه فهو صواب، وهذا غلو ومبالغة، ومخالف للكتاب والسنة.

الصنف الثاني: صنف لا يلقي لهم بالا، ولا يعتبرهم شيئا، وهذا مخالف للكتاب والسنة أيضا.

الصنف الثالث: صنف توسط، يقول: ما وافق الكتاب والسنة من أقوال الأولياء، فإنه حق، وما خالف، فإنه خطأ. ما يقول: باطل، يقول: خطأ؛ فرق بين الباطل وبين الخطأ، الباطل يتعمده ويقصده، لكن الخطأ لم يتعمده، فيقال: إنه خطأ.

فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا اعْتَقَدَ فِي شَخْصٍ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَافَقَهُ فِي كُلِّ مَا يَظُنُّ أَنَّهُ حَدَّثَ بِهِ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ. [١] وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا رَآهُ قَدْ قَالَ أَوْ فَعَلَ مَا لَيْسَ بِمُوَافِقٍ لِلشَّرْعِ، أَخْرَجَهُ عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ، [٢].

الشرح:

[١] هذا قول الصوفية في مشائخهم الذين يقولون: إنهم أولياء وأقطاب... إلى آخره. لأنهم يقولون: إن الأولياء يتلقون عن الله، ويأخذون عن الله، ولا هم بحاجة إلى الكتاب والسنة. هذا غلو - والعياذ بالله -، وهذا يكون أرفع من الأنبياء، ولذلك يعتقدون أن الأولياء أرفع من الأنبياء.

[٢] هذا الطرف الثاني، الذي يجعل من خطأ العالم أنه خرج عن الشرع بالكلية، وأنه ليس وليًا لله، هذا غلو في التخطئة، بل هو ولي لله، وإن أخطأ، فخطؤه مغفور؛ كما في الحديث، وكما في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: «قَدْ فَعَلْتُ»، فهو لا تزول عنه الولاية بسبب أنه أخطأ خطأ عن اجتهاد، لا تزول عنه الولاية؛ يخطئ وهو ولي.

وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا. [١] وَخِيَارُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا، وَهُوَ أَنْ لَايُجْعَلَ مَعْصُومًا وَلَا مَأْثُومًا إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا، فَلَا يُتَّبَعُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ وَالْفِسْقِ مَعَ اجْتِهَادِهِ. [٢].

الشرح:

[١] إذا كان ما خالف فيه الشرع لم يتعمده، وإنما هو اجتهد، وظن أنه على صواب، فهذا مخطئ ومأجور على اجتهاده، ولا تزول عنه الولاية لله ﷻ، فإن أولياء الله يخطئون عن اجتهاد، أما إذا خالف شرع الله متعمدا، واستباح المحرمات متعمدا، فهذا يخرج عن ولاية الله ﷻ، إذا تعمد الفجور، وتعمد الفسق، ويزعم أنه ولي لله، وأنه ما يضره هذه الأفعال، فهذا يخرج عن ولاية الله إلى ولاية الشيطان.

[٢] مع اجتهاده، أما إذا كان متعمدا، فيحكم عليه بالكفر والفسق؛ لأن هذا ما هو اجتهاد، هذا تمرد، فلاحظوا هذا.

وَالْوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، [١] وَأَمَّا إِذَا خَالَفَ قَوْلَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ وَوَافَقَ قَوْلَ آخَرِينَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزِمَهُ بِقَوْلِ الْمُخَالِفِ، وَيَقُولَ: هَذَا خَالَفَ الشَّرْعَ. [٢].

الشرح:

[١] الواجب على الناس جميعا - الأولياء وغير الأولياء - أن يتبعوا ما أنزل الله ﷻ، لا أحد يخرج عما أنزل الله، كلهم عباد لله، ويجب عليهم اتباع ما أنزل الله، ولا أحد يدعي أنه خرج عن اتباع ما أنزل الله، وصار وليًا لله، ولا حرج عليه، وأنه يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء؛ لأنه ولي، هذا ولي للشيطان، وليس وليًا للرحمن. قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: فيما اختلفوا فيه، ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فأقسم على نفي الإيمان عمن لم يحكم رسول الله ﷺ في كل اختلاف، فإنه انتفى عنه الإيمان.

[٢] إذا صار الخلاف بين العلماء متوازنا، لم يظهر الدليل مع أحدهم، بل كل منهم يحتمل أنه على دليل، ومصيب، كل منهم يحتمل، فهنا لا إنكار في مسائل الاجتهاد، أما إذا كان الدليل ظهر مع أحد العلماء، فيجب أخذ قول من ظهر معه الدليل، وترك قول من خالف الدليل، أما الذين يقولون: إن الخلاف رحمة، والناس يتخيرون من الأقوال ما يوافق أهواءهم ورغباتهم.

مثل ما ينادى به الآن في الصحف وفي المنتديات، وأن أقوال العلماء كلها سواء، وبأي شيء أخذنا، فهذا من التوسعة. هذا كلام باطل، لابد من الأمرين: أولا: ألا يظهر الدليل مع أحد المختلفين، كل يحتمل أنه هو المصيب، فهذا لامشاحة في الاجتهاد، ولا يفرض قول أحد على أحد؛ لأن كلًّا منهما متساوٍ مع الآخر، أما إذا ظهر الدليل مع أحد الأقوال، فيجب علينا أن نأخذ به، سواء وافق أهواءنا، أو خالف أهواءنا.

فإذا لم يظهر الدليل. لأنه ما خالف الشرع، وإنما خالف قول عالم إلى عالم آخر متساو معه في عدم ظهور الدليل على قوله، كل واحد منهم يحتمل أنه هو المصيب؛ لعدم ظهور الدليل، هذا الذي يقال: لامشاحة في الاجتهاد، أو لا إنكار في مسائل الاجتهاد. المسائل التي لم يظهر الدليل فيها مع أحدهم.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ مِنْهُمْ»(١) [١].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ لَمْ أُبْعَثْ فِيكُمْ لَبُعِثَ فِيكُمْ عُمَرُ»(٢). [٢].

الشرح:

[١] هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو محدث وملهم بشهادة الرسول ﷺ، وقد وافق القرآن في أشياء؛ قال قولا، فنزل القرآن بموافقته، بلغ إلى هذه المرتبة من العلم والمزية، ومع هذا عمر يخطئ أحيانا، وسيأتي لكم أمثلة مما وقع له رضي الله عنه، واعترف هو بذلك، فلم يكن معصوما، مع أنه من سادات أولياء الله عز وجل، وشهد له الرسول ﷺ بأنه محدَّث وملهم، ومع هذا ليس معصوما، فكيف بغيره؟!

[٢] هذا ورد عن الرسول ﷺ، لكن فيه كلامًا، الحديث هذا فيه كلام، ولكن الشيخ ساقه معتمدا عليه؛ بناء على من قواه، ويشهد له أحاديث أخرى بأن عمر محدث في هذه الأمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٩٤)، ولم أجده بهذا اللفظ عند الترمذي، والذي في الترمذي سيذكره الشيخ، وسيأتي تخريجه بعد حديث. وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٢٠): لا يصح عن رسول الله ﷺ ففي سنده وضاع ومتروك. ا. هـ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»(١) وَفِيهِ: «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرُ»(٢). [١].

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁ يَقُولُ: «مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ»(٣)، ثَبَتَ هَذَا عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ الشَّعْبِيِّ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﵄: «مَا كَانَ عُمَرُ يَقُولُ فِي شَيْءٍ: إِنِّي لَأَرَاهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَقُولُ»(٤) [٢].

الشرح:

[١] شهادة من الرسول ﷺ لعمر، ومع هذا وقعت له أخطاء، فكيف بغيره؟! ومن يدعي العصمة لغيره؟!

[٢] لو كان. وسيأتيكم أمثلة من آراء عمر التي نزل القرآن بموافقتها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٦١- ٢٩٦٢)، والترمذي (٣٦٨٣)، وصححه، وابن ماجه (١٠٨)، وأحمد (٥/ ١٤٥)، وابن أبي عاصم (١٢٤٨)، والطبراني في الكبير (١٠٧٧) بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦)، وقال: حسن غريب. وأحمد (٤/ ١٥٤)، والطبراني في الكبير (٨٢٢)، والحاكم (٣/ ٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٠٦)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ٢٢٢)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٨).

(٤) أخرجه بنحوه الترمذي (٣٦٨٢).

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ طَارِقٍ قَالَ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عُمَرَ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ مَلَكٌ»(١).

وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: «اقْتَرِبُوا مِنْ أَفْوَاهِ الْمُطِيعِينَ، وَاسْمَعُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، فَإِنَّهُ تَتَجَلَّى لَهُمْ أُمُورٌ صَادِقَةٌ»(٢). [١].

وَهَذِهِ الْأُمُورُ الصَّادِقَةُ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عنه أَنَّهَا تَتَجَلَّى لِلْمُطِيعِينَ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي يَكْشِفُهَا اللَّهُ عز وجل لَهُمْ. فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُخَاطَبَاتٍ وَمُكَاشَفَاتٍ. [٢].

الشرح:

[١] المطيعون لله عز وجل الله تبارك وتعالى قد يلهمهم الصواب، فيقبل منهم ما لا يقبل من غيرهم، لكن لا يدعى لهم العصمة، وإنما هم أحرى من غيرهم بالصواب.

[٢] المخاطبات والمكاشفات والتحديث إنما يلقيه الملك على لسان عمر أو غيره؛ بسبب إيمانه وقوة يقينه، وقوة علمه.

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة (٧/ ٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥١) قال: قال عمر رضي الله عنه «جَالِسُوا التَّوَّابِينَ فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ شَيْءٍ أَفْئِدَةً».

فَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ(١) [١].

الشرح:

[١] أبو بكر صديق، وعمر محدَّث ﷺ، والصديق أفضل من المحدث، الصديق هو كثير الصدق، فلا يصدر عنه كذب، ولا يكذب شيئا مما جاء عن الله ورسوله، ولا يقع في نفسه مما فعله الرسول ﷺ، هذا ما وصل إليه إلا أبو بكر؛ كما سيأتي: في قصة الحديبية، وفي وفاة الرسول ﷺ، وفي قتال أهل الردة ومانعي الزكاة، هذه مواقف لأبي بكر لم يقفها غيره، حتى الصحابة عندها حصل عندهم شيء من التردد، إلا أبا بكر ﷺ، فإنه ثبت ثبات الجبال، وكانت العاقبة حميدة، فعرفوا أن أبا بكر على الصواب ﷺ؛ فهو أفضل من عمر ﷺ.

---

(١) كما أخرج البخاري (٣٦٥٥) عن ابن عمر ﷺ قال: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ».
وأخرج البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩) «عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ قُلْتُ لأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ ثُمَّ أَنْتَ قَالَ مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ تَعْيِينُ عُمَرَ بِأَنَّهُ مُحَدَّثٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ(١)، [١] فَأَيُّ مُحَدَّثٍ وَمُخَاطَبٍ فُرِضَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَعُمَرُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَمَعَ هَذَا فَكَانَ عُمَرُ ؓ يَفْعَلُ مَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِضُ مَا يَقَعُ لَهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، [٢] فَتَارَةً يُوَافِقُهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ. [٣].

الشرح:

[١] ليس هذا قاصرا على عمر، فقد يوجد في بعض المؤمنين شيء من هذا، لكن عمر أفضل من جميع من وقع له شيء من هذه الأمور، ومع هذا وقعت له أخطاء. هذا غرض الشيخ ؒ؛ أن الولي مهما بلغ، فإنه ليس معصوما.

[٢] هذا عمر مع ما أعطاه الله من المنزلة في العلم، وانكشاف الأمور له، ما كان يعتمد على ما يعرض له من التحديث أو من المكاشفة، ما كان يعتمد على هذا، بل كان يعرض هذا على سنة الرسول ﷺ.

[٣] نزل القرآن بموافقة عمر في أمور ثلاثة(٢):

الأمر الأول: في أسرى بدر، لما أسر المسلمون سبعين أسيرا من صناديد المشركين، استشار الرسول ﷺ أصحابه: ماذا يفعل بهم؟ فبعضهم رأى أنه

---

(١) سبق الحديث وتخريجه (ص ٣٦٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩) واللفظ له: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ».

يأخذ الفداء ويطلقهم، ومن هؤلاء أبو بكر رضي الله عنه، أما عمر، فقال: لا، لابد من ضرب أعناقهم، هذه أول غزوة للمسلمين، فلابد من ضرب أعناقهم؛ حتى يرتدع غيرهم. فأنزل الله قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨]، فجاء القرآن بموافقة عمر في أن الصواب أن يقتلوا، ولا تؤخذ منهم الفدية. هذه واحدة.

الثاني: أنه قال للرسول ﷺ: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

الثالث: مسألة الحجاب: أشار عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ أن تحتجب أزواجه، فقال: الناس يدخلون عليك، ويأتيك ناس، فلابد أن نساءك يحتجبن عن الرجال، فأنزل الله آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فوافق عمر ربه في هذه الأمور الثلاثة.

كَمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ(١)، [١] وَتَارَةً يُخَالِفُهُ فَيَرْجِعُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ؛ كَمَا رَجَعَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، لَمَّا كَانَ قَدْ رَأَى مُحَارَبَةَ الْمُشْرِكِينَ، [٢].

الشرح:

[١] في أسرى بدر، وفي مقام إبراهيم، وفي الحجاب؛ لأنه كان في أول الإسلام، كان في أول الإسلام النساء تكشف وجوهها، هذا في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك، وأُمرت النساء بالحجاب.

[٢] يوم الحديبية هذا مما أخطأ فيه عمر رضي الله عنه مع ما له من المنزلة، أخطأ في هذا؛ لأن الرسول ﷺ لما جاء معتمرا هو وأصحابه، ومعهم الهدي سنة ست من الهجرة، صدهم المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، صدوهم عن المسجد الحرام، وبقوا في الحديبية أياما، والمشركون يرسلون إليه الرسل للمفاوضة معه، فتفاوضوا، واصطلحوا على أن الرسول يرجع هذه السنة هو وأصحابه، يرجعون إلى المدينة، وأن يعتمروا من العام القادم عمرة القضية، شق ذلك على عمر رضي الله عنه، وقال: كيف نرجع؟ ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! قال الرسول ﷺ: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟! قال الرسول ﷺ: بلى. قال: ألست أخبرتنا أننا سندخل ﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]؟! قال: بلى، لكن هل قلت لك: إنه هذه

---

(١) انظر: (ص ٣٦٩).

السنة، لابد أن تدخلوا ﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾، ثم ذهب عمر إلى أبي بكر، لما رأى الرسول ﷺ مصمما على ما هو عليه، ذهب إلى أبي بكر، وقال له: الأمر ليس سهلًا علينا، فقال أبو بكر: إنه رسول الله، فاستمسك بغرزه، فهذا موقف أبي بكر ؓ، الذي امتاز به على عمر، قال: إنه رسول الله، وليس لنا مراجعة مع رسول الله ﷺ، فعند ذلك سلم عمر ؓ، كانت النتيجة للمسلمين، وسماها الله فتحا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، هذا صلح الحديبية، أما فتح مكة، فهو مذكور في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١]، هذا فتح مكة، لكن ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] هذا صلح الحديبية، صار فتحا للمسلمين، أظهر الله الإسلام، وأذل الكفر، وصار الناس في حرية، الذين يريدون أن يسلموا يسلموا، ولا أحد يعارضهم، والذين يريدون الهجرة يهاجرون ولا أحد يعارضهم، ووضعت الحرب أوزارها، فصارت المصلحة والنتيجة للمسلمين، فأدرك عمر ؓ أنه أخطأ، ولهذا قال: أيها الناس، اتهموا الرأي في الدين[1]، فلو رأيتني يوم أبي جندل - أبو جندل سهيل بن عمرو ؓ كان مسلما صحابيا - وهو في قبضة المشركين، وقد فاوضوا الرسول ﷺ على أن من جاءه من المسلمين

---

(١) عَنْ عُمَرَ ؓ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّهِمُوا الرَّأْيَ عَلَى الدِّينِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِي اجْتِهَادًا، فَوَاللَّهِ مَا آلُو عَنِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ. . . أخرجه البزار (١/ ٢٥٤)، والطبراني (١/ ٧٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٦)، والضياء (١/ ٣٢٥). قال الهيثمي (١/ ١٧٩): رجاله موثقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة.

يرده على المشركين، فرد أبا جندل، وقال: سيجعل الله له فرجا ومخرجا، شق ذلك على عمر رضي الله عنه؛ لأنه لم يدرك العاقبة التي أرادها الله تبارك وتعالى: **(اتهموا الرأي في الدين، فلو رأيتني يوم أبي جندل على أن أرد أمر رسول الله ﷺ وأجتهد ولا آلو)**، فأدرك خطأه رضي الله عنه، لما ظهرت النتائج العظيمة للمسلمين هذه واحدة.

(كَمَا رَجَعَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ) رجع عن رأيه يوم الحديبية، واستسلم، وعرف النتيجة.

وَالْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ(١)؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ اعْتَمَرَ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ الْهِجْرَةِ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ نَحْوُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَهُمْ الَّذِينَ بَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ قَدْ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ مُرَاجَعَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَيَعْتَمِرَ مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ، وَشَرَطَ لَهُمْ شُرُوطًا فِيهَا نَوْعُ غَضَاضَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم وَأَحْكَمَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ، وَكَانَ عُمَرُ فِيمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَ: أَفَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، وَلَسْت أَعْصِيه». ثُمَّ قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُحَدِّثُنَا أَنَّا نَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «أَقُلْت لَك أَنَّك تَأْتِيه الْعَامَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «إِنَّك آتِيه وَمُطَوِّفٌ بِهِ». [١].

الشرح:

[١] هو يرى محاربة المشركين، ولا يرى الرجوع، والرسول ﷺ يرى الرجوع والصلح.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).

فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﵁ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ مِثْلَ جَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ يَسْمَعُ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ، [١] فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ أَكْمَلَ مُوَافَقَةً لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ عُمَرَ، [٢] وَعُمَرُ ﵁ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا(١) [٣].

الشرح:

[١] وهذا كما في قوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الفتح: ٢٧]؛ يعني: قبل ذلك ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، وهو صلح الحديبية.

[٢] أبو بكر ﵁ ما سمع كلام الرسول ﷺ لعمر، ومع هذا قال: عين الصواب، قال: هو رسول الله ﷺ، فوافق جواب الرسول وهو ما سمعه.

[٣] يعني اعترف بخطئه، وعمل أعمالا تمسح أو تكفر هذا الشيء.

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٢٧٣١- ٢٧٣٢) في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

وَكَذَلِكَ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْكَرَ عُمَرُ مَوْتَهُ أَوَّلًا، فَلَمَّا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ مَاتَ، رَجَعَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ(١) [١].

الشرح:

[١] هذا الموقف الثاني: لما مات النبي ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه بالسمح (ناحية من المدينة فيها نخل له)، فلما مات النبي ﷺ، هاج الناس، واضطربوا، وفيهم عمر يتوعدهم، ويقول: الرسول ما مات، وإنما ذهب إلى ربه؛ كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام، وسيأتي، ويقتل أناسا، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه، فدخل على النبي ﷺ وهو مسجى، فكشف الغطاء عن وجهه، وعلم أنه قد مات، قبله وبكى، ثم خرج إلى الناس، وعمر رضي الله عنه يهددهم، ويخطب، قال: على رسلك يا عمر، فنزل عمر من المنبر، وصعد أبو بكر رضي الله عنهما، فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النبي ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، . . .» الحديث.

ثم تلا قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فعند ذلك علم عمر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قد مات، فأسقط بين يديه، وجثا على الأرض، لا يستطيع القيام، لما تحقق أن الرسول ﷺ قد مات، هذا موقف أبي بكر رضي الله عنه، وهو موقف الإيمان الذي لا يتزعزع، فعمر رضي الله عنه في هذا حصل منه تردد، وأبو بكر رضي الله عنه ما حصل منه أي تردد، بل ثبت ثبات الجبال على مصيبة ما نزل بالعالم مثلها، هذه قوة الإيمان، وشجاعة أبي بكر رضي الله عنه، هذا مما يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل الأمة.

(فَلَمَّا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ مَاتَ، رَجَعَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ)، فعمر رضي الله عنه ولي من سادات الأولياء، ومع هذا أخطأ في هذا، فدل على أن الولي يخطئ، وليس معصوما.

وَكَذَلِكَ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: «كَيْفَ نُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَلَمْ يَقُلْ: إِلَّا بِحَقِّهَا؟ فَإِنَّ الزَّكَاةَ مِنْ حَقِّهَا، وَاَللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتهمْ عَلَى مَنْعِهَا». قَالَ عُمَرُ: «فَوَاَللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْت اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَلِمْت أَنَّهُ الْحَقُّ»(١). [١].

الشرح:

[١] الموقف الثالث: الردة، لما توفي الرسول ﷺ وارتد كثير من العرب ومنعوا الزكاة، صمم رضي الله عنه على قتالهم، فقال له عمر والصحابة: كيف تقاتلهم، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؟! والنبي ﷺ قال: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّها، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»** - وما انتبهوا لقول الرسول ﷺ: **«إِلَّا بِحَقِّها»** -، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها، والرسول ﷺ قال: **«إِلَّا بِحَقِّها»**، وإن الزكاة من حق لا إله إلا الله، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فلما رأوا تصميم أبي بكر، عرفوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، وفيه: لو منعوني عقالًا، بدل: عناقًا.

أنه على الحق، فوافقوه، وقاتلوا المرتدين، وكانت النتيجة أن الله خذل المرتدين، وثبت الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، هذه مواقف أبي بكر رضي الله عنه التي لم يقفها غيره، وهي مواقف في الشدة أشد ما يكون من الكرب، ومع هذا وقف، وثبت ثبات الجبال رضي الله عنه حينما تضعضع غيره.

ولهذا قالوا: إن ما أحد يخطئ، ويستدل بدليل من القرآن والسنة إلا وفي ذلك الدليل ما يرد عليه، فأبو بكر رد عليهم بكلمة من هذا الدليل الذي معهم، وهو قوله ﷺ: «إِلَّا بِحَقِّها».

وَلِهَذَا نَظَائِرُ تُبَيِّنُ تَقَدُّمَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عُمَرَ مَعَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ مُحَدَّثٌ، فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الصِّدِّيقِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْمُحَدَّثِ؛ [١] لِأَنَّ الصِّدِّيقَ يَتَلَقَّى عَنْ الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ كُلَّ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، [٢] وَالْمُحَدَّثُ يَأْخُذُ عَنْ قَلْبِهِ أَشْيَاءَ، وَقَلْبُهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، فَيَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِضَهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ. [٣].

الشرح:

[١] فأبو بكر صديق، وعمر محدث، والصديق أفضل من المحدث، يتضح هذا من مواقف أبي بكر ﷺ في هذه الشدائد العظيمة، التي تتهاوى لها الجبال الرواسي.

[٢] هذا الفرق بين الصديق والمحدث؛ لأن الصديق لا يأتي بشيء من عنده أبدا، وإنما يتلقى عن الرسول ﷺ كل ما يقوله، أما المحدث، فقد يأخذ شيئا مما يحدث به في نفسه، وهذا قد لا يكون صوابا، قد يكون خطأ.

[٣] ليس بمعصوم، قد يخطئ الإنسان، إذا اعتمد على غير الكتاب والسنة، قد يخطئ.

ولهذا كان عمر ﷺ يُشَاوِرُ الصَّحَابَةَ ﷺ وَيُنَاظِرُهُمْ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ(١)، [١].

الشرح:

[١] مع ما أعطاه الله من الإلهام والإدراك، ما كان يعتمد على رأيه، وإنما يشاور الصحابة فيما يعرض من الأمور، ويجمعهم، يجمع المهاجرين والأنصار، ويعرض عليهم المشكلة، ويأخذ آراءهم في هذا، ما قال: أنا الخليفة، وأنا محدث وملهم، وشهد لي النبي ﷺ، وأنا وافقت القرآن في أشياء. لم يغتر بهذه الأمور، بل كان يراجع.

---

(١) من ذلك ما رواه البخاري (٣٤٧)، ومسلم (٣٦٨) عن شَقِيقٍ قال: «كنت جَالِسًا مع عبد اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فقال له أبو مُوسَى لو أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فلم يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كان يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ في سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فقال عبد اللَّهِ لو رُخِّصَ لهم في هذا لَأَوْشَكُوا إذا بَرَدَ عليهم الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ قلت وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هذا لِذَا قال نعم فقال أبو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ بَعَثَنِي رسول اللَّهِ ﷺ في حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فلم أَجِد الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ في الصَّعِيدِ كما تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال إنما كان يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً على الأرض ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بها ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أو ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بها وَجْهَهُ فقال عبد اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لم يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ وزاد يَعْلَى عن الْأَعْمَشِ عن شَقِيقٍ كنت مع عبد اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فقال أبو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي أنا وَأَنْتَ فَأَجْنَبْتُ فَتَمَعَّكْتُ بِالصَّعِيدِ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ فقال إنما كان يَكْفِيكَ هَكَذَا وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ وَاحِدَةً. وفي أحد روايات مسلم أن عمر قال لعمار: اتَّقِ اللَّهَ يا عَمَّارُ قال إن شِئْتَ لم أُحَدِّثْ بِهِ فقال عُمَرُ نُوَلِّيكَ ما تَوَلَّيْتَ».

وَيُنَازِعُونَهُ فِي أَشْيَاءَ، فَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ وَيَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، [١] وَيُقَرِّرُهُمْ عَلَى مُنَازَعَتِهِ وَلَا يَقُولُ لَهُمْ: أَنَا مُحَدَّثٌ مُلْهَمٌ مُخَاطَبٌ فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِنِّي وَلَا تُعَارِضُونِي. [٢].

فَأَيُّ أَحَدٍ ادَّعَى، أَوْ ادَّعَى لَهُ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ مُخَاطَبٌ يَجِبُ عَلَى أَتْبَاعِهِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ، وَلَا يُعَارِضُوهُ، وَيُسَلِّمُوا لَهُ حَالَهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ وَهُمْ مُخْطِئُونَ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ أَضَلِّ النَّاسِ، [٣].

الشرح:

[١] ما يقول هذا، يشاورهم، ويستعرض آراءهم، وتعرض على الكتاب والسنة، فيأخذ ما وافق الكتاب والسنة، سواء كان رأيه أو رأي غيره.

[٢] أي ولي لله يرى أنه لا يراجع، ولا أحد يعترض عليه، هذا مخطئ، الولي لله هو الذي يتهم نفسه، ويتهم رأيه، ويرجع إلى الكتاب والسنة، ويسلم لله ولرسوله، ولا يأخذ برأيه، هذا هو ولي الله ﷻ، وهذا هو عمر رضي الله عنه.

[٣] الذي يعتقد أن الولي معصوم، وأنه يؤخذ عنه، ولا يراجع الكتاب والسنة، هذا من أضل الناس - والعياذ بالله -؛ لأن الأنبياء معصومون لا يتطرق الشك إليهم أو الخطأ، وإنما غيرهم عرضة للخطأ، ولو كان أفضل الناس بعد الأنبياء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُنَازِعُونَهُ فِيمَا يَقُولُهُ، وَهُوَ وَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١)، وَهَذَا مِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ

---

(١) من ذلك ما رواه أحمد (١/ ٣٣٧) بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: «تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ» فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ، أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٠٨) قال: «قَالَ عُرْوَةُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟ تُرَخِّصُ فِي الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَلْ أُمَّكَ يَا عُرْوَةُ، فَقَالَ عُرْوَةُ: أَمَّا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فَلَمْ يَفْعَلَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكُمْ مُنْتَهِينَ حَتَّى يُعَذِّبَكُمُ اللَّهُ، أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُحَدِّثُونَنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ عُرْوَةُ هُمَا أَعْلَمُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَتْبَعُ لَهَا مِنْكَ». وقول ابن عباس ﷺ لعروة بن الزبير: «سَلْ أُمَّكَ»؛ لأنها شهدت حجة الوداع مع رسول الله ﷺ وتمتعت.

وأخرج الترمذي (٨٢٤) عن ابن عمر ﷺ أنه سأله سائل عن متعة الحج فقال ابن عمر: «هِيَ حَلَالٌ، فَقَالَ الشَّامِيُّ: إِنَّ أَبَاكَ قَدْ نَهَى عَنْهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا وَصَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَأَمْرَ أَبِي نَتَّبِعُ؟ أَمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَقَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

وأخرج البخاري (٩٠٠) عن ابن عمر ﷺ قال: «كَانَتِ امرأةٌ لِعُمَرَ تَشهَدُ صلاةَ الصُّبحِ والْعِشاءِ في الجماعةِ في المسجدِ، فقيلَ لها: لِمَ تخرُجينَ وقدْ تَعلَمينَ أنَّ عُمَرَ يَكرَهُ ذلكَ ويَغارُ؟ قالتْ: وما يَمنَعُهُ أنْ يَنهاني؟ قالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رسول اللَّهِ ﷺ لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ».

وأخرج مسلم (٤٤٢) عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**، قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، =

. . . .

= قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: «أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ».

وعمر ﷺ لما أراد منع أبي بكر ﷺ من قتال مانعي الزكاة، ولم يقبل قوله، فاستدل أبو بكر بقوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا اللَّه. . . » الحديث، فانشرح صدر عمر لما أمر به أبو بكر من قتال مانعي الزكاة.

وقد ورد في تعظيم الأئمة للسنن مثل ذلك، قال الترمذي في تعليقه على الحديث رقم (٩٠٦) في إشعار الهدي بعد كلام: (قال أبو السائب كنا عند وكيع، فقال رجل قدري: وعن إبراهيم النخعي أن الإشعار مُثْلة، قال: فرأيت وكيعًا غضب غضبًا شديدًا وقال: أقول لك قال رسول الله ﷺ وتقول: قال إبراهيم، ما أحقك بأن تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا).

وأما الأئمة الأربعة فإن كلًا منهم صرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله ﷺ، فقد قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠)، وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة، فقال الشافعي: «مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ذكره البيهقي».

وقال إسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره: (اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله: لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه).

وقال أبو داود: (قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك، قال: لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعي بعد الرجل فيه مخير. وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود سمعته يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ثم هو من بعد في التابعين مخير. وقال أيضًا: لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا. وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال).

وقال أبو يوسف: (لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا). =

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ يَجِبُ لَهُمْ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ ﷻ، وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ؛ بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا تَجِب طَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَلَا الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ؛ بَلْ يُعْرَضُ أَمْرُهُمْ وَخَبَرُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا وَافَقَ الْكِتَاب وَالسُّنَّةَ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَكَانَ مُجْتَهِدًا مَعْذُورًا فِيمَا قَالَهُ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ. لَكِنَّهُ إذَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مُخْطِئًا وَكَانَ مِنْ الْخَطَإِ الْمَغْفُورِ إذَا كَانَ صَاحِبُهُ قَدْ اتَّقَى اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وَهَذَا تَفْسِيرُ قوله تعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. [١].

الشرح:

[١] لا ينقص ذلك من ولايته لله، وإن كان أخطأ، فإنه لم يخطئ عن قصد، وإنما أخطأ عن اجتهاد، يبحث عن الحق، لكنه لم يصل إليه، فهو

= وقد صرح مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله. ا.هـ.

وقال ابن القيم أيضًا في إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣) «قال نعيم بن حماد: حدثنا عبد الله ابن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ نختار من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم» ا.هـ.

معذور، ومأجور، ولا ينقص ذلك من قدره، أو يخرج بذلك عن ولاية الله ﷻ.

وحق تقاته: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. هذا صعب أن يبلغ الإنسان هذه المرتبة، لكن فسرتها الآية الأخرى، وهي قوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فمن اتَّقى الله حسب استطاعته، فقد اتقى الله حق تقاته، فهذه الآية مفسرة.

ومن يبلغ هذه المرتبة؟!

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ: حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ(١). أَيْ: بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، [١].

الشرح:

[١] وهذا كثير في القرآن؛ أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يؤاخذها على ما لا تطيقه؛ لأنه لم يكلفها بذلك. هذا المبحث مبحث جليل ينبغي العناية به.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٥).

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]، [١].

الشرح:

[١] السياق في قضية أخذ أقوال العلماء قضية مسلمة، ولاسيما من يسمونهم الأولياء؛ لأن الصوفية يقدسون الأولياء، ويأخذون أقوالهم قضية مسلمة، لا تقبل الشك والنقاش، وهذا ضلال وكفر - والعياذ بالله -؛ لأن الذين يجب أخذ أقوالهم من غير تردد هم الأنبياء عليهم السلام، ومن عداهم، فإنه لا يؤخذ من قوله إلا ما وافق قول الأنبياء؛ لأن غير الأنبياء عرضة للخطأ، وأما الأنبياء عليهم السلام، فإنهم معصومون، لا يتطرق الشك إلى أقوالهم.

الصوفية وكذلك من قلدهم ممن يعظمون أئمتهم وقادتهم، ويأخذون أقوالهم قضية مسلمة، لا تقبل النقاش، بل يبايعون على ذلك، يبايعون على أخذ الطريقة، والتسليم لشيخ الطريقة، وأنه لاينازع، ولا يناقش، ولا يشك في قوله، يبايعون على هذا، وهذا من الضلال المبين؛ لأن من عدا الأنبياء، فإنه عرضة للخطأ والصواب.

وقد سبق أن الشيخ رحمه الله ذكر من سادات الأولياء - كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم - من حصل منه خطأ في بعض الاجتهادات،

أو في بعض الأقوال، حصل منهم خطأ؛ فهم ليسوا معصومين، فهذا هو السياق الذي ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيه.

وذكر من الأدلة على قبول قول الأنبياء بدون تردد هذه الآية: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، فهذا فيه أن قول الأنبياء يؤخذ ولا يناقش، ولا يتردد فيه، فمن لم يأخذ به أو تشكك، فإنه ليس مؤمنا بالأنبياء.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾؛ لأن الأنبياء لا يأتون بشيء من عندهم، وإنما يأتون بما أنزل عليهم من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ذكر هؤلاء بأسمائهم، ثم أجمل، فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ على سبيل العموم.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم لا يفرقون بين الأنبياء؛ فهم لا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض - كحالة اليهود والنصارى -، وإنما يؤمنون بجميع الأنبياء، ويؤمنون بجميع الكتب المنزلة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]، هذه آية البقرة، وآية آل عمران: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤] وهكذا في آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذا أصل عظيم من أصول العقيدة: الإيمان بجميع الكتب، والإيمان بجميع الرسل من غير تفريق بين كتاب وكتاب، أو بين رسول ورسول.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⑤﴾ [البقرة: ١- ٥]، [١].

الشرح:

[١] في مطلع سورة البقرة قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ②﴾، من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وهو ما لم يشاهدوه، وإنما يعتمدون على الأخبار الصادقة: ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب من المغيبات، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ اعتمادا على البراهين والآيات الدالة، وإن لم يشاهدوه، يدخل في هذا: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالأخبار السابقة (أخبار الأمم)، والأخبار المستقبلة، كل هذا يدخل في الإيمان بالغيب، الذي لا يشاهدونه، ولكن يعتمدون على الوحي المنزل وأخبار الرسل عليهم السلام ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الصلوات الخمس المفروضة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ هذا إيتاء الزكاة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، هذا محل الشاهد، المتقون يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد، وما أنزل من قبلك على الرسل لا يترددون في ذلك، ولا يقدمون عليه شيئا من أقوال الناس، ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الإيمان بالبعث هذه أركان الإسلام، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذا يتردد في القرآن كثيرا، وهذه أصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، الإيمان بملائكته، بكتبه، برسله، باليوم الآخر، بالقدر خيره وشره. ثم قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الذين اتصفوا بهذه الصفات، ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾؛ ثابتون على الهدى، متمكنون منه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الذين حازوا على الفلاح في الدنيا والآخرة، ومن عداهم فليسوا على هدى، وإنما هم على ضلال، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ذكر الكفار الأصليين، وذكر المنافقين بعد أن ذكر المؤمنين؛ لأن الناس على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مؤمنون ظاهرا وباطنا، وهم المذكورون في أول السورة ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٢ - ٣].

والصنف الثاني: كافرون ظاهرا وباطنا، وهم الكفار الذين لا يؤمنون برسل، ولا بكتب، ولا بملائكة، ولا بشيء، كفار ظاهرا وباطنا.

الصنف الثالث: الذين آمنوا ظاهرا، وهم في الباطن كفار، وهم المنافقون، وهؤلاء شر من الكفار الأصليين؛ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة: ١٧٧]. [١].

الشرح:

[١] هذا بمناسبة صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وإصرار اليهود على قبلتهم إلى بيت المقدس، وعدم قبولهم لقبلة الكعبة، الله ﷻ يقول: هذا ليس هو البر؛ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، البر من آمن بالله، ومن الإيمان بالله الاستقبال للكعبة؛ لأن الله أمر بذلك، فالذي يؤمن بالله يمتثل أمره، ويستقبل الكعبة، هذا هو البر، البر أن تتوجه حيث وجهك الله، لا أن تتوجه حيث هواك وما تحب، البر هو أن تتوجه كما وجهك الله، الله وجه إلى بيت المقدس في أول الأمر، ثم وجه إلى الكعبة، والأمر له ﷻ، فاستقبال بيت المقدس في وقته طاعة لله، استقبال الكعبة في وقته طاعة لله، كله طاعة لله، الأمر لله ﷻ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذه الزكاة: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذا الركن الثاني من أركان الإسلام، فتضمنت الآية أن البر هو في طاعة الله،

وقبول أمره: حيث وجهك، تتوجه، وجهك إلى بيت المقدس، تتوجه، وجهك إلى الكعبة، تتوجه، ولا يكن في نفسك شيء، أو حرج؛ لأنك مطيع لله ﷻ.

هَذَا الَّذِي ذَكَرْته مِنْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الِاعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يَسُوغُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ اتِّبَاعُ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ﷻ،[١].

الشرح:

[١] أولياء الله هم المتقون: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله، وهم الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ولا يتبعون أذواقهم ومواجيدهم، وما اصطلحوا عليه من مصطلحات الصوفية وغيرهم، ليس هؤلاء هم أولياء الله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ هذا هو الضابط، فالولي هو المطيع لله ﷻ ولرسوله ﷺ، ولو خالف ذلك هواه، فإنما يتبع ما أمره الله به ورسوله ﷺ، ولو خالف ذلك هواه ورغبته، هذا هو الضابط في ولي الله، ليس الضابط في ولي الله ما تقوله المبتدعة والصوفية: إنه هو الذي يفعل كذا وكذا، الذي على يده كرامة خوارق، الذي يجري عليه كذا وكذا، كل هذا ليس من ولاية الله ﷻ.

مَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِمْ؛ [١] بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْرِطًا فِي الْجَهْلِ. [٢] وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْمَشَايِخِ، [٣].

الشرح:

[١] من خالف هذا الأصل -وهو طاعة الله ورسوله-، فإنه ليس من أولياء الله، بل هو من أولياء الشيطان، والكتاب هو الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

[٢] إما أن يكون كافرا، إذا كان متعمدا للمخالفة، متبعا لهواه مع العلم، فهذا كافر، وإما أن يكون جاهلا، ما تعمد المخالفة بسبب جهله، وهذا لا يقلد ولا يتبع، هذا ضال، هذا من أهل الضلال، ولا يقلد ولا يتبع.

[٣] هذا الأصل كثير في كلام المشايخ، الذين يتخذهم هؤلاء قادة، من أمثلة: أبي سليمان الداراني، والجنيد، وغيرهم، هؤلاء المشايخ يأمرون بهذا الأصل، وهو اتباع الكتاب والسنة، والذين يخالفونهم ليسوا متبعين لهم، وإن كانوا يدعون الاتباع.

كَقَوْلِ الشَّيْخِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ(١): إِنَّهُ لَيَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ الْقَوْمِ، فَلَا أَقْبَلُهَا إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ(٢) [١] وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْد رَحِمَهُ اللهُ(٣): عِلْمُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبْ الْحَدِيثَ لَا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي عِلْمِنَا، أَوْ قَالَ: لَا يُقْتَدَى بِهِ. [٢].

الشرح:

[١] يقع في قلبه النكتة من نكت القوم؛ يعني: من نكت الصوفية، تقع خاطرة في قلبه، لكنه لا يقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة؛ مثلما أن القاضي لا يقبل دعوى المدعي إلا بشاهدين، وكذلك الخاطرة لا يقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة، فإن كان لها دليل من الكتاب والسنة، فهي حق، وإن خالفت الكتاب والسنة، فهي باطل، هذا هو الميزان.

[٢] والجنيد أيضا من أئمتهم الذين يقلدونهم وينتسبون إليهم، مع أنه رَحِمَهُ اللهُ على هذا المضمار، يتبع الكتاب والسنة، فلماذا لا يتبعونه في ذلك، وهم

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد الداراني، نسبة إلى داريا، قرية من دمشق، كان من الزهاد المشهورين، توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢)، والحلية (٩/ ٢٥٤).

(٢) ذكر هذا القول: ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٢٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣).

(٣) سبقت ترجمته (ص ٢٩٨)، وهذا القول ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٧).

يدعون أنهم من أتباعه، وأنه شيخهم؟! فهذا الجنيد من أئمة العباد والزهاد الذين يتخذهم الصوفية قادة لهم، ويقول: علمنا مربوط بالكتاب والسنة، فمن لم يأخذ القرآن ويكتب الحديث، فليس على طريقتنا.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ(١) [١]: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ [فِي كَلَامِهِ الْقَدِيمِ](٢): ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]. [٢].

الشرح:

[١] وهذا أيضا من أئمة الزهاد والعباد الذين ينتسب إليهم الصوفية، يخالفهم هو.

[٢] هذا النيسابوري يقول: «من أمّر الكتاب والسنة»؛ أي: اتخذهما أميرا يأتمر بهما، ويطيعهما؛ لأن الأمير يطاع، ويسمع له، فمن أمر الكتاب والسنة على نفسه، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى، نطق بالبدعة. هذه حكمة عظيمة.

---

(١) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري أصله من الري، شيخ الصوفية بنيسابور، توفي سنة ٢٩٨ هـ. انظر: ترجمته وأقواله في طبقات الصوفية (ص١٧٠)، وصفة الصفوة (٤/ ٨٥)، وتاريخ بغداد (٩/ ٩٩)، والرسالة القشيرية (١/ ١٠٩).

(٢) هذه العبارة لم أجدها في المراجع التي ذكرت قول أبي عثمان هذا، وقد أورد شيخ الإسلام هذا القول بدونها أيضًا في منهاج السنة (٥/ ٣٣١)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٥٨٦)، والاستقامة (١/ ٢٥٠).

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ نُجَيْدٍ(١): كُلُّ وَجْدٍ لَا يَشْهَدُ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَهُوَ بَاطِلٌ. [١] وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَغْلَطُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَيَظُنُّ فِي شَخْصٍ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَيَظُنُّ أَنَّ وَلِيَّ اللَّهِ يَقْبَلُ مِنْهُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ، [٢].

الشرح:

[١] (كُلُّ وَجْدٍ)؛ الوجد والذوق هذا من اصطلاحات الصوفية، (لا يشهد له الكتاب والسنة، فهو باطل)؛ مثل كلام الشيوخ الذين ذكرهم الشيخ قبله، اتفقت كلمتهم على هذا.

[٢] هذا من أغلاطهم؛ أنهم يعتقدون أن ولي الله لا يناقش، وأنه يقبل منه كل قول، حتى إنهم يقولون: إن المريد - يعني الطالب - عند شيخه مثل الميت عند المغسل، يحركه كيف يشاء، ليس له اختيار، وإلا لا يكون على حق، إلا إذا قبل من الشيخ كل شيء، حتى إذا قال له: ادخل في النار، يدخل في النار، لو أوقد نارا، وقال له: ادخلها، لايخالف الشيخ، يدخل في النار، هذا من أصول الصوفية، وهذا باطل، هذا باطل، وهذا ليس وليًّا لله، هذا ولي للشيطان، الذي يأمر بغير أمر الله، وغير أمر رسوله، هذا ولي للشيطان، وليس وليًّا لله، فهم يستسلمون لمشايخهم، أصابوا أو أخطؤوا،

---

(١) هو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي، جد أبو عبد الرحمن السلمي لأمه، لقي الجنيد وكان أكبر مشايخ عصره، توفي سنة ٣٦٦هـ. انظر: ترجمته في طبقات الصوفية (ص٤٥٤)، والأنساب (٣/ ٢٧٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٦)، وطبقات الشافعية (٣/ ٢٢٢)، وشذرات الذهب (٣/ ٥٠).

ولا يناقشونهم، وهذا غلط؛ كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ، مهما كبر الإنسان في العلم والعبادة، ما يؤخذ كلامه على إطلاقه، حتى يعرض على الكتاب والسنة: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

هذا معنى الولاية عندهم؛ أن الولي لا يناقش، وأنه يقبل قوله على الإطلاق؛ لأنه معصوم عندهم، لا يخطئ، وهذا ليس إلا للرسول ﷺ، وأما غير الرسول - مهما بلغ من العبادة والعلم -، فإنه ليس معصوما؛ عرضة للخطأ. وما الذي يميز الخطأ من الصواب؟ الكتاب والسنة. يعرض الأمر على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فهو حق، وما خالف الكتاب والسنة، فهو باطل، الله ﷻ يقول: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، وليس هناك حق إلا ما دل عليه الكتاب والسنة، هذا هو الحق، وما عداه فهو ضلال.

وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَقُولُهُ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ وَإِنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، [١] فَيُوَافِقُ ذَلِكَ الشَّخْصُ لَهُ، وَيُخَالِفُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ تَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَطَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ، [٢].

الشرح:

[١] حتى لو قال له: ادخل في النار. يدخل فلا ينازع، وإلا لا يكون مطيعًا للولي. ليس من شروط الولي أن يكون معصوما، وليس من شروط الولي أن يقبل كل ما يقوله، ليس هذا من شروط الولي، هذا كذب؛ فالولي عبد من عباد الله، والولي الصادق أتبع الناس لكتاب الله وسنة رسوله، ولا يرضى الولي الصادق أن يقدم قوله على قول الله ورسوله، لا يرضى بهذا، فإن رضي، فليس وليًا لله.

[٢] الله فرض على الخلق طاعة الرسول ﷺ فيما أمر، تصديقه فيما أخبر، قال ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، فضمن الهداية لمن أطاع الرسول ﷺ، قال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، هذا للرسول وحده فقط، وما عداه من العلماء والمشايخ والأولياء، فإنهم لا يطاعون إلا فيما أطاعوا به الرسول ﷺ.

وَجَعَلَهُ الْفَارِقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَبَيْنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ، [١] فَمَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ وَجُنْدِهِ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، [٢] وَمَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْخَاسِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، [٣].

الشرح:

[١] جعل الله الرسول هو الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، الرسول ﷺ هو الفارق بطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، هو الفارق، وما عداه، فإنه عرضة للخطأ والصواب، وليس معصوما.

[٢] من اتبع هذا الرسول، فهو من جند الله المتقين، وحزبه المفلحين.

[٣] من لم يتبعه، فهو من أعداء الله، وإن كان يقال: إنه ولي لله، فليس وليًا لله.

فَتَجُرُّهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ وَمُوَافَقَةُ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوَّلًا إِلَى الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ، وَآخِرًا إِلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، [١] وَيَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]، [٢].

الشرح:

[١] مخالفة الرسول تجر أولا إلى الضلال والابتداع، وثانيًا: تجر إلى العواقب الوخيمة في الدار الآخرة، إلى الكفر وإلى الضلال، يتدرج من المعصية، إلى البدعة، إلى الضلال والكفر، هذا من خالف الرسول، يتدرج من المعصية إلى البدعة، ومن البدعة إلى الضلال والكفر.

[٢] من اتخذ مطاعا غير الرسول ﷺ، فإن هذه عاقبته، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾؛ هذا من الندم، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، إذا دخل في النار يوم القيامة، يقول هذه المقالة، يعض على يديه، ويقول: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٨]، هذا الفلان ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]، هذه العاقبة - والعياذ بالله - فيمن عصى الرسول، وأطاع غيره، ولو كان يزعم أنه ولي لله، فإن هذه عاقبته.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [الأحزاب ٦٦-٦٨]، [١].

الشرح:

[١] وهذه أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا﴾؛ يتمنون: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾، عرفوا أن الذي أوقعهم في النار، عرفوا خطأهم، وأن الذي أوقعهم في ذلك هو عدم طاعة الله رسوله، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾، أطاعوا العلماء والأمراء، علماء الضلال والأمراء، السادة: هم الأمراء، والكبراء: هم العلماء، ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ مثل قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، ثم يدعون عليهم: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، ما عاد يفيد هذا، ليس له معنى إلا التلاوم -والعياذ بالله-.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧]. [١].

الشرح:

[١] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾؛ الأنداد: هم الشركاء لله ﷻ، والشبهاء، يشبهونهم بالله ﷻ، ويجعلونهم أندادا وعدلاء لله ﷻ، هذه طريقة عباد الأصنام، عباد القبور والأضرحة، عباد الأشجار والأحجار، كل من عبد غير الله، فإنه إنما عبده لأنه يحبه، فالكفار يحبون الأصنام، ويحبون الأشجار والأحجار التي يعبدونها، ويحبون الأضرحة، لولا أنهم يحبونها، ما عبدوها، لو كانوا يبغضونها، ما عبدوها، المؤمنون يحبون الله ﷻ محبة خالصة، ولذلك عبدوه وحده لا شريك له، لا يحبون غيره محبة العبادة، محبة العبادة لا تجوز إلا لله، وهي المحبة التي يكون معها ذل وانقياد وطاعة، هذه لا تكون إلا لله ﷻ، أما المحبة التي ليس معها ذل ولا انقياد، فهذه محبة طبيعية؛ مثل: محبة الإنسان لزوجته وأولاده، ومحبته للمال، هذه ليس معها ذل وانقياد، وإنما هي محبة طبيعية، فالكفار يحبون الأصنام؛ ولذلك عبدوها، المؤمنون يحبون الله وحده؛ فلذلك عبدوه

وحده. النتيجة يوم القيامة أن الذين يعبدون الأصنام، ويعبدون من دون الله أي شيء، يتبرأ منهم من عبدوهم يوم القيامة، الذين عبدوا الملائكة، والذين عبدوا الأولياء والأنبياء، وعبدوا. . .، يتبرؤون منهم يوم القيامة في المقام الذي يحتاجونهم فيه أحوج ما يكون، بيَّن الله ﷻ هذا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٧-١٩]، المعبودون كذبوا عابديهم يوم القيامة، يقولون: أبدا ما أمرناهم، ولا رضينا أنهم يعبدوننا من دون الله، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧]؛ أي: رجوعا إلى الدنيا، يتمنون، ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، والعياذ بالله، هذا المآل، وهذه العاقبة لمن أطاعوا غير الرسول ﷺ، هذا مآلهم يوم القيامة؛ ولذلك يقول قائلهم: ﴿يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

وَهَؤُلَاءِ مُشَابِهُونَ لِلنَّصَارَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. [١].

الشرح:

[١] هؤلاء الذين يتخذون الأولياء والصالحين، يتخذونهم أولياء معبودين، لا يناقشونهم في شيء، ويطيعونهم طاعة عمياء، هؤلاء لهم شبه بالنصارى، الذين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، الأحبار: العلماء، والرهبان: هم العباد، اتخذوهم أربابا من دون الله، ما معنى هذا؟ أنهم سجدوا لهم، وأنهم ذبحوا لهم، وأنهم. . . ؟ لا. بل كما بينه الرسول ﷺ: أنهم أحلوا لهم الحرام، فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال، فحرموه، هذه عبادتهم، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فدل على أنه لا يجوز طاعة العلماء، والأمراء، والأنبياء، حتى الأنبياء لا يجوز أنهم يتخذونهم أربابا من دون الله، حتى الأنبياء لا يتخذون أربابا من دون الله، فالنصارى اتخذوا المسيح ربا، فقالوا: إنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون -، الربوبية خاصة لله ﷻ.

وَفِي الْمَسْنَدِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ، لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ: مَا عَبَدُوهُمْ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَلُّوا لَهُمْ الْحَرَامَ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ الْحَلَالَ، فَأَطَاعُوهُمْ، وَكَانَتْ هَذِهِ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُمْ»(١). [١] وَلِهَذَا قِيلَ فِي مِثْلِ هَؤُلَاءِ: إِنَّمَا حَرَّمُوا الْوُصُولَ بِتَضْيِيعِ الْأُصُولِ، فَإِنَّ أَصْلَ الْأُصُولِ تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، [٢].

الشرح:

[١] أطاعوهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال؛ فالتحليل والتحريم حق لله ﷻ، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم بدون دليل من الكتاب والسنة، من حرم شيئا، أو أحل شيئا بدون دليل من الكتاب والسنة، فقد شارك الله في ربوبيته؛ لأن هذا من حق الربوبية.

[٢] قيل في هؤلاء الذين أطاعوا الأحبار والرهبان والعباد والأولياء: حرموا الوصول؛ لأنهم ضيعوا الأصول(٢)؛ لأن الأصول هي: طاعة الله، ورسوله، واتباع الكتاب والسنة، هذه هي الأصول، لما ضيعوها، حرموا الوصول إلى الله ﷻ، ولهذا من الحكمة يقولون: من ضيع الأصول حرم الوصول.

---

(١) سؤال النبي ﷺ عدي بن حاتم رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وقال: «هذا حديث غريب»، وقد روى الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٥٧، ٣٧٨، ٣٧٩) قصة إسلام عدي، دون السؤال المذكور.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٧، ١٣/ ١٥٧)، وإعلام الموقعين (٤/ ١٣١).

فَلَابُدَّ مِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ وَعَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ عُلَمَائِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ مُلُوكِهِمْ وَسُوقَتِهِمْ، [١].

الشرح:

[١] لابد من الإيمان بأن الرسول ﷺ مبعوث إلى الجن والإنس، والعرب والعجم، مبعوث إلى الثقلين، مبعوث إلى كل الناس، إلى الملوك والأمراء، والصعاليك، والعلماء، والجهال، فهو مرسل إلى الجميع، تجب على الجميع طاعته ﷺ، ويجب على الجميع امتثال أمره، ليس لأحد أن يخرج عن طاعة الرسول ﷺ، ويقول: إنه وصل إلى الله، وليس في حاجة إلى الرسول - كما تقوله الصوفية -، أو يدعي للولي أنه أعلم وأعرف؛ لأنه صار من العارفين، ويأخذ عن الله، وليس بحاجة إلى الرسول - كما يقوله غلاة الصوفية -، فلا يسع أحدا بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يطيعه، ويتبعه، حتى لو وجد من الأنبياء أحد بعد بعثة الرسول ﷺ، وجب عليه أن يتبعه؛ كما قال ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ يعني: محمدا ﷺ، ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، أخذ الله الميثاق على الأنبياء - فكيف بغيرهم؟ - أنه لو بعث الرسول ﷺ، وأحد منهم حي - موسى عليه السلام، أو عيسى عليه السلام، أو أي رسول -، فإنه يتبع هذا الرسول؛ لأن الرسالة صارت له ﷺ، هو خاتم المرسلين، فلا يسع أحدًا إلا طاعته ﷺ: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾؛ أي: عهدي، ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، هكذا أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يتبعوا محمدا ﷺ -لو بعث وأحد منهم حي-؛ لأن رسالته عامة للثقلين: للجن والإنس، والأنبياء وغيرهم، لايسع أحدا الخروج عن طاعته ﷺ، فكيف يسع مشايخ الصوفية أن يخرجوا عن طاعة الرسول ﷺ؟ كيف يسع الأولياء أن يخرجوا عن طاعة الرسول ﷺ؟! إذا خرجوا، فإنهم لا يكونون أولياء، لا يكونون أولياء لله، وإنما يكونون أولياء للشيطان.

وَأَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى اللَّهِ ﷻ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا بِمُتَابَعَتِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، [١] حَتَّى لَوْ أَدْرَكَهُ مُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَوَجَبَ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢] [٢].

الشرح:

[١] باطنا وظاهرا، لا تكفي المتابعة ظاهرا، هذه طريقة المنافقين، لابد أن يتابعه باطنا وظاهرا ﷺ.

[٢] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؛ بعد أخذ هذا العهد، من تولى، فأولئك هم الفاسقون؛ أي: الخارجون عن طاعة الله ﷻ، كل الأنبياء على هذا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُم أَحْيَاءٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ»(١). [١].

الشرح:

[١] الله ﷻ أوجب طاعة هذا الرسول على جميع الناس - عربهم وعجمهم -، رسالته عامة للثقلين - الجن والإنس -، وهذا مما خصه الله به، دون غيره من الأنبياء، فمن خصائصه ﷺ أن الله جعل رسالته عامة، بينما رسالات الأنبياء من قبله خاصة بأقوامهم، والغرض من هذا الرد على الذين يزعمون أن هناك من تجب طاعته غير الرسول ﷺ، كالذين يتخذون مشائخهم وطرائقهم موصلة إلى الله من دون الرسول ﷺ؛ كغلاة الصوفية، فلا طريق إلى الله إلا باتباع هذا الرسول ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، وكذلك من زعم أن اليهود والنصارى لا يلزمهم اتباع محمد ﷺ، وإنما يبقون على اتباع موسى وعيسى، وهناك من يقول هذا القول ممن ينتسبون إلى الإسلام، ويقولون: لا يتعين على الناس أن يتبعوا محمدا ﷺ، بل من اتبع موسى عليه السلام، فهو على دين صحيح، ومن اتبع عيسى عليه السلام في وقتنا الحاضر، فهو على دين صحيح،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٥٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٧، ٤٨).

كلهم يصلون إلى الله. والجواب عن هذا في القرآن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]، يخاطب الرسل ﷺ، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ يعني: محمدا ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨١-٨٣]، فإذا كان الأنبياء لو بعث محمد ﷺ، وأحد منهم حي، وجب عليه اتباعه، فكيف بغيرهم؟! من رؤساء الصوفية وغيرهم، والذين يقولون: إننا على دين موسى عليه السلام الآن، أو على دين عيسى عليه السلام كَذَبَةٌ؛ لأن دين موسى عليه السلام انتهى ببعثة محمد ﷺ، ودين عيسى عليه السلام انتهى ببعثة محمد ﷺ، لم يبق غير دين محمد ﷺ، وهو الطريق الوحيد إلى الله ﷻ، فمن لم يتبع هذا الرسول، فهو كافر، وإن كان يزعم أنه متبع لموسى عليه السلام، أو لعيسى عليه السلام، أو لشيخه، أو لغير ذلك، فهو كافر بالله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فهذا أمر يجب اعتقاده، وأنه لا دين إلا دين محمد ﷺ بعد بعثته، إلى أن تقوم الساعة، لا دين إلا دينه، ولا ينجو أحد إلا باتباعه ﷺ، فهذا معنى قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥]. [١].

الشرح:

[١] كذلك يجب أن يحكم في النزاع والاختلاف بين الناس شرع محمد ﷺ، الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية، فإذا حصل خلاف بين الناس -إما في العقيدة، وهذا أولى وأحرى، وإما في الأموال والخصومات التي تقع بين الناس-، لابد من التحاكم إلى كتاب الله القرآن، وإلى سنة رسول الله ﷺ، فمن حكم غير شريعة الرسول ﷺ، فهو كافر إذا كان يرى جواز ذلك، أو يرى أنه مخير، أو يرى أن هناك حكما أحسن من حكم الله، أحسن من حكم القرآن والسنة، وأن القوانين الوضعية أحسن للناس في

هذا الزمان، فهذا كافر كفرا صريحا مخرجا من الملة - والعياذ بالله -، فإذا حكم غير الشرع المحمدي، يرى أنه أحسن من الشرع المحمدي، أو أنه مساو له، أو أنه مخير إن شاء حكم الشرع المحمدي، أو حكم غيره، فهذا كافر بالله الكفر الأكبر المخرج من الملة، وفي هذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، إلى آخر الآيات، إلى قوله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، سبب نزول هذه الآيات[(١)] - كما ذكر المفسرون -: أنه حصلت خصومة بين رجل من المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام، وبين يهودي، حصلت منازعة بين منافق يزعم الإيمان بمحمد ﷺ وبين يهودي، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لعلمه أن رسول الله ﷺ لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي، أو إلى اليهود؛ لعلمه أنه يأخذون الرشوة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء: ٦٠]، انظر: يزعمون، والزعم معناه: الكذب، فهم كاذبون في دعواهم الإيمان بمحمد ﷺ، وإنما هو زعم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: يدعون أنهم آمنوا ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهو القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، وهي الكتب السابقة ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، هذا تناقض: يزعمون أنهم آمنوا بمحمد، ثم يتحاكمون إلى غيره! هذا تناقض؛ فالذي يتحاكم إلى غير

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٥٢)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٨٠).

الرسول ليس مؤمنا به، وإن كان يدعي ذلك، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾، والطاغوت: هو كل من حكم بغير ما أنزل الله، فهو طاغوت، كل من حكم بغير الإسلام، سواء كان من اليهود أو من النصارى، أو من غيرهم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، أمر الله بالكفر بالطاغوت، قال ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن من شرط الإيمان بالله الكفر بالطاغوت، والشرط لابد أن يتقدم على المشروط، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ﴾، أمرهم الله أن يكفروا بالطاغوت، ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [النساء: ٦٠] إبليس لعنه الله، وكذلك أتباع الشيطان من شياطين الإنس والجن، ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]؛ أي: يبعدهم عن الحق، وعن الإسلام، ضلالا بعيدا لا نهاية لبعده، ضلال وبعيد أيضا، فالذي يُؤْثِرُ الحكم بالطاغوت على الحكم بالإسلام، قد ضل ضلالا بعيدا، بعيدا عن الهدى، بعيدا عن الإسلام، بعيدا عن الإيمان بالله، كل أنواع البعد، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، فأطاعوا الشيطان، ولم يطيعوا أمر الله الذي أمرهم أن يكفروا بالطاغوت، انظر: أطاعوا الشيطان، ولم يمتثلوا أمر الله الذي أمرهم أن يكفروا بالطاغوت، ومع هذا يدعون الإيمان، وانظر إلى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾ لم يتحاكموا إلى الآن، لكن من يريد التحاكم إلى الطاغوت، يكفر بهذا، ولو لم يفعله، بمجرد

الإرادة يكفر، ولو لم يفعل - والعياذ بالله -، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [النساء: ٦٠-٦٢] إذا نزلت بهم مصيبة على فعلهم هذا، وما أقرب العقوبة لمن فعل هذا! كيف حالهم إذا نزلت بهم عقوبة على فعلهم هذا؟! ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]، ما أردنا بتحكيم غيرك إلا الإحسان إلى الناس والتوفيق بينهم، يقولون: قصدنا حسن، ما قصدنا الكفر بك، وإنما قصدنا أن نصلح بين الناس، وأن نحسن إليهم بإنهاء النزاعات.

والعذر أقبح من الفعل؛ هل الإحسان والتوفيق يكون بغير الشرع؟! فعذرهم هذا أقبح - والعياذ بالله - مما لو فعلوا، فالإحسان إلى الناس والتوفيق بين الناس إنما هو بشرع الله ﷻ، لا بحكم الطاغوت، ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾؛ يحلفون بالله، يحلفون يؤكدون هذا بالحلف: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [النساء: ٦٢-٦٣]، وإن تظاهروا، واعتذروا، فإن الله يعلم السبب الذي حملهم على تحكيم الطاغوت، وإن تظاهروا، واعتذروا، وقالوا: ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا. والإرادة لا تبرر، والنية الحسنة - لو كانت موجودة - ما تبرر الباطل، الباطل باطل، ولو أن الإنسان أحسن النية، فكيف إذا كان كاذبا في هذا القول؟! لو كان صادقا في أنه ما أراد إلا الإحسان والتوفيق، فليس هذا بمبرر أن يعدل عن الشرع إلى غيره، فكيف وهو كاذب؟! ﴿إِنَّ

أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾، وإن حلفوا بالله: إنهم ما أرادوا إلا خيرا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، لا تقبل منهم عذرا: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، وليس الأمر أن تعرض عنهم وتتركهم، بل لابد من الإنكار عليهم والموعظة، لابد من بيان أنهم على ضلال، وأنهم قد انحرفوا عن الحق، أعرض عنهم، لا تقبل عذرهم، وعظهم فيما فعلوا؛ لعلهم يرجعون أو يتوبون، فدل على أن من ارتكب خطأ ظاهرا لا يترك، بل تجب موعظته ونصيحته؛ لعله أن يرجع أو تقوم الحجة عليه، تبرأ الذمة بعدم مناصحته، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] بينك وبينهم، ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ زاجرا وليس بقول سهل، أو أسلوب فيه لين، لا بل قولًا بليغًا زاجرًا يؤثر على السامع؛ لأنهم ارتكبوا أمرا فظيعا، فلابد من التغليظ عليهم في القول، ولكن هذا يكون سرا بينك وبينهم، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾، ثم قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] ففعلهم هذا معصية للرسول ﷺ، مع أن الواجب أن يطاع الرسول ﷺ: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بشرعه، بإذن الله الشرعي، وإذن الله القدري، ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن الرسول لا يأتي إلا بشرع الله ﷻ فهذا فيه أن الرسول إنما يأمر بما أمر الله به، ولا يحكم إلا بما حكم الله به، ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، انظر: عرض الله عليهم التوبة والاستغفار، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في مقالتهم السابقة يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وأيضا اعتذارهم

الكاذب، لو أنهم مع هذه الجرائم الشنيعة رجعوا إلى الله ﷻ، فاستغفروه، وطلبوا منك أن تستغفر لهم، ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؛ فالله يتوب على من تاب، ولو كان جرمه شنيعا وكبيرا، فإن الله يغفر الذنوب، ويقبل التوبة ممن تاب إلى الله؛ فلا يقنط المجرم من رحمة الله، ويترك التوبة والاستغفار ﴿جَآءُوكَ﴾ أيها الرسول، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾، هم استغفروا الله، طلبوا منه المغفرة، وطلبوا منك أن تستغفر لهم؛ لأن الرسول ﷺ مجاب الدعوة، واستغفاره عند الله مقبول، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]؛ كثير التوبة، ﴿رَّحِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة، فهذا فيه أن من وقع في ذنب - ولو كان عظيما - يتوب إلى الله ﷻ، والله يقبل التوبة عن عباده، وأنه في عهد الرسول ﷺ يطلب منه أن يستغفر له، أما بعد موته، فلا يطلب الاستغفار من الرسول، بعض الجهال أو أهل الضلال يحتجون بهذه الآية على أنهم يأتون عند قبر الرسول ﷺ، ويطلبون منه الاستغفار محتجين بهذه الآية، مع أن الآية إنما تعني في حياة الرسول ﷺ، لا بعد موته؛ لأن الرسول بعد موته لا يطلب منه شيء، لا الاستغفار ولا غيره، الصحابة ﷺ لما أجدبوا، ما طلبوا منه أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، بل طلبوا من عمه العباس رضي الله عنه أن يدعو لهم في الاستسقاء[1]، وهم أعلم الأمة بتفسير القرآن، فلو كانوا فهموا من الآية

(١) انظر: صحيح البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ».

المجيء إلى قبر الرسول، وطلب الدعاء والاستغفار منه، لذهبوا إلى قبره ﷺ، ولما عدلوا إلى العباس، لماذا عدلوا عن الرسول إلى العباس؟ لأن الرسول ميت، والعباس حي، فالميت لا يطلب منه شيء، أما الحي فيطلب منه ما يقدر عليه، وهو الدعاء والاستغفار لغيره، فالصحابة ما ذهبوا لقبر الرسول بعد موته، إنما يذهبون عند قبر الرسول يسلمون عليه فقط، إذا جاؤوا من سفر يأتون قبر الرسول، ويسلمون عليه وعلى صاحبيه؛ كما يسلمون على الأموات في المقابر، زيارة القبور للسلام عليها مشروعة، أما طلب الحوائج منهم، فهذا لا يجوز، وهو شرك بالله ﷻ، أيضا لفظ الآية يدل على أن الذهاب إلى قبره للاستغفار لا يجوز، لماذا؟ لأنه قال: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان، ولم يقل: إذا ظلموا أنفسهم؛ لأن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، ففرق بين إذ وإذا، ولفظ الآية: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ يعني فيما مضى، لا في المستقبل بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم قال ﷻ في ختام الآيات مقسما بنفسه ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] هم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبل، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، هذا رد عليهم: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ (فيما) هذا عام في جميع الشجارات والاختلافات، كلها ترد إلى الله وإلى الرسول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ما نتحاكم إلى الشريعة في الأحوال الشخصية فقط؛ كما في كثير أو في كل البلاد الإسلامية، إلا ما شاء الله، ما يحكمون الشريعة إلا في الأحوال الشخصية: في المواريث، والأنكحة، وأما المعاملات، وأما

العقائد، فلا يحكمون الشريعة، ولا يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ في أي شيء شجر بينهم: في العقائد، في الخصومات، في الأموال، في جميع المنازعات، كلها ترد إلى الكتاب والسنة، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، والشجار هو الاختلاف والتنازع، ولا يكفي هذا أيضا، ما يكفي أنهم يحكمونك فيما شجر بينهم، بل لا بد ألا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، وأن يرضوا بحكم الله وحكم رسوله، ويقتنعوا بذلك اقتناعا تاما، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]، أما الذي يجد في نفسه كراهية لحكم الله وحكم رسوله، فهذا ليس بمؤمن، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩] ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾، بل يعتقدون أنه هو الحق، وأنهم مخطئون، لابد من هذا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، فكيف إذا تكلموا، وقالوا: ما نرضى بهذا، ونريد حكما غيره؟! هذا أشد - والعياذ بالله -، إذا كانوا في نفوسهم لا يؤمنون، إذا وجدوا شيئا من الشك أو من الحرج في حكم الله ورسوله، فكيف إذا تكلموا، أو كتبوا؟! الأمر أشد، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، أيضا لابد من التسليم والانقياد التام لحكم الله ورسوله، وعدم الممانعة والمماطلة، وتطويل الخصومة؛ لأجل إبطال حق الخصم أو التباطؤ به، لابد من التسليم والانقياد، وإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم التي حكم الله ورسوله بها لهم، من غير مماطلة وتباطؤ، وإتعاب للخصم.

الشاهد من الآيات: أنه لابد من تحكيم الرسول ﷺ في كل خلاف وفي

كل نزاع، والصدور عما حكم به ﷺ، وقبول ذلك، والتسليم له، دون غيره من الناس، لا أصحاب الطرق الصوفية، ولا اليهود ولا النصارى، ولا القوانين الوضعية، ولا غير ذلك.

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مُقَلِّدًا فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ، فَإِنَّهُ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ؛ وَأَنَّ وَلِيَّ اللَّهِ لَا يُخَالِفُ فِي شَيْءٍ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَكْبَرِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، كَأَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ مَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ [١].

الشرح:

[١] هذا سبق، وأعاده الشيخ رحمه الله بعد الآيات؛ أنه لا أحد يطاع فيما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، ولو كان من أولياء الله. الصحابة هم أعظم أولياء الله بعد الرسل، ومع هذا من خالف قوله قول الله ورسوله عن اجتهاد منه، خالف اجتهاده الصواب، فإنه لا يؤخذ به، ولو كان عمر بن الخطاب، أو أبا بكر الصديق، أو غيرهم من الصحابة، لا يؤخذ بقوله إذا خالف الكتاب والسنة، ولو كان مجتهدا، وإلا فإن الصحابة ما يتعمدون المخالفة، هم يجتهدون، وهم ليسوا معصومين، المجتهد يخطئ ويصيب - من الصحابة وغيرهم -، فلا يقبل من خالف الحق من الصحابة، فكيف بغيرهم ممن يدعون أنهم أولياء، وأن الولي لا يخالف أمره؟! أفضل الأولياء هم الصحابة، ومع هذا إذا خالف قولهم قول رسول الله ﷺ عن اجتهاد منهم والتماس للحق، لكن لم يصيبوه، فإنه لا يجوز قبول قولهم، ولهذا لما حصل خلاف في فسخ الحج إلى العمرة، ومنع من ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما؛ أنه لا يجوز فسخ الحج إلى العمرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ**

وَعُمَرُ»[١]؛ يعني تأخذون برأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في عدم فسخ الحج إلى العمرة، وتتركون قول رسول الله الذي أمر أصحابه لما طافوا وسعوا أن يتحللوا، وأن يجعلوها عمرة، ثم يحرموا بالحج بعد ذلك، فيكونوا متمتعين. فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ كائنا من كان.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥، ٢٥١، ٢٦/ ٥٠، ٢٨١)، وزاد المعاد (٢/ ١٩٥)، والطرق الحكمية (١/ ٢٥)، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٣)، وإعلام الموقعين (٢/ ٢٣٨).

فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؟![١] وَتَجِدُ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ عُمْدَتُهُمْ فِي اعْتِقَادِ كَوْنِهِ وَلِيًّا لِلَّهِ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ عَنْهُ مُكَاشَفَةٌ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ [٢].

الشرح:

[١] فكيف إذا لم يكن وليًّا لله؟ كان وليًّا للشيطان، لا يطيع الله، ولا يطيع الرسول؛ كبعض الذين يدعون لهم أنهم أولياء لله، وهم سحرة، أو كهنة، أو شياطين؛ كما يأتي أنهم يدعون الولاية لأناس أعداء لله ولرسوله، وعداوتهم ظاهرة لله ولرسوله، لا يصلون، ولا يغتسلون من الجنابة، ولا يؤدون الزكاة؛ لأنهم يزعمون أنهم خرجوا عن التكاليف، ووصلوا إلى الله، فليس عليهم تكاليف، يقولون: هؤلاء أولياء. وهم يشاهدونهم يتركون الفرائض، ويفعلون المحرمات، ويقولون: هؤلاء ما عليهم تكاليف؛ لأنهم وصلوا إلى الله، والواقع أنهم ليس عليهم تكاليف؛ لأنهم صاروا مجانين.

[٢] إذا قيل له: ما دليلك على أنه ولي لله؟ قال: لأنه يصدر عنه أشياء غريبة، عنده كرامات. وسبق لنا أن هناك فرقًا بين الكرامة وبين الخوارق الشيطانية، التي تجري على أيدي السحرة والكهان، والشيطان يجري عليهم خوارق، لكن لا يقال: إنها كرامات، يقال: إنها خوارق شيطانية: كالطيران في الهواء، وأكل الجمر، والمشي في النار، والمشي على الماء، هذه خوارق شيطانية؛ لأن الشياطين تحملهم وتطير بهم، وأيضا هم كذبة، لا يأكلون الجمر، ولا يمشون في النار، وإنما يسحرون أعين الناس، فيظهر

للناس أنهم يأكلون النار، وأنهم يطعنون أنفسهم بالسكاكين، وهو كذب، إنما يسحرون أعين الناس؛ كالذين في عهد فرعون قال الله ﷻ: ﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وهذا السحر التخيلي، ويقول الجهال: هذه كرامات. هذه ليست كرامات، هذه خوارق شيطانية.

(مُكَاشَفَةٌ) المكاشفة: هي أن يرى شيئا لا يراه الناس؛ لأنه يتعامل مع الشياطين، والشياطين تخبره بأشياء لا يعلمها الناس، أو يرى شيئا لا يراها الناس بسبب عمل الشيطان معه؛ لأنه سبق لنا أن ولي الله هو الذي ذكره الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، هذا ولي الله المؤمن التقي، أما الفاجر والفاسق والكافر، فهذا ليس وليًّا لله، فننظر في عمله، إذا قالوا: هذا ولي، ننظر في عمله، ما ننظر إلى الخوارق التي معه، ننظر إلى عمله: هل هو مستقيم على شرع الله، وعلى طاعة الله، ويتقي الله؟ هذا ولي، وما يجري على يده كرامة من الله ﷻ. أما إن كان كافرا، وفاجرا، وفاسقا، وتاركا لفرائض الله، ومرتكبا للزنا واللواط والفجور، فنقول: هذا ليس وليًّا لله، وإن كان معه خوارق، نقول: هذه خوارق شيطانية، ليست كرامات من الله ﷻ، الشياطين تتعامل معهم، تطير بهم في الهواء، وتقطع بهم المسافات البعيدة، تحملهم على الماء، ولا يغوصون في الماء، تحملهم على النار، ولا يقعون في النار إذا مشوا، لكن يتظاهر للناس بهذه الأمور، هذه أمور لا يغتر بها، تؤخذ على علاتها وعلى ظاهرها، حتى يكون مستقيما على

طاعة الله، وإذا كان مستقيما على طاعة الله، فما جرى عليه من الخوارق كرامات من الله ﷻ؛ مثل ما حصل لأصحاب الكهف، مثل ما حصل لمريم، مثل ما حصل للخضر - على القول بأنه ولي وليس نبيا -، الخوارق التي حصلت للخضر صاحب موسى عليه السلام، هذه كرامات من الله سبحانه وتعالى.

أَوْ بَعْضِ التَّصَرُّفَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ، مِثْلِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى شَخْصٍ فَيَمُوتَ، [١] أَوْ يَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ إِلَى مَكَّةَ أَوْ غَيْرِهَا، [٢] أَوْ يَمْشِيَ عَلَى الْمَاءِ أَحْيَانًا؛ [٣].

الشرح:

[١] يستعين بالشيطان، والشيطان يخنق هذا الذي أشار إليه، فيموت، وأنتم لا ترون الشيطان وأعماله، يقولون: هذا ولي؛ قتل هذا الشخص.

[٢] والذين يطيرون، الشياطين يطيرون بهم؛ لأن الشياطين تطير في الجو، تحملهم أعلى، إذا عبدها، وأطاعها، وعصى الله، وكفر بالله، فإنهم يخدمونه، الله ذكر هذا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٢٩]، فيسلط الله الشياطين على هؤلاء لإضلالهم، وإضلال غيرهم بهم أيضا.

[٣] وهو ما يمشي على الماء حقيقة، وإنما هذا الشياطين تمشي به، أو يخيل للناس أنه يمشي، وهو ليس كذلك، هو جالس في مكان على الأرض أو واقف، ويري الناس أنه يمشي على الماء، يخيل على أعينهم.

أَوْ يَمْلَأُ إِبْرِيقًا مِنْ الْهَوَاءِ، [١] أَوْ يَنطقُ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ مِنْ الْغَيْبِ [٢] أَوْ أَنْ يَخْتَفِيَ أَحْيَانًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، [٣] أَوْ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَهُوَ غَائِبٌ أَوْ مَيِّتٌ فَرَآهُ قَدْ جَاءَهُ فَقَضَى حَاجَتَهُ، [٤] أَوْ يُخْبِرَ النَّاسَ بِمَا سُرِقَ لَهُمْ، [٥].

الشرح:

[١] يأتي بإبريق فارغ، ويضعه في الهواء، ويمتلئ ماء، الشياطين تملؤه ماء، الشياطين تحضر الماء، وتصبه فيه، وأنتم ما ترونه.

[٢] ينطق في بعض الأوقات من الغيب؛ يعني: يخبر عن أشياء من الغيب في بعض الأوقات. يأتي فلان، ويذهب فلان، وفلان مات، ويخبرهم عن أشياء غائبة عنهم؛ لأن الشياطين تخبره بذلك.

[٣] هو يكون معهم، ثم يختفي، ولا يعلمون أين ذهب، الشياطين حملته، أو غطته عن أعين الناس، فيقولون: هذا ولي.

[٤] هذا - كما سبق - أن من يستغيثون بالأموات أو بالغائبين يتخيل الشيطان لهم في صورة الميت، أو في صورة الغائب، فإذا نادوا الميت أو الغائب، تشكل الشيطان في صورته، وأحضر لهم الذي يريدون، ويقولون: هذا هو الميت أو الغائب. وهو الشيطان، الشيطان يتصور لهم.

[٥] وهذه مصيبة، يذهبون للكهنة، إذا ضاع لهم شيء، يسألونهم، ويخبرونهم من الذي عنده أموالهم، ومن الذي سرقهم، ويقولون: هذا

ولي من أولياء الله. وهو ولي من أولياء الشيطان؛ لأن الشيطان هو الذي يخبره عن الأشياء الغائبة والمسروقات، أو يحضر الشيء البعيد، يأتي به بسرعة.

أَوْ بِحَالِ غَائِبٍ لَهُمْ أَوْ مَرِيضٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ. [١].

وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا وَلِيٌّ لِلَّهِ، [٢] بَلْ قَدْ اتَّفَقَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ لَمْ يُغْتَرَّ بِهِ حَتَّى يَنْظُرَ مُتَابَعَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُوَافَقَتَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. [٣].

الشرح:

[١] ما حاجة إلى أن تتكلم بالجوال، أو بالتليفون يخبرهم أين غائبهم، الشيطان يقول لهم: فلان كذا، وهو الآن مريض، وهو الآن صحيح، وهو الآن يمشي، يخبرهم.

[٢] ليس في هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي، حتى يكون مستقيما على طاعة الله.

[٣] هذه فائدة عظيمة، وهي الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الفارق هو: اتباع الكتاب والسنة، فإذا كان مؤمنا متبعا للكتاب والسنة، فما معه من الخوارق كرامات أجراها الله على يده، وإن كان مخالفا للكتاب والسنة، فما معه من الخوارق خوارق شيطانية. (وَمُوَافَقَتَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ)، هذه هي العلامة. ليست العلامة أن يكون معهم خوارق، العلامة المتابعة لرسول الله ﷺ.

وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، [١] وَهَذِهِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ صَاحِبُهَا وَلِيًّا لِلَّهِ فَقَدْ يَكُونُ عَدُوًّا لِلَّهِ، [٢] فَإِنَّ هَذِهِ الْخَوَارِقَ تَكُونُ لِكَثِيرٍ مِنْ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ، [٣] وَتَكُونُ لِأَهْلِ الْبِدَعِ، وَتَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ. [٤].

الشرح:

[١] الله يجري على أيدي أوليائه بعض الكرامات العظيمة، التي لا تخطر ببال، لكنهم لا يغترون بها، ويتكبرون بها، ويدعون الناس إلى تعظيمهم، بل يتواضعون، وولي الله ما تزيده الكرامات إلا تواضعا لله، وأيضا يحرص على إخفائها، وألا يراها الناس؛ لأنه يخاف الله ﷻ.

[٢] الكرامات وحدها لا تدل؛ لأن صاحبها إما أن يكون وليًّا لله إن كان مستقيما على طاعته، أو يكون عدوا لله إن كان عاصيا لله مخالفا لأمره.

[٣] الآن الكفرة والملاحدة عندهم أشياء غريبة، لكنها من الشيطان، وليست من الرحمن.

[٤] كلها من الشياطين وليست هي كرامات من الله ﷻ، الله سلط عليهم الشياطين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣]، فتظهر هذه الأشياء على أيديهم للغرور - والعياذ بالله -، والتضليل، وكل شيء فهو بقضاء الله وقدره، لكنه لا يجري إلا لحكمة عظيمة من الله ﷻ.

فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، بَلْ يُعْتَبَرُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، [١] وَيُعْرَفُونَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ. [٢].

الشرح:

[١] بل يعتبر ولي الله بأعماله وأفعاله، ومتابعته للكتاب والسنة، يعتبر بهذه الأمور، لا بالخوارق فقط، وإنما يعتبر بالإيمان والتقوى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ما قال: الذين تجري على أيديهم خوارق، قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٢] أولياء الله يعرفون بسيماهم، النور على وجوههم، والاستقامة على أفعالهم وأقوالهم، والطمأنينة، والأنس بذكر الله ﷻ، هؤلاء هم أولياء الله، أما أولياء الشيطان إذا ذكرت الله انقبضوا؛ لأن الشياطين الذين معهم يحرقها ذكر الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَذْكُورَةَ وَأَمْثَالَهَا قَدْ تُوجَدُ فِي أَشْخَاصٍ وَيَكُونُ أَحَدُهُمْ لَا يَتَوَضَّأُ، وَلَا يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةَ، [١] بَلْ يَكُونُ مُلَابِسًا لِلنَّجَاسَاتِ، مُعَاشِرًا لِلْكِلَابِ، [٢].

الشرح:

[١] هذه الأمور المذكورة: الخوارق، المشي على الماء، المشي على النار، وما أشبه ذلك، هذه توجد مع أولياء الشيطان بكثرة، وهم ليسوا أولياء لله ﷻ.

[٢] يقولون: هذا ولي؛ لأنه ما عليه تكاليف، التكاليف على العوام، وإلا هذا من الخواص، هذا ولي، من خاصة الخاصة، وسقطت عنه التكاليف.

وهؤلاء علاماتهم ظاهرة، وهي: أنهم لا يتورعون عن الحرام والفواحش وترك الفرائض، ولا يتطهرون من النجاسات، ولا يتجنبون الكلاب التي هي من أخس الحيوانات، بل يعاشرونها، ويعيشون معها، ويأنسون بها، مع أن الرسول ﷺ نهى عن اقتناء الكلاب إلا للأمور المخصصة: كالحراسة - حراسة الماشية، أو حراسة الزرع -، أو للصيد، ثلاثة أغراض فقط، وما عدا ذلك لا تجوز مصاحبة الكلاب؛ لأنها نجسة.

يَأْوِي إِلَى الْحَمَّامَاتِ وَالْقَمَّامِينَ وَالْمَقَابِرِ وَالْمَزَابِلِ، رَائِحَتُهُ خَبِيثَةٌ، لَا يَتَطَهَّرُ الطَّهَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَلَا يَتَنَظَّفُ. [١].

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جُنُبٌ وَلَا كَلْبٌ»(١) [٢].

الشرح:

[١] أولياء الله يأوون إلى المساجد، أولياء الشيطان يأوون إلى الحمامات؛ لأن الحمامات مآوي الشياطين، فأولياء الشياطين يأنسون بالحمامات، ويجلسون في المراحيض ومحل قضاء الحاجة؛ لأن الشياطين هذه أمكنتهم، أما أولياء الله، فأمكنتهم المساجد وبيوت الله ﷻ. هؤلاء ما يتجهون إلى المساجد، ولا يريدونها.

القمامون: الكناسون الذين يباشرون النجاسات.

[٢] «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جُنُبٌ»، هذا فيه تجنب الحدث الأكبر؛ لأنه نجاسة معنوية، «وَلَا كَلْبٌ»؛ لأن الكلب نجس العين، وهؤلاء لا يتطهرون من الجنابة، ولا يتوضؤون من الحدث، ولا يغسلون النجاسة إذا أصابت أبدانهم وثيابهم، بل يعدون هذا من التواضع، ومن التقرب

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٧)، والنسائي (١/ ١٤١)، وأحمد (١/ ١٠)، وهو ضعيف بهذا اللفظ، والحديث في الصحيحين بدون زيادة: (أو جنب) انظر: البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

إلى الله ﷻ، يعتبرونه عبادة؛ لأن الشياطين تحب القاذورات، تحب النجاسات، تحب الحشوش، فهو من أولياء الشياطين، يألف هذه الأشياء.

وَقَالَ عَنْ هَذِهِ الْأَخْلِيَةِ: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضِرَةٌ»(١)، أَيْ يَحْضُرُهَا الشَّيْطَانُ. [١].

وَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْخَبِيثَتَيْنِ فَلَا يَقْرَبَن مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»(٢). [٢].

الشرح:

[١] الحشوش: محل قضاء الحاجة، جمع حش، الشيطان هذه مأواه، كذلك ولي الشيطان يميل إليها، ويجلس فيها.

[٢] الرسول ﷺ حث على الرائحة الطيبة وعلى الطيب، حتى إنه نهى مَن أكل الثوم والبصل وما به رائحة كريهة عن أن يقرب المسجد، هم يتقربون إلى الله بالروائح الخبيثة. الخبيثتين يعني: الرديئتين؛ لأن الخبيث يطلق، ويراد به الشيء الرديء، ويطلق، ويراد به النجس والحرام.

---

(١) أخرجه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٦٧) من قول عمر رضي الله عنه، وورد عنده (٥٦٤) من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: «من أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ، فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فإن الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى منه بَنُو آدَمَ»، ورواه البخاري (٨٥٥) بلفظ: «من أَكَلَ ثُومًا أو بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا، أو لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا».

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»(١) [١].

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ»(٢). [٢].

وَقَالَ: «خَمْسٌ مِنْ الْفَوَاسِقِ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ»(٣) [٣].

الشرح:

[١] إن الله طيب لا يقبل من الأعمال والأقوال والروائح إلا الشيء الطيب، خلاف الشياطين؛ فإنها خبيثة، ولا تقبل إلا الخبائث، ولهذا كان ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء يقدم رجله اليسرى، ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»(٤).

[٢] جميل يحب الجمال، الله ﷻ نظيف، وجميل، وطيب، بخلاف الشياطين؛ فإنها خبيثة، ونجسة، ووسخة.

[٣] هذه الفواسق تقتل لأذاها؛ لأنها تؤذي، هم يأكلونها، يعدونها من الطيبات، يأكلون الخنافس والعقارب، ويعتبرونها من الطيبات، ويأكلون

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩) بلفظ: «**إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ**». وقال: «غريب».

(٣) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢، ٦٣٢٢)، ومسلم (٣٧٥).

الزنابير والذباب. ومعنى فواسق يعني: خارجات عن المألوف؛ لأن الفسق هو الخروج[(١)]، وإلا هن ما عندهن معاصي، ولكن فواسق بمعنى: أنهن خارجات عن المألوف في المخلوقات؛ لأنها تؤذي.

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢): «(فَسَقَ) الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالْقَافُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْفِسْقُ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ. تَقُولُ الْعَرَبُ: فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ عَنْ قِشْرِهَا: إِذَا خَرَجَتْ، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ». وانظر مادة (فسق) في: لسان العرب (١٠/ ٣٠٨).

وَفِي رِوَايَةٍ: «الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ»(١).

وأَمَرَ - صلوات الله وسلامه عليه - بِقَتْلِ الْكِلَابِ(٢)، وَقَالَ: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلَا ضَرْعًا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ»(٣).

وَقَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً مَعَهُمْ كَلْبٌ»(٤).

وَقَالَ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»(٥) [١].

الشرح:

[١] والكفار الآن يأنسون مع الكلاب ويربونها، بل إن الأثرياء منهم يوصون للكلاب بعد موتهم؛ لأنهم من جند الشيطان، الشيطان يحب الكلاب، ويقلدهم بعض المنتسبين للإسلام، يجعل الكلب في بيته، ويمشي معه، ويركبه معه في السيارة، يتشبه بالكفار، حتى رؤساء الكفار

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٠) ثم نسخ القتل بما جاء عند مسلم (١٥٧٢) من حديث جابر ﷺ، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها، وقال: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ، فإنه شَيْطَانٌ».

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢١١٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٧٢)، ومسلم (٢٧٩).

وملوكهم معهم كلاب؛ لأن كل شيء يميل إلى جنسه، فلما كانت طبيعتهم طبيعة كلاب، مالوا إلى الكلاب.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. [١].

الشرح:

[١] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الله يكتب رحمته للذين يتبعون الرسول، فالذين لا يتبعون الرسول، لا يكتب الله لهم رحمته.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ﴾، وهذا أيضا محل الشاهد ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ﴾، فصارت الطيبات حلالًا للمؤمنين، والخبائث حرامًا عليهم، لكن الشياطين وأتباع الشياطين يتغذون بالخبائث ويألفونها. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأن الله حملهم إصرا وأغلالا بسبب كفرهم، فلو آمنوا بالرسول ﷺ، لوضع الله عنهم هذه الآصار والأغلال، الآصار هي: التثقيل عليهم في الأوامر والنواهي، والتشديد عليهم، والأغلال هي الأشياء التي حرمها الله عليهم، وكانت طيبة بالأول مباحة، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، الله حرم عليهم أشياء حلالا؛ عقوبة لهم، تحريم عقوبة. ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ آمنوا به، وصدقوه، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني: وقروه، واحترموه، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾، لا يكفي أن يعلم أنه رسول، وأنه يثني عليه، لابد أن يتبعه، وإلا فأبو طالب أثنى على الرسول ﷺ ومدحه، ومدح دينه، لكن لما لم يتبعه، مات على الكفر، صار من أهل النار - والعياذ بالله -، لابد من الاتباع، وهذا محل الشاهد: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾.

فَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ مُبَاشِرًا لِلنَّجَاسَاتِ وَالْخَبَائِثِ الَّتِي يُحِبُّهَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَأْوِي إِلَى الْحَمَّامَاتِ وَالْحُشُوشِ الَّتِي تَحْضُرُهَا الشَّيَاطِينُ، أَوْ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَالزَّنَابِيرَ، وَآذَانَ الْكِلَابِ الَّتِي هِيَ خَبَائِثُ وَفَوَاسِقُ، أَوْ يَشْرَبُ الْبَوْلَ وَنَحْوَهُ مِنَ النَّجَاسَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ؛ فَيَسْتَغِيثُ بِالْمَخْلُوقَاتِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا، أَوْ يَسْجُدُ إِلَى نَاحِيَةِ شَيْخِهِ، وَلَا يُخْلِصُ الدِّينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، أَوْ يُلَابِسُ الْكِلَابَ أَوْ النِّيرَانَ، أَوْ يَأْوِي إِلَى الْمَزَابِلِ وَالْمَوَاضِعِ النَّجِسَةِ، أَوْ يَأْوِي إِلَى الْمَقَابِرِ، وَلَا سِيَّمَا إِلَى مَقَابِرِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَوْ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ يَكْرَهُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ سَمَاعَ الْأَغَانِي وَالْأَشْعَارِ، وَيُؤْثِرُ سَمَاعَ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ عَلَى سَمَاعِ كَلَامِ الرَّحْمَنِ، فَهَذِهِ عَلَامَاتُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ لَا عَلَامَاتُ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ. [١].

الشرح:

[١] الأمر واضح جدا.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُسْأَلُ أَحَدُكُمْ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنُ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ يُبْغِضُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَه»(١) [١].

الشرح:

[١] من الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان أن أولياء الله يحبون القرآن، ويأنسون به، ويتلونه، ويتدبرونه، ويتلذذون به، يتقربون إلى الله تعالى بتلاوته، وتدبره، والعمل به، ولا يصدون عنه، بل هم دائما مع القرآن، وأما أولياء الشيطان، فإنهم ينفرون من القرآن، ويستبدلونه بالأغاني والأناشيد، والدفوف والطبول وآلات اللهو؛ كما هو معلوم عن الصوفية والمبتدعة؛ أنهم مغرمون بالغناء، وآلات اللهو، فهذا من الفوارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فإذا رأيت الرجل يحب القرآن، ويقبل عليه، ويصغي لتلاوته، فاعلم أنه من أولياء الله، وإذا رأيت الرجل يعرض عن كتاب الله، ولا يحبه، ولا يألفه، ويصد عنه، فاعلم أنه من أولياء الشيطان، ولهذا يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لَا يُسْأَلُ أَحَدُكُمْ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنُ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ يُبْغِضُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَه»**، من كان يبغض القرآن، فإنه يبغض الله ورسوله، هذه علامة واضحة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٥٣).

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١). [١] وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الذِّكْرُ يُنْبِتُ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ، وَالْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ(٢) [٢].

الشرح:

[١] عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة راشد، يقول: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا»، وفي رواية: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، ولا تمل من كلام الله، بل هي دائما مرتبطة به؛ لأنها تحبه؛ لأن من أحب شيئا، أكثر من ذكره، فإذا رأيت في الإنسان مللا من القرآن أو إعراضا عن القرآن، فاعلم أن قلبه فيه شيء من الخلل وعدم الطهارة.

[٢] فرق بين القرآن والغناء، القرآن كلام الله عز وجل، والغناء كلام الشياطين (شياطين الإنس والجن)، والقرآن ينبت الذكر في القلب، ومحبة الرب تبارك وتعالى؛ كما ينبت الماء البقل - وهو الخضار والزروع -، فإن الماء إذا نزل على الأرض، أنبته: ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، هذا

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٥٩)، وابن المبارك في الزهد (١١٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٢)، وأورده ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٥٥).

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢٣) موقوفًا، وهو أصح من المرفوع الذي أخرج البيهقي (١٠/ ٢٢٣) الشطر الثاني منه مرفوعًا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ لأن فيه شيخ لم يسم، وأخرج أبو داود (٤٩٢٧) الشطر الثاني منه بدون التشبيه، وفيه ذاك الشيخ الذي لم يسم.

مثل القرآن مع القلوب، وأما الغناء، فإنه ينبت النفاق، النفاق هو: إظهار الخير، وإبطان الشر، هذا هو النفاق، فالغناء ينبت النفاق، كراهية القرآن، وكراهية الذكر، وكراهية الدين، فإذا رأيت من هو مغرم بالأغاني والمطربين فإن هذا ينبت في قلبه: النفاق، بغض القرآن، وبغض المؤمنين، والنفرة من أهل الخير. هذا نبات الأغاني والمزامير، وأصوات المطربين التي يميل إليها الفساق، والصوفية، وهم لا يتلذذون إلا بالأغاني، والطرب هو أنيسهم دائما وأبدا، في السيارات وفي البيوت، وفي أي مكان تجد الأغاني مصاحبة لهم، إما من البث الإذاعي، وإما من التسجيلات التي يصطحبونها معهم، فهذا علامة النفاق: بغض ذكر الله، وبغض الإيمان وأهل الإيمان، والنفرة منهم. فهذا فيه التحذير من الأغاني التي استحوذت على كثير من الناس اليوم، فهم مرتبطون بمواعيدها، حتى إن منهم من لا يحضر الصلاة إذا كان ذلك في وقت بث الأغاني، ويجلس عندها، ويترك صلاة الجماعة، أو يترك الصلاة في الوقت لئلا تفوته هذه الأغاني. يشجعون المغنيين والمطربين، ويسمونهم أهل الفن، وأهل الذوق، وأهل. . . ، ويمنحونهم الألقاب، ويصورونهم الصور التي تتخذ للذكريات.

وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ خَبِيرًا بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ فَارِقًا بَيْنَ الْأَحْوَالِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ فَيَكُونُ قَدْ قَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نُورِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، [١].

الشرح:

[١] القلب يكون فيه نور الإيمان، الذي يفرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، بين الخير والشر، وبين الكفر والإيمان، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، والفرقان هو: أن يرزق الإنسان التمييز بين الأمور، أمور الخير وأمور الشر، وبين أهل الخير وأهل الشر، ومن لم يكن عنده تمييز، فإن هذا دليل على أن قلبه مظلم، ليس فيه نور، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، فهذه الآية خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالرسل السابقين، أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ؛ ليحصلوا على الأجرين: أجر الإيمان بالرسل السابقين وأجر الإيمان بمحمد ﷺ، هذه فائدة.

والفائدة الثانية: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾، ونور القلوب هو الأصل، ما النور؟ المراد به النور الحسي، نور الشمس، ونور الكهرباء؟

هذا نعم مفيد وطيب، لكن ليس هو المقصود، المقصود: نور القلب، قد يكون الإنسان أعمى في بصره، لكن الله نور قلبه بالإيمان والعلم، والله ﷻ قال في آية سورة الحج: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فكم من أعمى البصر، لكنه مستنير القلب بالعلم والإيمان، وكم من مبصر أعمى القلب - والعياذ بالله -، فالعمدة على نور القلب، وعلى بصيرة القلب، فإذا اجتمعت بصيرة البصر وبصيرة القلب، فهذه نعمة إلى نعمة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، [١].

الشرح:

[١] قال الله لنبيه محمد ﷺ ممتنا عليه مذكرا له بنعمة الله عليه في آخر سورة الشورى قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾؛ روح القلوب، تحيا به القلوب، كما أن البدن يحيا بروح الحياة الحسية، فالروح يطلق، ويراد به روح البدن، وهو الحياة الحسية التي بها يتحرك، ويمشي، ويتحسس، والإطلاق الثاني روح العلم والبصيرة، وهذا هو المراد بهذه الآية: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا﴾، وهو القرآن والسنة، هذا روح، سماه الله روحا لأنه تحيا به القلوب، وهذا هو الروح الحقيقي، ويطلق الروح، ويراد به القوة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: بقوة، ويطلق الروح، ويراد به جبريل عليه السلام الروح الأمين. المراد هنا الروح الذي هو الوحي المنزل على الرسول ﷺ، سماه الله روحا؛ لأن به حياة القلوب: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾؛ أي: من شرع الله ﷻ، ثم قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾، قبل البعثة ما كان الرسول ﷺ يعرف هذه الأمور، ما كان يقرأ الكتاب: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ما كان الرسول ﷺ يدري ما الكتاب، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ تفاصيل الإيمان، وإلا فالإيمان موجود في قلبه ﷺ قبل البعثة؛ ولهذا كان مفارقا

للمشركين، وكان يعبد ربه على الحنيفية ملة إبراهيم، لكن تفاصيل الإيمان إنما عرفها بعد البعثة، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ الرسول ﷺ ما كان يقرأ، عكس ما يقوله المشركون من أن القرآن أساطير الأولين اكتتبها، وأنه أخذها عن بني إسرائيل، فهو ما كان يقرأ ﷺ، ولا كان يكتب، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢]، هذا محل الشاهد، جعلنا هذا الكتاب نورا، فالقرآن نور: ﴿نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فالهداية بيد الله، وهو أعلم بمن يستحقها ومن لا يستحقها، فلا يعطيها إلا لمن يعلم أنه يستحقها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]؛ من يقبل الهداية ومن لا يقبلها، ﴿نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾؛ هذه هداية التوفيق والإيمان، وأما هداية الدلالة والإرشاد، فإنها عامة للمؤمن والكافر وجميع الناس، القرآن هدى للناس، بمعنى: أنه مبين لطريق الحق من طريق الضلال، مرشد، أما الهداية الخاصة، فهذه تكون لأهل الإيمان: ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ما الجمع بين هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وبين قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؟ الجمع أن المراد بالهداية في هذه الآية: هداية الدلالة والإرشاد، والبيان، وأما ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ المراد: هداية التوفيق والإيمان، هذه بيد الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، أضافه إلى نفسه ﷻ تشريفا له.

فَهَذَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاءَ فِيهِمْ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»(١) [١].

الشرح:

[١] من هداه الله إلى هذا القرآن وعمل به، صار في قلبه نور؛ نور الإيمان ونور العلم، فهو ينظر بنور الله ﷻ، ويميز بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، وبين النافع والضار، أما من حرم هذا النور، فإنه لا يميز بين الخير والشر، ولا يميز بين أولياء الله وأعداء الله، وكل الأشياء عنده سواء.

فالفراسة معناها: التفرس في الشخص، والتوقع منه، يكون عند المؤمن فراسة؛ لأنه ينظر بنور الله: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، فهو يميز بين أهل الخير وأهل الشر، وأيضا يعرف من يتوقع منه الخير ومن يتوقع منه الشر، بمجرد أن ينظر إلى الشخص، يعرف هل هو من أهل الخير أو من أهل الشر، ويعرف، ويتوقع ما سيحصل منه في المستقبل؛ لأنه ينظر بنور الله، يميز بين الناس، ولا ينخدع بالمظاهر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨٦) رواه الطبراني عن أبي أسامة واسناده حسن.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، قَالَ فِيهِ: «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْته كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنهُ، وَمَا تَرَدَّدْت فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»(١) [١].

الشرح:

[١] هذا الحديث يفسر بعضه بعضا، ويوضح بعضه بعضا، بيَّن ﷺ ما أوحاه الله إليه، وعلمه به، وهو هذا الحديث القدسي؛ أن الله ﷻ قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، هذا محل الشاهد؛ أن التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة يسبب محبة الله له، كما أن معصية الله تسبب بغض الله للعبد، الله يحب التوابين، ويحب المتقين، ويحب المتطهرين، ويحب المحسنين، يحب أهل الأعمال الصالحة الذين يتقربون إليه بالطاعات: الفرائض، والنوافل، هذا سبب محبة الله للعبد، وولاية الله للعبد: «وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٦١).

بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» ، ما معنى هذا؟ فسره بقوله : «فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ ، وَبِي يَمْشِي» ، بمعنى أنه لا يستعمل هذه الحواس وهذه الأعضاء إلا في طاعة الله ﷻ ، فلا يبصر ما يغضب الله ، لا يبصر ما يغضب الله وما حرم الله النظر إليه : من النساء ، والعورات المحرمة ، لا يبصر إلا في طاعة الله ، لا ينظر في الأفلام الخليعة والإنترنت الفاسد ، ما ينظر في هذه الأشياء ، ينفر منها ، إنما ينظر إلى ما ينفعه ؛ لأنه يبصر بالله ﷻ وبتوفيقه ، «فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ» ، كذلك لا يستمع إلى الأغاني والمزامير والملاهي وإنما يستمع لذكر الله وللقرآن ، وللتسبيح والتهليل ، فلا يسمع إلا ما يفيده ، ولا يستمع إلى الغيبة ، والنميمة ، وقول الزور ، واللغو ، وإنما يستمع لما فيه خير ؛ لأنه يسمع بالله ﷻ ، وكذلك لا يأخذ ويعطي بيده إلا ما كان من طاعة الله ﷻ ، يأخذ ويعطي من الخير ، يستعمل يده في الخير ، ولا يستعملها في الشر ، وأذية الناس ، وظلم الناس ، قتل الناس ، وضرب الناس بغير حق ، ولا يمشي إلا إلى طاعة الله ، يمشي إلى طلب العلم ، إلى حلق الذكر ، إلى المحاضرات ، إلى الندوات المفيدة ، إلى الدروس ؛ ليتفقه في دين الله ، يمشي إلى المساجد لأداء الصلوات فيها ، والجلوس فيها ، ولا يمشي إلى المسارح ، وإلى محلات اللهو ، والتجمعات الفاسدة ، بل يكرهها وينفر منها ؛ لأن الله سدده في مشيه ، سدده في بطش يده ، سدده في سمعه ، سدده في بصره ، وليس معنى الحديث ما يقوله الحلولية : إن الله يحل في الإنسان - تعالى الله عن ذلك - ؛ لأن الحديث يفسر بعضه بعضا ، وقد فسر الحديث الرسول ﷺ ، أو فسره الله ، والرسول ﷺ يروي عن ربه ﷻ : «فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ ، وَبِي يَمْشِي» ، ثم قال : «وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ

اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»؛ لأن الله معه، وتولاه ﷺ، ثم قال ﷺ: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي في قبض نَفْسِ عبدي الْمُؤْمِنِ»، هل الله يتردد؟ فسره بقوله: «يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، معنى تردد الله: كراهته لما يكرهه عبده، كراهة طبيعية، يكره الموت كراهة طبيعية، الله يكره ما يكرهه عبده، ولكن لابد له من الموت، فمعنى (تَرَدَّدْتُ) يعني: أكره ما يكرهه عبدي المؤمن.

فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مِنْ هَؤُلَاءِ فُرِّقَ بَيْنَ حَالِ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ [١] كَمَا يُفَرِّقُ الصَّيْرَفِيُّ بَيْنَ الدِّرْهَمِ الْجَيِّدِ وَالدِّرْهَمِ الزَّيْفِ، [٢].

الشرح:

[١] لأنه لا بد أن الدنيا فيها أولياء للرحمن وأولياء للشيطان، ليس كل من في الدنيا أولياء للرحمن، ولا هم كلهم أولياء للشيطان، بل فيها من هو ولي للرحمن، ومن هو ولي للشيطان، ولا يميز العبد بين الفريقين إلا بالإيمان، ونور العلم، ونور العبادة التي يجعلها الله في قلبه.

[٢] أما الذي يظن أن من كان عنده خوارق للعادة ولي لله مطلقا، هذا لا يميز بين الحق والباطل، الخوارق للعادة لا تدل على الولاية، حتى يرى ما عليه صاحبها، فإن كان صاحبها على طاعة الله وعبادة الله، فإنها كرامات أجراها الله على يده إكراما له، ولحاجته إليها، أو حاجة غيره، أما إن كان صاحب هذه الخوارق عاصيا لله، مضيعا لفرائضه، مرتكبا لمحارم الله، فهذا ولي من أولياء الشيطان، وهذه الخوارق خوارق شيطانية، وليست كرامات، فلابد أن المسلم يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان بأعمالهم التي تصدر منهم، ولاينظر إلى مظاهرهم فقط؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾.

الصيارفة - صيارفة الذهب والفضة -، إذا جيء لهم بالذهب والفضة، عرفوا المعدن الصحيح الخالص من الذهب والفضة من المعدن المغشوش، حينما يسمع صوت النقد يعرف أنه مغشوش، أو أنه صحيح، بمجرد سماع صوته، أو وضعه في المختبر، هؤلاء الصيارفة يعرفون زيف النقود من غشها، كذلك ولي الله يعرف أولياء الله من أعداء الله. ويميز بينهم كما يميز الصيرفي.

وَكَمَا يُفَرِّقُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْلَ بَيْنَ الْفَرَسِ الْجَيِّدِ وَالْفَرَسِ الرَّدِيءِ، [١] وَكَمَا يُفَرِّقُ مَنْ يَعْرِفُ الْفُرُوسِيَّةَ بَيْنَ الشُّجَاعِ وَالْجَبَانِ، [٢].

الشرح:

[١] الخيل في ظاهرها سواء، لكن في مخبرها، وفي صفاتها، ومنافعها تختلف، فلا يعرفها إلا الفرسان الذين مارسوها، وميزوها، أما الذي لا يعرف، فكل الخيل عنده سواء.

[٢] وكذلك كل الناس يركبون الخيل، لكن منهم الجبان الرعديد الذي لا تحمله أعضاؤه عند الفزع وعند الخوف، ولو كان يركب الخيل يسقط، ومنهم الفارس الشجاع الذي لا يبالي بلقاء العدو، فما كل من يركب الخيل يكون فارسا، ولا يميز هذا إلا الفرسان، يعرفون الشجعان من الجبناء، كل شيء له مَهَرَةٌ يعرفونه، ويميزون هذا من هذا في كل فن.

وَكَمَا أَنَّهُ يَجِبُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ الصَّادِقِ وَبَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ الْكَذَّابِ، [١] فَيُفَرِّقُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَغَيْرِهِمْ وَبَيْنَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ(١)، [٢].

الشرح:

[١] كذلك النبوة: كثير ممن يدعون النبوة، وقد يكون بخوارق، ويقولون: هذه معجزات، وهي -كما سبق- خوارق شيطانية، ليست معجزات، ولا يميز النبي الصادق من المتنبئ الكاذب إلا أهل الإيمان وأهل العلم وأهل البصيرة، الذين يعرفون علامات النبوة، ودلائل النبوة من غيرها، فالنبي له علامات، وله معجزات، وله دلائل تميزه عن الكذاب المتنبئ.

[٢] يفرق بين أنبياء الله بعلامات النبوة، التي تدل على صدقهم، وبين المتنبئين الكذبة الذين يروجون على الناس، ويدجلون على الناس، وهؤلاء يفتضح أمرهم عما قريب، أما الأنبياء فيبقى أثرهم، ودلالاتهم، ومعجزاتهم تبقى على مر الدهور، فيفرق ولي الله الذي استنار قلبه بالعلم

---

(١) مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي، لقب برحمن اليمامة فدمغه الله بالكذب فلا يقال: مسيلمة، إلا ومعها الكذاب، ادعى النبوة وارتد عن الإسلام، ثم قتله وحشي قاتل حمزة بحربته، رماه بها فخرجت من الجانب الآخر وذلك في حرب المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه. انظر: فتوح البلدان (ص٩٧)، والكامل في التاريخ (٢/ ١٦٧)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٦٤).

والإيمان، يفرق بين محمد وبين مسيلمة والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، الذين ادعوا النبوة بعد رسول الله ﷺ، ومسيلمة والأسود العنسي ادعيا النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، ولكن المؤمنين قتلوهم، وبطل شرهم عن المسلمين، فالمتنبئون ينقطع شرهم عما قليل، ويظهر كذبهم، ويقطع الله دابرهم، أما الأنبياء، فتبقى آثارهم الصحيحة، وإيمانهم ودينهم. فرق بين هؤلاء وبين أنبياء الله إبراهيم وموسى، ونوح ومحمد، وأنبياء الله ﷺ فرق بينهم وبين الكذبة. مسيلمة هذا الذي ظهر في اليمامة، وجهز له أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد بجيش المسلمين، وحصل قتال شديد، انتهى بقتل مسيلمة وإراحة المسلمين من شره، وانقطع خبره وذكره، والحمد لله.

وَالْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ(١)، وَطُلَيْحَةَ الْأَسَدِيِّ(٢)، وَالْحَارِثِ الدِّمَشْقِيِّ(٣)[١].

الشرح:

[١] وكذلك الأسود العنسي في اليمن، كان دخل في الإسلام، ثم ارتد، وادعى النبوة، واجتمع حوله من اجتمع، وصار له شوكة، فالنبي ﷺ أمر

---

(١) الأسود العنسي الكذاب خرج بصنعاء وادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ واسمه عبهلة ابن كعب وكان يقال له: ذو الخمار بالخاء المعجمة؛ لأنه كان يخمر وجهه، وقيل: هو اسم شيطانه. انظر: تاريخ دمشق (٤٩/ ٤٨٣)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٠٧)، وفتح الباري (٨/ ٩٣).

(٢) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي، كان ممن شهد مع الأحزاب الخندق ثم قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع، فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة في عهد أبي بكر الصديق، وكانت له مع المسلمين وقائع ثم خذله الله فهرب حتى لحق بأعمال دمشق، ونزل على آل جفنة، ثم أسلم وقدم مكة معتمرًا، ثم خرج إلى الشام مجاهدًا وشهد اليرموك وشهد بعض حروب الفرس. انظر: تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٩)، والإصابة (٣/ ٥٤٢)، والبداية والنهاية (٧/ ١١٨).

(٣) الحارث بن سعيد الدمشقي الكذاب المتنبي صلبه عبد الملك بن مروان، وكان الحارث من أهل دمشق، وكان متعبدًا، ويتكلم في التحميد بكلام لم يسمع مثله، فتعرض له إبليس فأغواه، فتوهم أنه نبي، فكان يجيء إلى أهل المسجد فيذاكرهم مرة، ويريهم الأعاجيب حتى كان يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء، فبلغ أمره القاسم بن مخيمرة فكلمه، فقال له شيء، فقال: كذبت يا عدو الله، وقام فدخل على عبد الملك فبعث في طلبه، فلم يقدر عليه، واختفى الحارث ببيت المقدس فلم يزل عبد الملك يطلبه إلى أن قبض عليه ثم أمر بصلبه ثم أمر به فطعن حتى قتل. انظر: لسان الميزان (٢/ ١٥١)، وتاريخ دمشق (١١/ ٤٢٧).

المؤمنين الذين حوله أن يقتلوه، فقتلوه، وأراحوا المسلمين من شره، فانقطع خبره، وانتهى أمره، والحمد لله.

وأما طليحة الأسدي: هذا أسلم، ثم ارتد مع المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ وقاتله الصحابة حتى انهزم، ثم إنه بعد ذلك منّ الله عليه بالتوبة، وتاب إلى الله، ويقال: إنه قتل شهيدا في حروب فارس.

والحارث الدمشقي: هذا على وقت عبد الملك بن مروان، الحارث الأعور الدمشقي ادعى النبوة، وطلبه عبد الملك حتى أمسكه، وقتله، وصلبه.

وَبَابَاهُ الرُّومِيِّ (١)، وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْكَذَّابِينَ (٢).

وَكَذَلِكَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الضَّالِّينَ. [١].

الشرح:

[١] يفرق بين الأنبياء وبين المتنبئين، المؤمن يفرق بين الأنبياء والمتنبئين؛ لأن الأنبياء لهم دلائل النبوة وعلامات النبوة عليهم، بخلاف الكذابين؛ فليس معهم دلائل، وإنما هم ملبسون على الناس، وكذلك المؤمن يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، فأولياء الله لهم علامات واضحة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣]، هذه علاماتهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، وأما أولياء الشيطان، فهم الفجرة

---

(١) جاء في تاريخ الإسلام (١/ ٤٦٧٠)، والوافي في الوفيات (١/ ١٣٥١) في أحداث سنة ٦٣٨، قالا: وفيها ظهر بالروم البابا التركماني وادعى النبوة وكان يقول: لا إله إلا الله البابا ولي الله، واجتمع عليه خلق عظيم فجهز صاحب الروم جيشًا لقتاله، فالتقوا، وقتل في الوقعة أربعة آلاف، وقتل البابا.

(٢) مثل المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي ادعى النبوة وكان قد خرج في أيام ابن الزبير، فجهز ابن الزبير لقتاله إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين وقتله. انظر: تاريخ الخلفاء (ص١٨٧).

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/ ٩٦) في أحداث سنة ٧٢٠ أنه ضربت عنق شخص يقال له: عبد الله الرومي، وكان غلامًا لبعض التجار، وكان قد لزم الجامع ثم ادعى النبوة، واستتيب فلم يرجع، فضربت عنقه، وكان أشقر أزرق العينين جاهلًا، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك واضطرب عقله في نفس الأمر، وهو في نفسه شيطان إنس.

والكذبة والعصاة، الذين يتبعون شهواتهم، ويضيعون الفرائض، ويرتكبون الجرائم، ومع هذا يزعمون أنهم أولياء الله، وهم أعداء لله، لكن يصدقهم من ليس في قلبه نور ولا إيمان، ويقول: هؤلاء أولياء لله. وهم كثير، الذين صدقوا هؤلاء كثير من الخلق، فصاروا يعتقدون فيهم الولاية، ويعبدونهم من دون الله، ويذبحون لهم، وينذرون لهم - والعياذ بالله -، وحتى لو ثبت أنه ولي لله، فإنه لا يعبد، لا تجوز عبادته، ولو كان هو يدعو إلى عبادته -عبادة نفسه -، لم يكن وليًا لله، فإنه ولي للشيطان، لكن هناك من عباد الله ومن المؤمنين من ينكرون هذا، ولكن عُبدوا بعد موتهم، وبني على قبورهم بعد موتهم، فهؤلاء أولياء الله، لكن لا تجوز عبادتهم، العبادة حق لله ﷻ.

فَصْلٌ

وَالْحَقِيقَةُ حَقِيقَةُ الدِّينِ - دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هِيَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ؛ [١].

الشرح:

[١] الحقيقة هي حقيقة الدين، الذي عليه الأنبياء والمرسلون؛ من أولهم إلى آخرهم، وهي حقيقة الإسلام؛ لأن الأنبياء وأتباعهم كلهم مسلمون؛ لأن الإسلام معناه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا دين الأنبياء جميعا، كلهم مسلمون، وأتباعهم مسلمون، وكل من اتبع نبيًّا من أنبياء الله، فإنه مسلم، إلى أن ختموا بمحمد ﷺ، فصار المسلم هو من اتبع محمدا ﷺ؛ لأن رسالته عامة، ولأن دينه باق لا ينسخ إلى أن تقوم الساعة، فلا يسع أحدا من اليهود والنصارى وجميع الملل، بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يتبعه، ويؤمن به، لا يسع أحدا إلا الإيمان بمحمد ﷺ، لا يسع أحدا أن يتبع نبيًّا من الأنبياء بعد بعثة محمد ﷺ، لا يسع أحدا أن يتعلق بولي من الأولياء، ويعبده من دون الله، أو يتبعه، لو ما عبده، لا يجوز له أن يتبعه، إذا خالف رسول الله ﷺ، ولو كان وليًّا، ولو كان عالما، ولو كان. . . ، لا تجوز الطاعة إلا لله ولرسوله، هذه هي الحقيقة، فالأنبياء وأتباعهم كلهم مسلمون؛ لأنهم يعبدون الله بما شرعه لهم، كل وقت بحسبه، تنسخ الشريعة، وتأتي شريعة أخرى، ثم تنسخ، وتأتي شريعة

أخرى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، إلى أن بُعث محمد ﷺ، فصارت الشريعة شريعته الباقية التي لاتنسخ، ولا تبدل، ولا تغير.

وكل الأنبياء والمرسلون اتفقوا على توحيد الله والنهي عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] كل الأنبياء يأمرون بعبادة الله وترك عبادة ما سواه، يأمرون بالتوحيد، وينهون عن الشرك، هذا عليه جميع الأنبياء عليهم السلام، ويعبدون الله بشرائعهم التي شرعها لهم في أوقاتهم.

وَإِنْ كَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَاجٌ. [١].

فَالشِّرْعَةُ هِيَ الشَّرِيعَةُ، [٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]، [٣].

الشرح:

[١] ما دام أنه شرع لله، فإن التمسك به عبادة لله، إلى أن ينسخ، فإذا نسخ، يترك العمل بالمنسوخ، ويؤخذ بالناسخ، فعبادة الله هي العمل بالشريعة في وقتها قبل أن تنسخ، فإذا نسخت، ينتقل إلى الناسخ، ويترك المنسوخ؛ لأن الأمر أمر الله ﷻ.

[٢] شرعة يعني: شريعة، فالأنبياء لهم شرائع يختلف بعضها عن بعض، ولكن ما دامت الشريعة لم تنسخ، فإنه يجب العمل بها، والعمل بها عبادة لله ﷻ. والشريعة للماء، يقال لمورد الماء: شريعة، شريعة الماء يعني: مورد الماء، الشرعة(١).

[٣] فأخبر أن الله جعل للأنبياء السابقين شرائع، وجعل لمحمد ﷺ

---

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢): «(شَرَعَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّرِيعَةُ، وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الْمَاءَ. وَاشْتُقَّ مِنْ ذَلِكَ الشِّرْعَةُ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ». وانظر مادة (شرع) في لسان العرب (٨/ ١٧٥).

شريعة، وأمره باتباعها هو ومن آمن به. فمن لم يتبع شريعة محمد ﷺ، فهو متبع لهواه، ما يقول: أنا متبع لموسى أو لعيسى، بل هو متبع لهواه؛ لأن شريعة موسى وعيسى عليهما السلام قد انتهت، ونسخت، فهذا متبع لهواه، قال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠]، فالذي لا يتبع الرسول محمدًا ﷺ متبع لهواه، وإن قال: إنه متبع لموسى أو لعيسى عليهما السلام، فهو كذاب؛ لأن موسى وعيسى وجميع الأنبياء حثوا على اتباع محمد ﷺ إذا بعث، حتى إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء أنفسهم - كما سبق - أنه إذا بعث محمد ﷺ، ومنهم أحد حي، لابد أن يتبعه، أن يتبع محمدا ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ﴾ [آل عمران: ٨١]، أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يتبعوا محمدا ﷺ إذا بعث، فكيف بغير الأنبياء؟! ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] الظالمون بعضهم أولياء بعض؛ كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩] يسلط الله الظلمة بعضهم على بعض، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أما المؤمنون، فإن الله هو وليهم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وَ«الْمِنْهَاجُ» هُوَ الطَّرِيقُ؛ [١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧]. [٢].

الشرح:

[١] الشريعة: هي الملة، والمنهاج: هو الطريق الذي يسير عليه الإنسان في دينه.

[٢] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾؛ أي: على الطريق الصحيح الموصل إلى الله، لسقاهم الله المطر، وأنزله عليهم في حينه وفي أوقاته؛ ماء غدقا، ولكن انحباس المطر إنما هو بذنوب بني آدم، يحبس الله المطر بسبب ذنوب بني آدم، الشاهد من قول: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: ١٦]؛ أي: على المنهج الرباني.

فَالشِّرْعَةُ بِمَنْزِلَةِ الشَّرِيعَةِ لِلنَّهْرِ، وَالْمِنْهَاجُ هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي سَلَكَ فِيهِ، وَالْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ هِيَ حَقِيقَةُ الدِّينِ، وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهِيَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ، [١].

الشرح:

[١] عبادة الله وحده لا شريك له هي حقيقة دين الإسلام، الذي هو دين جميع الأنبياء، ولهذا قال ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١)؛ مثل الإخوة من الأب: أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، فدين الأنبياء واحد، وهو الإسلام، وإن اختلفت شرائعهم التي شرع الله لهم؛ لأن الله يشرع لكل أمة ما يناسبها في وقتها، كل أمة يشرع الله لها ما يناسبها في وقتها، ثم ينسخ الله ذلك بما يناسب الوقت المستقبل وهكذا، إلى أن بُعث محمد ﷺ، فشرع الله له دين الإسلام، الذي جاء به محمد ﷺ، وهو الصالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، لايستسلم لغير الله، فمن استسلم لله وحده، فهو المسلم حقا، ومن استسلم لله ولغيره، فهو مشرك، ومن لم يستسلم لله، فهو ملحد ومستكبر.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٧٧).

وَهُوَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ الْعَبْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَسْتَسْلِمُ لِغَيْرِهِ، فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، وَاللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِلَّهِ بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ كَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، **وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، [١] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [آل عمران: ٨٥]، **عَامٌّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.**

فَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَالْحَوَارِيُّونَ كُلُّهُمْ دِينُهُمْ الْإِسْلَامُ، الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، [٢].

الشرح:

[١] الذي معناه التوحيد وإخلاص العبادة لله هذا دين جميع الأنبياء وأتباعهم، كلهم على إخلاص العبادة لله، وتجنب الشرك بالله ﷻ، وسيذكر الشيخ آيات من القرآن تدل على هذا.

[٢] الذي هو التوحيد، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾، الذي هو التوحيد وتجنب الشرك، هذا هو الإسلام.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾، **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢]، [١] **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠- ١٣٢] [٢]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

وَقَالَ السَّحَرَةُ: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]. [٣].

الشرح:

[١] فهذا نوح أول الرسل عليه السلام قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، فهو مسلم.

[٢] فهذا إبراهيم عليه السلام مسلم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١ - ١٣٢]، فذرية إبراهيم ويعقوب مسلمون.

[٣] هؤلاء قوم موسى عليه السلام، الذين آمنوا به مسلمون.

والسحرة الذين جاء بهم فرعون؛ ليقابلوا معجزات موسى عليه السلام، لما تبين

لهم أن ما مع موسى وهارون ليس سحرا، وإنما هو معجزة؛ لأنها لا صنع للبشر فيها، ليست سحرا، فلما تبين لهم هذا، قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، لما هددهم فرعون بالقتل والصلب، ما بالَوا بهذا، قالوا: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢-٧٣]، فقتلهم، ونفذ فيهم، لكنهم ماتوا مسلمين تائبين.

وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. [١].

وَقَالَتْ بِلْقِيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. [٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]. [٣].

الشرح:

[١] يوسف عليه السلام بعدما جرى عليه من المحن، وما أكرمه الله به في النهاية من الملك، واجتماع الشمل، شكر الله على ذلك: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، سأل الله حسن الخاتمة، وأن يتوفاه الله مسلما، فدل على أن يوسف عليه السلام أيضا مسلم.

[٢] بلقيس ملكة اليمن، في ديار سبأ، وكان لها مع سليمان عليه السلام قصة ذكرها الله في سورة النمل، انتهى أمرها بأنها لما رأت ما أعطى الله سليمان عليه السلام من النبوة والرسالة، أعلنت إسلامها، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]

[٣] التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، والتوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، وهي كتاب عظيم، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، النبيون الذين جاءوا من بعد موسى يحكمون بالتوراة؛ أنبياء بني إسرائيل ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ

ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾، فدل على أن أنبياء بني إسرائيل يسمون مسلمين.

﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، النبيون يحكمون بين اليهود بالتوراة.

وَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] [١].

فَدِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ؛ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّا مَعْشَرُ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»(١). [٢].

الشرح:

[١] لما عيسى عليه السلام قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٥٢]، لما تطاول عليه الكفار، وضايقوه، قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾، وهم تلاميذه وأتباعه: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣]، فأتباع عيسى عليه السلام مسلمون.

[٢] انظر: (وَإِنْ تَنَوَّعَتْ)؛ لأنها شرائع الله، وأوامر الله سبحانه وتعالى، فمن أطاع الله وفق شريعة من الشرائع في وقتها قبل أن تنسخ، فإنه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

«الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، [١].

الشرح:

[١] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾، وهو التوحيد، ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ أول الرسل ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، هؤلاء الخمسة هم أولو العزم، فدينهم واحد، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾، فدينهم واحد عليهم السلام، وهو التوحيد، وترك الشرك والابتعاد عنه.

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾، هذا ما أوصاهم الله به: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ وهو التوحيد، وعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، ثم قال: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ العقيدة لا يجوز الاختلاف فيها، ولا التفرق فيها، لا يجوز هذا؛ العقيدة واحدة، وهي إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، المشرك ينفر من التوحيد، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]، وهذه الحقيقة مشكلة؛ لأن بعض الناس الآن يكره ذكر التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، ويقول:

(١) سبق تخريجه (ص ٧٧).

لا تنفروا الناس بالتوحيد بالعقيدة، هذا خطر عظيم، الذي يكره التوحيد عليه خطر عظيم، يكون من الكفار: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، فلا يكره التوحيد من في قلبه إيمان.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣]. [١].

الشرح:

[١] الشاهد في قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾، فدين الأنبياء واحد، وهم أمة واحدة، كلهم على التوحيد والإيمان بالله، فهم أمة واحدة من أولهم إلى آخره.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أمرهم الله أن يكونوا أمة واحدة على التوحيد والإيمان، ولكنهم اختلفوا وتفرقوا، ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ﴾؛ كتبًا، كل واحد عنده كتب ومؤلفات تخالف ما عليه الآخر، ويرد على الآخر، ويكفر الآخر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا ما حذر الله منه: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾، هذه المشكلة أيضًا، يمكن أن يقع الاختلاف، لكن إذا حصل الاختلاف، فالإنسان ما يجزم أنه على صواب، وأن مخالفه على خطأ، ما يجزم بهذا، بل يحتمل العكس، يحتمل أن مخالفه هو المحق، وأنه هو على خطأ، أما إذا جزم أنه على حق، وأن مخالفه مخطئ، فهذه مصيبة؛ لأنه لا يرجع، أما الأول يمكن يرجع، لكن الذي يجزم أنه على صواب، وأن مخالفه على خطأ، هذا لا يرجع؛ ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

فَصْلٌ

وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، [١].

الشرح:

[١] اتفق المسلمون والسلف الصالح وأئمة الهدى وسائر أهل السنة أن أفضل أولياء الله هم الأنبياء، وأنهم أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، فلا أحد يساوي النبيين في منزلتهم عند الله ﷻ؛ لأن النبوة لا يعدلها شيء من الفضائل، ثم يأتي من بعد الأنبياء الصديقون: جمع صِدِّيق، وهو الكثير الصدق، الذي لا يصدر عنه كذب؛ كما قال ﷺ: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا**»(١)، فالصديق هو كثير الصدق، الذي يقول الصدق ويتحراه، يتحرى الصدق فيما يبلغه، وفيما يسمعه، يتحرى الصدق، فلا يخبر إلا بما رآه صدقا، فهو يحب الصدق دائما مع الله، والصدق مع الخلق، هذا هو الصديق، ثم من بعده الشهداء، ثم من بعد الشهداء بقية المؤمنين؛ كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، هذه مراتب أهل الفضل في هذه الأمة: الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، وأما عند الصوفية فعندهم ينقسم الأولياء إلى خاتم الأولياء

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وغيره، فعندهم أفضل الأولياء: خاتمهم، فهو أفضل من بقية الأولياء، ومنهم من يغلو، فيقول: الأولياء أفضل من الأنبياء، خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء - كما يأتي -، هذه طريقة الصوفية؛ أنهم يغلون في الأولياء، حتى إن منهم من يفضلهم على الأنبياء - والعياذ بالله-، ولهذا يقول شاعرهم(١):

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ... فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

فصار الولي عندهم فوق الرسول، وهذا أعظم الضلال - والعياذ بالله -؛ لأنهم يقولون: إن الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه النبي، فيفضلون الولي، النبي يأخذ بواسطة: بالملك، وأما الولي، فهو يأخذ مباشرة عن الله ﷻ، بدون واسطة، فيزعمون لأوليائهم أنهم يجالسون الله ﷻ، وأن الله يعطيهم من العلم مباشرة، هذا كله نتيجة - العياذ بالله - الضلال، واتباع الشيطان، والإعراض عن الكتاب والسنة.

والصحيح أن الأنبياء أولياء، لكنهم أفضل الأولياء.

---

(١) قائل هذا البيت هو ابن عربي كما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة (٨/ ٢٢)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٥٥٦).

وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ عِبَادَهُ السُّعَدَاءَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]. [١].

وَفِي الحديث: «مَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»(١). [٢].

الشرح:

[١] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، من هم المنعم عليهم؟ ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ أربع مراتب: الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، هذه مراتب المؤمنين عند الله ﷻ.

[٢] هذا الحديث يدل على فضيلة أبي بكر، وأنه أفضل الخلق بعد النبيين، ولكن هذا الحديث فيه مقال، ولكن أبا بكر الصديق ؓ ثبتت فضائله في نصوص كثيرة:

* من القرآن قوله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، فصاحبه هو أبو بكر ؓ ثاني اثنين: الرسول

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (ص١٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٥)، وابن حبان في الثقات (٧/ ٩٤)، وزاد: (وعمر)، والخطيب في تاريخه (١٢/ ٤٣٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٠٨)، وزاد: (وعمر)، والواسطي في تاريخه (ص ٢٤٨).

وأبو بكر، رفيقه في الهجرة، ورفيقه بعد البعثة في مكة، فكان ملازما للرسول ﷺ، من بعثته إلى أن توفاه الله، وقال ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[(١)] فهذا يدل على فضله، وأنه أفضل الصحابة.

* ولما مرض ﷺ، عهد إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فراجعته عائشة رضي الله عنها في أن يأمر عمر رضي الله عنه؛ لأنه أرفع صوتا من أبي بكر رضي الله عنه، فغضب ﷺ عليها، قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[(٢)]، فهذا دليل على فضل أبي بكر رضي الله عنه، ومناقبه كثيرة، فهي تعضد هذا الحديث؛ لأن أبا بكر هو أفضل الخلق بعد النبيين، وهذا مثل قوله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وأبو بكر رضي الله عنه من الصديقين.

* والله ﷻ وصف أبا بكر بأنه من أولي الفضل في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢]، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان قريبا له، بسبب أنه تكلم مع الذين تكلموا في الإفك، فحلف ألا ينفق عليه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[(٣)]، يأتل يعني: يحلف، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٣٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٧، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٢٥٨٨، ٣٠٩٩، ٣٣٨٤، ٤٤٤٢، ٤٤٤٥، ٥٧١٤)، ومسلم (٤١٨، ٤٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري مطولا (٢٥٩٣، ٢٦٣٧، ٢٦٦١، ٢٦٨٨، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٤٧٤٩، ٤٧٥٠، ٤٧٥٧، ٥٢١٢، ٦٦٦٢، ٦٦٧٩، ٧٣٦٩، ٧٣٧٠، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢٢]، فأثنى على مسطح؛ لأنه من المهاجرين في سبيل الله، وإن كان حصل منه من الخطأ ما حصل، لكن هذا لا يلغي فضيلته، وأمر أبا بكر أن يعيد عليه النفقة، الشاهد قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾، فوصف أبا بكر بأنه من أولي الفضل، وهذا وصف من الله ﷻ في كتابه لهذا الرجل العظيم.

* يكفيك أنه لما مات النبي ﷺ، وارتد كثير من العرب، من الذي وقف في وجوه أهل الردة، وثبت الله به الإسلام؟ هو أبو بكر ﵁.

* ولما مات الرسول ﷺ، وارتجف الصحابة، وأصابتهم مصيبة، حتى فقدوا توازنهم عند المصيبة إلا أبا بكر ﵁؛ لقوة إيمانه، فإنه ثبت، وأخبرهم أن النبي ﷺ قد مات، وقال: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ**»(١)، فثبت في هذه الحادثة العظيمة ثبات الجبال، فله مواقف ﵁ لم يقفها غيره من الصحابة، فدل على فضله؛ ولذلك كان الصحابة يعترفون له بالفضل، ويقدمونه.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٨).

وَأَفْضَلُ الْأُمَمِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، [١] قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]. [٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ: «أَنْتُمْ تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»(١). [٣].

الشرح:

[١] فأفضل الأمم أمة محمد ﷺ، وذلك في قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فوصفهم الله بأنهم خير أمة أخرجت للناس في الأولين والآخرين، وأفضل هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة أبو بكر ﷺ، ثم بقية الخلفاء الراشدين، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة.

[٢] يعني: القرآن. ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾، فهذا فيه فضل هذه الأمة؛ أن الله اصطفاه، ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ فهي مصطفاة، مختارة من الله ﷻ، هذا يدل على فضل هذه الأمة.

[٣] وهذا الحديث يدل على فضل هذه الأمة، وأن ذلك يظهر يوم القيامة إذا اجتمعت الأمم، سبعون أمة هذه الأمة هم خيرها، وأكرمها على الله ﷻ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨).

وَأَفْضَلُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقَرْنُ الْأَوَّلُ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ﷺ»(١)، وَهَذَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ. [١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْهُ ﷺ أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(٢). [٢].

الشرح:

[١] أفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول، وهم الصحابة الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، وصحبوه، وتعلموا منه، وجاهدوا معه، ثم من بعدهم القرن الثاني، وهو جيل التابعين، الذين تتلمذوا على صحابة رسول الله ﷺ، ثم من بعدهم الجيل الثالث، وهم أتباع التابعين، الذين تعلموا على التابعين، هذه خير القرون، «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»؛ شهادة الرسول ﷺ للقرون المفضلة من هذه الأمة.

[٢] وهذا الحديث فيه فضل الصحابة، والنهي عن تنقصهم، وسبهم، «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، وهذا فيه تشريف لهم؛ أن الرسول ﷺ سماهم أصحابه ونهى عن سبهم، وبين ﷺ ما لهم من الفضل، فقال: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

أُحُدٍ ذَهَبًا»؛ أنفقه في سبيل الله، «مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»، وهو ربع الصاع الذي يتصدق به الصحابي، ما بلغ أحدكم مد أحدهم، ولا نصيفه، ولا نصف المد أيضا، كفى بذلك فضلا لهم ﷺ.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، [١].

الشرح:

[١] السابقون الأولون أفضل من بقية الصحابة، والسابقون الأولون هم الذين أسلموا قبل الفتح، هؤلاء هم السابقون الأولون، فهم أفضل ممن أسلموا بعد الفتح (فتح مكة)، والمراد به هنا صلح الحديبية؛ لأن صلح الحديبية مقدمة لفتح مكة، وسماه الله فتحا، وأنزل الله فيه سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، وهو صلح الحديبية، وأما قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١]، فالمراد به فتح مكة.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ وكلا وعد الله الحسنى: الذين أسلموا قبل الفتح والذين أسلموا بعد الفتح، ولكن الذين أسلموا قبل الفتح أفضل. والإسلام دين العدل، وينزل الناس منازلهم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، [١].

الشرح:

[١] وهم الذين أسلموا قبل الفتح، ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾؛ اتبعوا السابقين الأولين، ﴿بِإِحْسَـٰنٍ﴾ يعني: بإتقان، أما من ينتسب إليهم، وهو لم يتبعهم بإحسان، فهذا لا يحصل على هذا الفضل؛ لأن هناك من ينتسب إلى السلف وهو لا يعرف من هذا السلف، بل يلصق بالسلف ما لم يكن من منهجهم: من الغلو، والخروج على ولاة الأمور، وغير ذلك، فيلصق بالسلف ما ليس من منهجهم، فهذا لم يتبعهم بإحسان، بل الذي يتبعهم بإحسان هو الذي عرف منهجهم، واتبعه من غير غلو، ومن غير تساهل، هذا هو المحسن، ليس فيه غلو، وليس فيه تساهل وإضاعة، ما كل من قال: أنا من السلف، أو أنا على منهج السلف، يكون صحيحا، حتى يفهمه أولا، ثم يمشي عليه ثانيا، ولا يتجاوزه بإفراط أو تفريط، هذا هو الذي اتبعهم بإحسان.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ: صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ فَتْحِ مَكَّةَ، [١] وَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١، ٢]، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَفَتْحٌ هُوَ؟! قَالَ: «نَعَمْ»(١) [٢].

الشرح:

[١] هو كان مقدمة لفتح مكة، صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة، وهو في السنة السابعة من الهجرة، وبعده غزا رسول الله ﷺ خيبر، فتحها الله عليه، ثم في السنة الثامنة فتح الله مكة لنبيه محمد ﷺ، دخل الناس في دين الله أفواجا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ [النصر: ١-٢]، جاءت الوفود من القبائل إلى رسول الله ﷺ تبايعه، وتعلن إسلامها بعد فتح مكة.

[٢] مع أن صلح الحديبية لم يظهر لبعض الصحابة ﷺ أو لكثير من الصحابة ﷺ أنه من مصلحة المسلمين، بل كانوا متضايقين منه؛ كعمر بن الخطاب ﷺ وغيره، كانوا متضايقين من صلح الحديبية، ويرون أن فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم(١٧٨٥) بلفظ: «فَنَزَلَ الْقُرْآنُ على رسول اللَّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إلى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ أو فَتْحٌ هو؟ قال: نعم. فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ».

هضما للمسلمين وعزًّا للكفار، بينما الواقع خلاف ذلك، فصار فتحا مبينا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، وإن كان فيما يظهر لبعض الصحابة أنه هضم للمسلمين، وانتصار للكفار، لكن الحقيقة بالعكس؛ أنه هضم للكفار، ونصر للمسلمين؛ لأن الحرب وضعت أوزارها، وارتفعت سلطة الكفار عن القبائل، فصار من يريد الإسلام يسلم، ولا يخاف، وارتفعت يدهم عمن يريد الهجرة، فكانوا ينطلقون من مكة مهاجرين آمنين، بينما كانوا في الأول يخرجون مختفين، وعلى خطر، وعلى خوف؛ فهو عظيم، وأيضا صار ممهدا لفتح مكة.

وَأَفْضَلُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، [١] وَأَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَئِمَّةِ الْأُمَّةِ وَجَمَاهِيرِهَا، [٢] وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ دَلَائِلُ بَسَطْنَاهَا فِي: «مِنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي نَقْضِ كَلَامِ أَهْلِ الشِّيعَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ»(١). [٣].

الشرح:

[١] أفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم أصحاب بدر، أصحاب بيعة الرضوان، كلهم أهل فضائل، فضائل إلى فضائل، ما بالك بالذي جمع هذه الفضائل كلها، جمع الأسبقية في الدخول في الإسلام، وهاجر في سبيل الله، وشهد بدرا، وشهد فتح مكة، وشهد المغازي مع رسول الله ﷺ كلها، ماذا يكون فضله؟

[٢] هذا لا خلاف فيه بين أهل السنة: أن أفضل الصحابة، بل أفضل الأمة أبو بكر، ثم عمر، لا أحد ينازع في هذا من أهل السنة، واختلفوا في الثالث: هل هو عثمان أو علي؟ اختلفوا في هذا، والراجح أنه عثمان رضي الله عنه؛ لأن الصحابة اختاروا عثمان، حتى علي رضي الله عنه هو ممن اختار عثمان رضي الله عنه في أصحاب الشورى، اختاروا عثمان رضي الله عنه، ما اختاروه إلا لأنه أفضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٢١٤- ٢٩٨).

[٣] لا يخالف فيه إلا أهل الضلال، لا يخالف في هذا إلا أهل الضلال من الشيعة وغيرهم. وكتاب المنهاج في الرد على الحلي الشيعي (منهاج الكرامة)، سمى كتابه: منهاج الكرامة في الإمامة، فرد عليه شيخ الإسلام بكتاب (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، وهناك اسم آخر: (منهاج الاعتدال في الرد على أهل الرفض والاعتزال)؛ لأنه رد على الشيعة وعلى المعتزلة.

وَبِالْجُمْلَةِ اتَّفَقَتْ طَوَائِفُ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَاحِدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ(١)، [١] وَلَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّحَابَةِ، [٢].

الشرح:

[١] لكن الشيعة يقولون: عليٌّ هو أفضل بعد الرسول، وأهل السنة يقولون: أبو بكر، وأبو بكر وعلي كلاهما من الخلفاء الأربعة.

[٢] هذه قاعدة، لا يكون من بعد الصحابة ﭬ أفضل من الصحابة ﭬ أبدا، مهما بلغ من العلم والفضل، فإنه لا يصل إلى مرتبة الصحابة ﭬ؛ لأن الصحابة ﭬ يمتازون بصحبة الرسول ﷺ، وهذه مرتبة لا ينالها غيرهم، أما من جاء بعدهم، فإن كان لهم فضل وعلم وعمل، لكن يفقد صفة الصحبة للرسول ﷺ؛ فهم أفضل القرون.

---

(١) انظر: فضائل الصحابة (١/ ٣٠٣)، والسنة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٢)، والجواب الصحيح (٢/ ٤٠١).

وَأَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُهُمْ مَعْرِفَةً بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَاتِّبَاعًا لَهُ، [١] كَالصَّحَابَةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ الْأُمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ دِينِهِ وَاتِّبَاعِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَكْمَلُ مَعْرِفَةً بِمَا جَاءَ بِهِ وَعَمَلًا بِهِ، فَهُوَ أَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. [٢].

الشرح:

[١] أفضل الأولياء أعظمهم معرفة لما جاء به الرسول ﷺ، وأعظمهم اتباعا له، هذا هو أفضل الأولياء، لا كما تقول الصوفية: أفضل الأولياء خاتم الأولياء. وبعضهم يقول: خاتم الأولياء أفضل من الرسل.

[١] أبو بكر رضي الله عنه لازم النبي ﷺ من بعثته إلى وفاته، وأنفق ماله في سبيل الله، حتى إنه لا يدخر لنفسه شيئا، بل ينفق ماله، وما وصل إليه من المال في سبيل الله، ودخل معه الغار، وهاجر معه رضي الله عنه، ولما توفي الرسول ﷺ، وحصل للمسلمين هذا الارتجاج بسبب عظم المصيبة، ثبت أبو بكر رضي الله عنه، وثبتهم على هذه المصيبة واحتساب الأجر وعدم الجزع، ثبتهم رضي الله عنه، وخطب فيهم، حتى أن عمر رضي الله عنه أقر له في هذا الموقف، في هذا الموقف المخيف، ثم لما ارتدت العرب، هو الذي وقف رضي الله عنه، حتى ثبت الله به الإسلام، وكان الصحابة يلومونه، يقولون: كيف تقاتلهم، وهم يشهدون ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؟! فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الرسول ﷺ قال: «**مَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهَا**»، وإن الزكاة من حقها، «**وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا، كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى**

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، **لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا**»(١)، فبذلك وطد الله الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، وهزم المرتدين والمنافقين، وثبت الله الإسلام بأبي بكر رضي الله عنه، فهذه مواقف عظيمة، مواقف الجبال الرواسي عند الشدائد، لم يقفها إلا أبو بكر؛ لقوة إيمانه، وصدق يقينه رضي الله عنه، وصبره على المحن والمصائب. حتى في الحديبية لما استشكل الصحابة الصلح، حتى أن عمر ذهب إلى أبي بكر، قال له: «**يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَلَيْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الذِّلَّةَ فِي دِينِنَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عُمَرُ الْزَمْ غَرْزَهُ حَيْثُ كَانَ؛ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ**»(٢) فهذا موقف أبي بكر أيضا من صلح الحديبية، لم يحصل عنده أي تردد أو أي إشكال؛ لقوة إيمانه أنه رسول الله ﷺ، وأنه لا يمكن أن يقدم على شيء إلا بأمر الله تعالى، فلا اعتراض أبدا، ولا استشكال.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٣) من حديث الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ رضي الله عنهما.

إِذَا كَانَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلَ الْأُمَمِ، وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ. [١].

وَقَدْ ظَنَّ طَائِفَةٌ غَالِطَةٌ أَنَّ خَاتَمَ الْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلُ الْأَوْلِيَاءِ، قِيَاسًا عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، [٢].

الشرح:

[١] فضائل بعضها فوق بعض، الله ﷻ يعطي فضله من يشاء ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الرسل بعضها أفضل من بعض، كيف بغيرهم؟!

[٢] لما بين منهج أهل السنة والجماعة في الأولياء، انتقل إلى بيان منهج الصوفية -أهل الضلال- في الأولياء، فمنهم من يقول: خاتم الأولياء -وهو آخرهم- أفضل من بقية الأولياء، وإن كانوا أسبق منه، وهذا ضلال، وأشد من هذا من قالوا: إن خاتم الأولياء أفضل من الرسل، هذا أشد في الكفر والعياذ بالله.

يقولون: كما أن خاتم الأنبياء محمد ﷺ أفضل ممن سبقه من الأنبياء فكذلك خاتم الأولياء أفضل ممن سبقه من الأولياء.

وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْ الْمَشَايِخِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِخَاتَمِ الْأَوْلِيَاءِ [١] إِلَّا مُحَمَّدُ ابْنُ عَلِيٍّ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ(١)، [١].

الشرح:

[١] خاتم الأولياء هذا مُحْدَثٌ، العباد والصوفية الأولون وأهل الزهادة والنسك ما تكلموا بهذا، إنما تكلم بهذا المتأخرون من مشايخ الصوفية، فابتكروا قضية خاتم الأولياء.

[٢] الحكيم الترمذي هذا عالم من العلماء، لكنه عنده تصوف، وعنده فلسفة أيضا، وله شطحات، وهو مؤلف (نوادر الأصول في الحديث)، فهو صوفي وعالم، ولكنه داخله شيء من الفلسفة ومن التصوف، حتى صار حوله كلام في فضله وفي مكانته. وهو الذي ابتكر هذه المسألة، فجعل للأولياء خاتما، هو أفضلهم؛ كما جعل الله للأنبياء خاتما، هو أفضلهم، وهو محمد ﷺ.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، له حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوة بدت منه. قاله الذهبي. انظر: طبقات الصوفية (ص٢١٧)، وصفة الصفوة (٤/ ١٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٩).

فَإِنَّهُ صَنَّفَ مُصَنَّفًا(١) غَلِطَ فِيهِ فِي مَوَاضِعَ، ثُمَّ صَارَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يَزْعُمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ، [١] وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ خَاتَمَ الْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، [٢].

الشرح:

[١] لما وجدت هذه الوظيفة، كل واحد يدعيها، وهي أصلها باطلة، أصلها خرافة، لكن صار كل واحد يدعي أنه خاتم الأولياء، من أجل أن يحوز على هذا الفضل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ليست للمتقدم ولا للمتأخر، وإنما هذا فضل يؤتيه الله من يشاء.

[٢] هذه المشكلة، هذا أعظم ضلالا، بل هذا كفر بالله -نسأل الله العافية-، ولكن الذي فتح هذا الباب هو الحكيم الترمذي.

لأنهم يقولون: إنه يأخذ عن الله مباشرة، بخلاف الأنبياء؛ فإنهم يأخذون عن الله بواسطة الملك، وأما الأولياء، فهم يجالسون الله ﷻ، والله يعلمهم، فهم يتعلمون على الله!!! انظر الضلال أين يصل بالإنسان!!!

---

(١) قال أبو عبدالرحمن السلمي: أخرجوا الحكيم من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر؛ وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، وكتاب «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يقول إن للأولياء خاتمًا كالأنبياء لهم خاتم، وإنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: «يغبطهم النبيون والشهداء»، فقدم بلخ، فقبلوه لموافقته لهم في المذهب.
انظر: طبقات الصوفية (ص٢١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤١).

وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَسْتَفِيدُونَ الْعِلْمَ بِاللَّهِ مِنْ جِهَتِهِ، [١] كَمَا يَزْعُمُ ذَلِكَ ابْنُ عَرَبِيٍّ(١) صَاحِبُ كِتَابِ: «الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ»(٢)، وَكِتَابِ: «الْفُصُوصِ»(٣)، [٢].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها، وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين، وارتحل إلى بلاد الشام، ثم أقام بمكة مدة، صنف فيها كتابه «الفتوحات المكية» وله كتاب مسمى بـ «فصوص الحكم»، فيهما أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٨)، والبداية والنهاية (١٣/١٥٦).

(٢) كتاب الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية لابن عربي، وهو من أكبر كتبه وآخرها تأليفًا، قضى في وضعه ثلاثين سنة أو أكثر، قال فيه: كنت نويت الحج والعمرة، فلما وصلت أم القرى، أقام الله ﷻ في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي، وكان الأغلب هذه منها ما فتح الله ﷻ علي عند طوافي ببيته المكرم. وقال في الباب الثامن والأربعين: واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختياري ولا عن نظر فكري، وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلامًا بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده، وذلك شبيه بقوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاة. وقال: واعلم أن جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه. انتهى. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٢٣٨)، والكتاب مطبوع في أربع مجلدات بمطبعة دار الكتب العربية.

(٣) كتاب فصوص الحكم لابن عربي. قال عنه الذهبي في الميزان (٦/ ٢٧٠): وكذلك من أمعن النظر في فصوص الحكم، أو أنعم التأمل، لاح له العجب؛ فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه، فهو أحد رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون أن هذه النحلة من أكفر الكفر، نسأل الله العفو، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، =

الشرح:

[١] حتى إنه يقول: إن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهة خاتم الأولياء، الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهة خاتم الأولياء، لماذا؟ لأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة، فالأنبياء يستفيدون منه.

[٢] ابن عربي الطائي الحاتمي الذي وصل به الضلال والكفر إلى وحدة الوجود، يقول بوحدة الوجود - والعياذ بالله -، وأنه ليس هناك خالق ومخلوق، بل الوجود كله هو الله، والذي يقول: هناك خالق ومخلوق. هذا مشرك عند ابن عربي، انتهى به الضلال إلى هذا الحد، الوجود كله هو الله، وليس هناك انقسام بين خالق ومخلوق.

= فوالله لأن يعيش المسلم جاهلًا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئًا سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات، ويؤمن بالله وباليوم الآخر، خير له بكثير من هذا العرفان، وهذه الحقائق، ولو قرأ مائة كتاب، أو عمل مائة خلوة. اهـ. والكتاب مطبوع في مجلد واحد سنة ١٣٦٥هـ بدار إحياء الكتب العربية، مع تعليقات لأبي العلا عفيفي.
وانظر كشف الظنون (٢/ ١٢٦١).

فَخَالَفَ الشَّرْعَ وَالْعَقْلَ مَعَ مُخَالَفَةِ جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ [١] كَمَا يُقَالُ لِمَنْ قَالَ: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ تَحْتِهِمْ: لَا عَقْلَ وَلَا قُرْآنَ. [٢] ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ فِي الزَّمَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، [٣].

الشرح:

[١] قال مقالة لم يقلها أحد ممن سبقه وممن يأتي بعده، وهو القول بأن الأولياء مشايخ للرسل، وأن الرسل يأخذون منهم.

[٢] يقال: إن قارئا يقرأ: فخر عليهم السقف من تحتهم، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، فقالت له امرأة أعرابية: انظر في القرآن: السقف من فوق، وليس من تحت، السقف لا يكون من تحت أبدا، فلا عقل ولا قرآن، القرآن ليس هكذا، وهو ليس عنده عقل يميز أن السقف يكون فوق، وليس أسفل من تحت، فهذا مثل ابن عربي الذي يقول: إن الرسول يأخذ من الولي، يأخذ الأعلى ممن تحته. ضروري أن تعرفوا هذه الأمور؛ لأن هؤلاء استفحل أمرهم في هذا الزمان، وصاروا يمثلون المسلمين والإسلام عند كثير من الناس، وعند كثير من الدول، فلابد من معرفة حقيقتهم.

[٣] الأنبياء أسبق في الزمان من الأولياء، والأولياء جاؤوا من بعدهم. فكيف يكون السابق يأخذ عن اللاحق؟! هذا لا يقوله عقل، هذا مثل من يقول: خر عليهم السقف من تحتهم.

وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَام أَفْضَلُ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ، [١] فَكَيْفَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ؟ وَالْأَوْلِيَاءُ إِنَّمَا يَسْتَفِيدُونَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ وَيَدَّعِي أَنَّهُ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ؟! [٢] وَلَيْسَ آخِرُ الْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلَهُمْ كَمَا أَنَّ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُهُمْ؛ [٣].

الشرح:

[١] الأنبياء أفضل من الأولياء، فكيف بالرسل عليهم السلام؟! الرسل أفضل من الأنبياء.

[٢] كيف أن الأولياء يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم، هل يعقل أن المتقدم يستفيد من المتأخر بأزمان وقرون؟! هذا لا يقوله عاقل.

[٣] هذه المسألة منازع فيها أيضا، ليس خاتم الأولياء - على القول بوجوده، مع أنه فرضي، وليس بحقيقي، لكن على القول بوجوده - ليس هو أفضل ممن سبقه من الأولياء، بل الذين سبقوه أفضل منه.

فالقياس هذا باطل، يقولون: إن آخر الأولياء هو أفضلهم؛ كما أن آخر الأنبياء - وهو محمد ﷺ - هو أفضلهم، هذا قياس باطل، فرق بين الولي والرسول، فرق كثير بين الولي والرسول، فهو قياس مع الفارق.

فَإِنَّ فَضْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»(١)، [١] وَقَوْلِهِ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٢). [١].

الشرح:

[١] قوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» جميعا، وفيهم الرسل عليهم السلام «**وَلَا فَخْرَ**»؛ يعني: أنه لم يخبر بهذا من باب الافتخار، وإنما هو من باب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى.

[٢] فهذا يدل على أنه أفضل الخلق ﷺ؛ لأنه أول من يستفتح باب الجنة، ولم يؤذن للملك الخازن للجنة أن يفتح لأحد قبل محمد ﷺ، فهذا دليل على فضله ﷺ، وهذا ثبت بالأدلة، لا بالادعاء - كما تقوله الصوفية لخاتم الأولياء -، فثبت بالأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) بلفظ: «**أنا سَيِّدُ الناس يوم الْقِيَامَةِ**»، ومسلم (٢٢٧٨) بلفظ: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ**»، وأخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨) بلفظه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧).

وَلَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فَوْقَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ،[١] فَكَانَ أَحَقَّهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، [٢].

الشرح:

[١] حتى تجاوز السبع الطباق في المعراج إلى السماء ليلة المعراج، وهذه مرتبة لم يصلها النبيون؛ لأن الأنبياء في السماوات، كلما يأتي إلى سماء يمر على من فيها من الأنبياء، حتى جاوز السماوات السبع، فصار فوق الأنبياء.

[٢] الله يفضل بعض الخلق على بعض: الرسل وغيرهم، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، وهو موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾؛ كما رفع محمدا ﷺ، ولكن - كما سبق - هذا إنما يذكر من باب البيان والشكر لله، ولا يذكر من باب المفاخرة وتنقص المفضول؛ ولهذا قال ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ**»(١)؛ يعني: مفاضلة فخر، وقال: «**لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»(٢)؛ مفاضلة الفخر.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٧٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ٧٩).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَأْتِيه الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ لَا سِيَّمَا مُحَمَّدٌ ﷺ، [١] لَمْ يَكُنْ فِي نُبُوَّتِهِ مُحْتَاجًا إِلَى غَيْرِهِ، [٢] فَلَمْ تَحْتَجْ شَرِيعَتُهُ إِلَى سَابِقٍ وَلَا إِلَى لَاحِقٍ، [٣] بِخِلَافِ الْمَسِيحِ أَحَالَهُمْ فِي أَكْثَرِ الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّوْرَاةِ وَجَاءَ الْمَسِيحُ فَكَمَّلَهَا؛ [٤].

الشرح:

[١] وميزة الأنبياء على غيرهم أنهم يأتيهم الوحي من الله ﷻ، وأما غيرهم، فلا يوحى إليه، لا يوحى إلا إلى الأنبياء، فهم أفضل الخلق؛ لاختصاصهم بتلقي الوحي من الله ﷻ.

[٢] فالأنبياء لا يحتاجون في نبواتهم إلى غيرهم؛ كما تقوله الصوفية من أنهم محتاجون إلى خاتم الأولياء، وأنهم يستفيدون منه، الرسل لا يحتاجون إلى غيرهم من الخلق؛ لأن الله أغناهم بالوحي المنزل عليهم، وأكملهم بذلك نبينا محمد ﷺ؛ فإن الله جعل شريعته ناسخة للشرائع قبلها، وأمر باتباعه وحده على جميع أهل الأرض من الجن والإنس.

[٣] شريعته ناسخة لما قبلها، لم تحتج إلى سابق من شرائع الأنبياء، ولا لاحق من خاتم الأولياء؛ كما يقولون.

[٤] المسيح عليه السلام رسول من الرسل، ولكنه لم ينزل عليه كتاب شريعة مستقل، وإنما كان يحكم بالتوراة التي أنزلها الله على موسى، إلا أنه نسخ شيئا من التوراة: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]،

وأما في الجملة، فإنه متبع للتوارة التي أنزلها الله على موسى، وكل أنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، النبيون من بني إسرائيل يحكمون بها، إنما جاء ﷺ بمكملات فقط، وأما الأصل، فهو التوراة.

وَلِهَذَا كَانَ النَّصَارَى مُحْتَاجِينَ إِلَى النُّبُوَّاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْمَسِيحِ؛ [١] كَالتَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ وَتَمَامِ الْأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ نُبُوَّةً، وَكَانَ الْأُمَمُ قَبْلَنَا مُحْتَاجِينَ إِلَى مُحَدَّثِينَ، [٢] بِخِلَافِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَاهُمْ بِهِ، فَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَهُ إِلَى نَبِيٍّ وَلَا إِلَى مُحَدَّثٍ؛ [٣].

الشرح:

[١] كان بنو إسرائيل محتاجين إلى التوارة التي نزلت على موسى عليه السلام، محتاجين إلى الأنبياء السابقين، بخلاف محمد ﷺ؛ فإن الله أعطاه شريعة كاملة، لا تحتاج إلى ما سبق، ولا إلى شيء يأتي.

[٢] يعني: ملهمين، محتاجين إلى ملهمين، المحدث هو الملهم.

[٣] أمة محمد أغناهم الله برسول الله ﷺ، وما أنزله الله عليه، فليسوا بحاجة إلى الأنبياء السابقين، وليسوا بحاجة إلى المحدثين الملهمين؛ فإن الشريعة كاملة من كل وجه، لم يحتاجوا بعده ﷺ إلى نبي إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الشريعة كافية شاملة، فليسوا بحاجة إلى نبي بعد الرسول؛ ولهذا قال ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي»(١)، فمن جاء يدعي النبوة، فهو كاذب وكافر، ومن صدقه، فهو كافر، من صدق المتنبئين بعد الرسول ﷺ، فهو كافر؛ لأن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين، وهذا بنص القرآن والسنة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي»، أما الأولياء، فإنهم لم يختموا، الأولياء إلى أن تقوم الساعة لم يختموا، كل من أطاع الله ورسوله واتقى الله، فإنه ولي لله ﷻ.

بَلْ جُمِعَ لَهُ مِنْ الْفَضَائِلِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا فَرَّقَهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، [١] فَكَانَ مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ اللَّهِ بِمَا أَنْزَلَهُ إلَيْهِ وَأَرْسَلَهُ إلَيْهِ لَا بِتَوَسُّطِ بَشَرٍ. [٢].

وَهَذَا بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إلَّا بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، [٣].

الشرح:

[١] نبينا محمد ﷺ جمع الله له من الفضائل والعلوم والمعارف ما فرقه في الأنبياء السابقين، فهذه الشريعة مشتملة على كل ما تحتاجه البشرية في كل زمان ومكان؛ لأن الله شهد لها بالكمال، فقال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والكامل لا يحتاج إلى غيره، لا من السابق ولا ومن اللاحق.

[٢] فالفضل الذي آتاه الله رسوله ﷺ هو من الله، ليس بواسطة بشر، فهذا رد على الذين يقولون: إن الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء، ويحتاجون إليهم؛ لأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة، تعالى الله عما يقولون!

[٣] لا يكون وليًّا لله بعد بعثة محمد ﷺ إلا من اتبعه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَكُلُّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ هُوَ بِتَوَسُّطِ مُحَمَّدٍ ﷺ، [١] وَكَذَلِكَ مَنْ بَلَغَهُ رِسَالَةُ رَسُولٍ إِلَيْهِ لَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إِلَّا إِذَا اتَّبَعَ ذَلِكَ الرَّسُولَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِ. [٢].

الشرح:

[١] ما حصل للولي، فإنما هو بواسطة محمد ﷺ؛ لأن ذلك باتباعه والاقتداء به، لا العكس، لا أن محمدا يأخذ عن خاتم الأولياء.

[٢] كذلك الأولياء قبل بعثة محمد ﷺ، إنما كانوا أولياء باتباعهم للرسل الذين هم في زمانهم، ومن خالف الرسل، فليس وليًّا لله، هو ولي للشيطان ولا طريق إلى الله ﷻ إلا عن طريق الرسل، واتباع الرسل، ليس هناك طريق آخر غير طريقة الرسل عليهم السلام، فمن زعم أنه يصل إلى الله من غير طريقة الرسل، فإنه كافر وضال.

وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُحَمَّدٍ فَهَذَا كَافِرٌ مُلْحِدٌ، [١] وَإِذَا قَالَ: أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ عِلْمِ الْبَاطِنِ، أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ؛ [٢].

الشرح:

[١] بلا شك، كافر ملحد، فهؤلاء الصوفية الذين يقولون: إن الناس بحاجة إلى خاتم الأولياء، حتى الرسل بحاجة إلى خاتم الأولياء. هذا أعظم الكفر والإلحاد -والعياذ بالله-؛ لأن الولي ما صار وليًا إلا باتباعه للرسول ﷺ، فمن لم يتبع الرسول، فليس وليًا لله، وإنما هو ولي للشيطان.

[٢] منهم من يقول: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر فقط، أما علم الباطن (علم القلوب)، فهذا لا أحتاج إلى محمد فيه، أنا آخذه عن الله مباشرة، فهذا أعظم الكفر - أيضا -؛ فإننا بحاجة إلى محمد ﷺ في علم الظاهر وعلم الباطن، فلا تهتدي القلوب، ولا تؤمن القلوب إلا باتباع الرسول ﷺ، ولا يسلم الإنسان في الظاهر إلا باتباع الرسول ﷺ.

فَهُوَ شَرٌّ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ إلَى الْأُمِّيِّينَ دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ. [١].

فَإِنَّ أُولَئِكَ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ فَكَانُوا كُفَّارًا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ هَذَا الَّذِي يَقُولُ: إنَّ مُحَمَّدًا بُعِثَ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ عِلْمِ الْبَاطِنِ آمَنَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، [٢].

الشرح:

[١] فالذين يقولون: نحن لا نحتاج إلى الرسول في علم الباطن، وإنما نحتاجه في علم الظاهر. فهذا يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض؛ فهو أشد من اليهود الذين يقولون: إن محمدا رسول، يعني: بعض اليهود؛ هناك من اليهود والنصارى من يعترفون أن محمدا رسول، ولكنهم يقولون: إنه رسول إلى العرب فقط، وليس رسولا إلى اليهود والنصارى، فهذا من أعظم الكفر؛ لأن رسالة محمد ﷺ عامة للثقلين: الإنس والجن، أشد منه كفرا من يقول: أنا أؤمن بما جاء به في الظاهر، وأما الباطن، فأنا أصل إلى الله بدون الرسول.

[٢] الرسول جاء بعلم الظاهر وعلم الباطن، أما من يقول: إنه جاء بعلم الظاهر فقط. فهذا يؤمن ببعض الكتاب، وهو الظاهر، ويكفر ببعض، وهو الباطن، فهو كافر: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ أُولَئِكَ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ إِيمَانِ الْقُلُوبِ وَمَعَارِفِهَا وَأَحْوَالِهَا هُوَ عِلْمٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ، وَهَذَا أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ بِمُجَرَّدِ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ. [١] فَإِذَا ادَّعَى الْمُدَّعِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إِنَّمَا عَلِمَ هَذِهِ الْأُمُورَ الظَّاهِرَةَ دُونَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَقَدْ ادَّعَى أَنَّ بَعْضَ الَّذِي آمَنَ بِهِ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ دُونَ الْبَعْضِ الْآخَرِ، [٢].

الشرح:

[١] إيمان القلوب أشرف من الإيمان الظاهر والإسلام الظاهر، فإذا لم يكن في القلب إيمان، حتى لو أن الإنسان صلى، وصام، ما تنفعه أعماله، حتى يكون مؤمنا ظاهرا وباطنا.

[٢] هذا في الرد على غلاة الصوفية، التصوف - كما هو معلوم - نشأ في بداية أمره يراد به الاجتهاد في العبادة، والتقشف، وإظهار الزهد، وهذا في حد ذاته ليس بمحمود؛ لأنه من التشدد في دين الله، ومن المشقة على النفوس، ولما أراد نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أن يشددوا على أنفسهم في الصلاة والصيام والتبتل، رد عليهم ﷺ وغضب غضبا شديدا، قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١)، الدين دين الوسط والاعتدال؛

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٣٨).

لأن الوسطية والاعتدال يستمر معها الإنسان، ويرتاح معها، أما التشدد، فإنه يشق على الإنسان، ثم يصعب، يترك المضي في العبادة؛ لأنه بشر لا يستطيع أن يصمد أمام المشقة الطويلة، المطلوب من المسلم الاستمرار على العبادة، وفي الحديث: «وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ ﷻ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[(١)]، والرسول ﷺ وصف المتشدد الغالي في العبادة بالمنبت الذي قطع في أثناء السفر، حَمَّل على راحلته، وشدد عليها في السير، حتى انقطعت، فبقي في منتصف الطريق، أو في أول الطريق، فهو لا ظهرا أبقى، ولا مسافة قطع، قال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى»[(٢)]، فهذه صفة المتشدد في الدين، هذا من ناحية، هذا محظور عظيم.

والمحظور الثاني أشد، وهو أنه إذا فتح لنفسه هذا الباب، وعمل عملا ليس عليه هدي الرسول ﷺ، فإن هذا يجره إلى الإلحاد في دين الله؛ كما حصل لمتأخري الصوفية، فإن تصوفهم آل بهم إلى الإلحاد؛ كما ستسمعون الآن من طريقتهم، آل بهم إلى الإلحاد، حتى قالوا: إن الولي خير من النبي، وهل هناك أفضل من الرسل والأنبياء ﷺ؟ هم يقولون: لا، إن الأولياء أفضل. من يعنون بالأولياء؟ يعنون: الصوفية، ويقولون: إنهم أفضل من

(١) أخرجه أبو داود (١٣٦٨)، والنسائي (٧٦٢)، كما أخرجه مسلم (٧٨٢) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

(٢) أخرجه البيهقي (٣/ ١٨)، والحاكم في معرفة علوم الحديث (١/ ٩٥)، قال: غريب الإسناد والمتن، والقضاعي (٢/ ١٨٤) من حديث جابر ﵁.

الأنبياء. لماذا؟ لأنهم يأخذون عن الله مباشرة، وهل أحد يأخذ عن الله مباشرة من البشر؟ ما أحد يأخذ إلا بالوحي المنزل، أو الكلام المسموع من وراء حجاب كموسى عليه السلام، أما أن يأخذ عن الله مباشرة، أو يزعمون أنه يجالس الله - تعالى الله عن ذلك -، ويقولون: إن الأنبياء يأخذون من الأولياء. لأن الأولياء يأخذون عن الله مباشرة، والأنبياء يأخذون عن الأولياء، انظر كيف بلغ بهم الخروج عن دين الله ﷻ، كله أصله من البدعة، البدعة تجر إلى شر، لكن قد يكون هذا الشر كثيرا، وقد يكون قليلا، فالبدعة لا خير فيها؛ ولذلك حذر منها النبي ﷺ، حذر من البدعة غاية التحذير، فهم يقولون: إن الأولياء أفضل من الأنبياء، وإن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، لأن الأولياء يأخذون عن الله. ويقصدون بالأولياء: الصوفية، يسمونهم أولياء، بلغ بهم الوقاحة والجرأة إلى هذا الحد، والسبب في هذا هو فتح باب البدعة، والخروج عما شرعه الرسول ﷺ، ويقولون: إن النبي يأخذ من علم الظاهر، وأما الأولياء، فهم يأخذون من علم الباطن، فهم يعلمون شيئا لايعلمه النبي؛ لأن الأنبياء إنما يأخذون بالأمور الظاهرة، ويأمرون الناس بالأمور الظاهرة، وأما الأولياء، فهم يعرفون الحقائق والأمور الباطنة، وهم يتبعون الأنبياء في بعض الأمور، فيكونون ممن آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض، كيف تطيع النبي في بعض الأمور، وتخالفه في الأمر الآخر؟! تفترق عنه، وتزعم أنك خير منه، هذا من الإيمان بالبعض، بل هذا أشد من كفر اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، تهديدات - والعياذ بالله - على من يؤمن ببعض ما جاء به الرسول ويكفر بالبعض الآخر، فهم يقولون: نطيع الرسول في الأمر الظاهر، ولا نطيعه في أمر الباطن، الرسول جاء بالظاهر والباطن، وهم يقولون: لا، نحن ما نطيع الرسول في أمر الباطن، إنما نطيعه في أمر الظاهر فقط. فهذا إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض.

وَهَذَا شَرٌّ مِمَّنْ يَقُولُ: أُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَأَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَلَا يَدَّعِي أَنَّ هَذَا الْبَعْضَ الَّذِي آمَنَ بِهِ أَدْنَى الْقِسْمَيْنِ. [١].

وَهَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةُ يَدَّعُونَ أَنَّ الْوِلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَيُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُونَ: وِلَايَتُهُ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ، [٢] وَيُنْشِدُونَ(١):

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ... فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

وَيَقُولُونَ: نَحْنُ شَارَكْنَاهُ فِي وِلَايَتِهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ رِسَالَتِهِ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ ضَلَالِهِمْ؛ [٣].

الشرح:

[١] اليهود رغم أنهم يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، ما ادعوا أن الذي يؤمنون به أدنى القسمين، أما الصوفية، فيدعون أنه أدنى القسمين، وأن هذا من الظاهر فقط، وهو أدنى من الباطن.

[٢] الولي أفضل من النبي، والولاية أفضل من النبوة؛ لأن الولي يأخذ عن الله مباشرة.

[٣] مقام النبوة في برزخ، والبرزخ: الحاجز بين الشيئين، فويق الرسول ودون الولي، فالنبي أفضل من الرسول عندهم، ولكنه مع فضله هو دون

---

(١) قائل هذا البيت هو ابن عربي كما ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة (٨/ ٢٢)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٥٥٦).

الولي، فالولي أفضل من النبي ومن الرسول، وهل بعد هذا الضلال ضلال؟ فهذا البيت لابن عربي.

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

يقولون: الرسول له ولاية، وله رسالة، والولاية أفضل من الرسالة، فنحن شاركناه في الولاية، وإن اختص عنا بالرسالة، فالولاية أفضل من الرسالة.

فَإِنَّ وِلَايَةَ مُحَمَّدٍ لَمْ يُمَاثِلْهُ فِيهَا أَحَدٌ لَا إِبْرَاهِيمُ وَلَا مُوسَى، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُمَاثِلَهُ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدُونَ. [١] وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلِيٌّ، فَالرَّسُولُ نَبِيٌّ وَلِيٌّ، [٢].

الشرح:

[١] نبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين، وبعثه الله إلى الناس كافة، وخصه بخصائص ليست لغيره؛ فهو أفضل النبيين ﷺ، من شك في هذا، فهو كافر، من فضل أحدا على محمد ﷺ، فهو كافر، لو فضل نبيا من الأنبياء على محمد، صار كافرا، فكيف بالذي يفضل الصوفي على محمد ﷺ؟! هذا أعظم الكفر، وأعظم الضلال.

[٢] الرسالة أعلى شيء، بعدها النبوة، ثم بعدها الولاية؛ لأن الرسول هو: من أوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه، وأما النبي، فهو: من بعث بشريعة من قبله؛ كأنبياء بني إسرائيل، بعثوا بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، الذين جاؤوا من بعده، فالرسول أفضل من النبي، والنبي أفضل من الولي، هذا بالإجماع، فلا أحد يساوي النبي في فضله، ولا أفضل منه إلا الرسول، هم يقولون بالعكس، يقولون: نحن أفضل من الأنبياء، والأنبياء أفضل من الرسل. فهم جعلوا أنفسهم في الدرجة العليا، وجعلوا الرسول أسفل شيء: الولي، ثم النبي، ثم الرسول. لكن القاعدة هي: الرسالة أعم من النبوة، فكل رسول، فهو نبي، وليس كل نبي رسولا.

وَرِسَالَتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِنُبُوَّتِهِ، وَنُبُوَّتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِوِلَايَتِهِ، [١] وَإِذَا قَدَّرُوا مُجَرَّدَ إِنْبَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِدُونِ وِلَايَتِهِ لِلَّهِ فَهَذَا تَقْدِيرٌ مُمْتَنِعٌ؛ [٢] فَإِنَّهُ حَالَ إِنْبَائِهِ إِيَّاهُ مُمْتَنِعٌ أَنْ يَكُونَ إِلَّا وَلِيًّا لِلَّهِ، [٣] وَلَا تَكُونُ مُجَرَّدَةً عَنْ وِلَايَتِهِ، [٤].

الشرح:

[١] فاجتمع له ﷺ الرسالة، والنبوة، والولاية، اجتمعت له ﷺ، فهل يكون صوفي خبيث أفضل من الرسول ﷺ؟!

[٢] ممتنع أن الله يرسل من ليس وليًّا له، هل يقول هذا عاقل؟! أن الله يرسل من ليس وليًّا له، الصوفية يلزم على كلامهم هذا أن الله أرسل من ليس وليًّا؛ لأن أولياء الله هم الصوفية عندهم.

[٣] الله ﷻ لا يرسل إلا من هو من أوليائه، ولا يرسل من هو من أعدائه.

[٤] ليس هناك نبوة مجردة عن الولاية، الرسالة متضمنة للنبوة، النبوة متضمنة للولاية، هكذا، الرسالة متضمنة للنبوة، كل رسول نبي، والنبوة متضمنة للولاية، كل نبي فهو ولي، ولا عكس، ليس كل ولي يكون رسولا أو نبيا، حسب الولي أن يكون متبعا للرسول، حسب الولي فضلا وشرفا أن يكون متبعا للرسول ﷺ، ولا يكون وليًّا بدون ذلك، لو كان لا يتبع الرسول، كان عدوا وليس وليًّا.

وَلَوْ قُدِّرَتْ مُجَرَّدَةً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُمَاثِلًا لِلرَّسُولِ فِي وِلَايَتِهِ. [١].

وَهَؤُلَاءِ قَدْ يَقُولُونَ -كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ «الْفُصُوصِ» ابْنُ عَرَبِيٍّ- : [٢] إِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُوحَى بِهِ إِلَى الرَّسُولِ؛ [٣].

الشرح:

[١] فهو أكمل الأولياء ولاية ﷺ، أكمل الأولياء ولاية لله ﷻ؛ فهو خيرته من خلقه، وخاتم أنبيائه، وأفضل رسله، ويظهر فضله يوم القيامة بالشفاعة العظمى والمقام المحمود، حينما يتأخر أولو العزم عن الشفاعة، ويقدم عليها هو ﷺ.

[٢] ابن عربي له كتب في الإلحاد، منها كتاب فصوص الحكم، ومع الأسف هو مطبوع ومحقق، وقد يباع في بعض مكتباتنا ومعارضنا، مع أنه إلحاد، وله كتاب الفتوحات المكية، سماه فتوحات، يعني أن الله فتح عليه بها وهو في مكة؛ لأنه ألف هذا الكتاب في مكة، فسماه الفتوحات المكية، هذا من كتب ابن عربي.

[٣] الرسول يأخذ عن الملك، الرسول والنبي يأخذان عن الملك، وهم لا يحتاجون إلى الملك، يأخذون من المعدن الأصلي، فهم بهذا صاروا أفضل من الرسول، وأفضل من النبي، انظر كيف يصل الشيطان بهم لهذا الحد، ولهم كلام يأتي في العقل، وأن هؤلاء الصوفية في النهاية اعتنقوا

فلسفة فلاسفة اليونان الملاحدة، دخلت عليهم فلسفة اليونان الملحدة، ومنهم من دخلت عليه البرهمية الهندية من الصوفية.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا عَقِيدَةَ الْمُتَفَلْسِفَةِ، ثُمَّ أَخْرَجُوهَا فِي قَالَبِ الْمُكَاشَفَةِ، [١] وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَفَلْسِفَةَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْأَفْلَاكَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ لَهَا عِلَّةٌ تَتَشَبَّهُ بِهَا [٢] كَمَا يَقُولُهُ أَرِسْطُو وَأَتْبَاعُهُ [٣] - أَوْ لَهَا مُوجَبٌ بِذَاتِهِ -كَمَا يَقُولُهُ مُتَأَخِّرُوهُمْ: كَابْنِ سِينَا وَأَمْثَالِهِ- [٤].

الشرح:

[١] أخذوا الفلسفة، ولم يسموها فلسفة، سموها مكاشفة، وأن أسرارًا ظهرت لهم، وهم سارقون لها من الفلاسفة السابقين، ونسبوها لأنفسهم، وقالوا: إنها مكاشفات تحصل لنا بسبب الولاية، واطلاع لم يطلع عليه غيرنا، وهم سارقون لها من الفلاسفة.

[٢] الفلاسفة القدامى من اليونان لا يؤمنون بالله، ولا أنه هو الخالق، وإنما يقولون: الأفلاك هي التي تحدث الأشياء، والأفلاك قديمة ليست محدثة، كذا يقولون. يقولون بقدم العالم، هذا معنى القول بقدم العالم.

[٣] أرسطو من قادة الفلاسفة اليونانيين، وهو ملحد.

[٤] ابن سينا الذي يسمونه الرئيس أبو علي ابن سينا، وهو أصله من الإسماعيلية، ودخل في الفلسفة، وصار ملحدا، زاد إلحادا إلى إلحاد، وأبوه كان يهوديا.

وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهَا لِرَبٍّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ، [١] بَلْ إِمَّا أَنْ يُنْكِرُوا عِلْمَهُ مُطْلَقًا كَقَوْلِ أَرِسْطُو،

الشرح:

[١] الله ﷻ أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بما فيها الأفلاك، وهي مجاري الكواكب، الأفلاك مجاري الكواكب -الشمس، والقمر، والنجوم-، فهي محدثة ومخلوقة، هذا نوع من التنجيم، التنجيم أصله مأخوذ عن الفلاسفة، فالله أخبر أنه خلق السماوات والأرض بما فيها الأفلاك، فدل على أن السماوات والأرض محدثة، وليست قديمة، وأن الأفلاك محدثة، وليست قديمة؛ كما تقوله الفلاسفة. وإنما توجد الأشياء ضرورة من الطبيعة، من طبيعة الأفلاك، وليس لها رب يحدثها، ويوجدها، ويفنيها، لا يؤمنون بالرب ﷻ، ولايؤمنون بالرسل، وإنما يعتمدون على فلسفاتهم وأفكارهم.

وينفون عن الله علم الغيب؛ أنه لا يعلم الجزئيات التي تحدث في هذا الكون من الحوادث والمخلوقات المتجددة، لا يؤمنون بهذا كله، هذا مذهب الفلاسفة، وغرض الشيخ أن يبين من أين أخذ الصوفية هذا الإلحاد، وأنهم أخذوها من هؤلاء الفلاسفة.

أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا يَعْلَمُ فِي الْأُمُورِ الْمُتَغَيِّرَةِ كُلِّيَّاتِهَا كَمَا يَقُولُهُ ابْنُ سِينَا [١] وَحَقِيقَةُ هَذَا الْقَوْلِ إِنْكَارُ عِلْمِهِ بِهَا، فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ فَهُوَ مُعَيَّنٌ جُزْئِيٌّ: الْأَفْلَاكُ كُلُّ مُعَيَّنٍ مِنْهَا جُزْئِيٌّ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْيَانِ وَصِفَاتُهَا وَأَفْعَالُهَا، [٢] فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ إِلَّا الْكُلِّيَّاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَالْكُلِّيَّاتُ إِنَّمَا تُوجَدُ كُلِّيَّاتٍ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ. [٣].

الشرح:

[١] يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات. كله ضلال، الله يعلم كل شيء ﷻ؛ ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. الله يعلم كل شيء.

[٢] الكليات إنما هي في الأذهان، الكليات لا وجود لها في الخارج، إنما هي في الأذهان تخيلات، أما الجزئيات، فهي التي توجد في الخارج: المواليد، والنبات، والحوادث، هذه توجد في الخارج، ويشاهدها الناس الكليات إنما هي خيالات في الأذهان، لا في الأعيان.

[٣] لأن الموجودات كلها جزئيات، وأما الكليات، فإنما هي تخيل في الذهن. والكليات لا وجود لها في الخارج، إنما هي خيال في الأذهان، بخلاف الجزئيات؛ فإنها تشاهد، وتوجد.

وَالْكَلَامُ عَلَى هَؤُلَاءِ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي «رَدِّ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ»(١) وَغَيْرِهِ. [١] فَإِنَّ كُفْرَ هَؤُلَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى [١].

الشرح:

[١] الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بسط الكلام في هذا في كتبه الأخرى، التي نازل فيها الفلاسفة والملاحدة؛ مثل: كتاب درء تعارض العقل والنقل، وهو كتاب جليل، يعتبرونه أقوى كتبه، وأعظمها، كتاب العقل والنقل، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاقْرَأْ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي ... مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِ(٢)

يعني: ليس له نظير في مؤلفات أهل العلم؛ لأنه فصل فيه، وغاص على أسرار، وبيّنها، وكشفها في هذا الكتاب. ما أحد تناول هذه الأمور وبينها مثل ما تناولها في كتاب العقل والنقل.

[١] اليهود والنصارى يؤمنون بأن الله خلق السماوات والأرض، يؤمنون بالرسل عموما إيمانا مجملا، ويؤمنون باليوم الآخر، أما هؤلاء، فلا يؤمنون بشيء إلا ما يتخيلونه هم. وكذلك من اتبعهم من الصوفية كُفْرُه أعظم من كفر اليهود والنصارى.

---

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام على الفلاسفة في كتاب درء تعارض العقل والنقل (١٠/١ - ٢٠٠).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٩٠).

بَلْ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، [١] فَإِنَّ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّهُ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، [٢] وَأَرِسْطُو وَنَحْوُهُ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْيُونَانِ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَلَيْسَ فِي كُتُبِ أَرِسْطُو ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا غَالِبُ عُلُومِ الْقَوْمِ الْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَأَمَّا الْأُمُورُ الْإِلَهِيَّةُ فَكُلٌّ مِنْهُمْ فِيهَا قَلِيلُ الصَّوَابِ كَثِيرُ الْخَطَإِ، [٣].

الشرح:

[١] لأن مشركي العرب يؤمنون بتوحيد الربوبية، وهذا موجود في القرآن: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] الفلاسفة لا يقولون هذا، يقولون: السماوات والأرض إنما هي قديمة غير مخلوقة.

[٢] مشركو العرب يرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما خالفوا في توحيد الألوهية، فعبدوا مع الله غيره.

[٣] إنما يعرفون أمور الطبيعة، ولا يعرفون أمور الإلهيات، ولايؤمنون برب.

وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَعْدَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ أَعْلَمُ بِالْإِلَهِيَّاتِ مِنْهُمْ بِكَثِيرٍ، [١] وَلَكِنْ مُتَأَخِّرُوهُمْ كَابْنِ سِينَا أَرَادُوا أَنْ يُلَفِّقُوا بَيْنَ كَلَامِ أُولَئِكَ وَبَيْنَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ؛ [٢].

الشرح:

[١] اليهود والنصارى عندهم علم؛ ولذلك سماهم الله أهل الكتاب، وعندهم علم، وعندهم إيمان في الجملة، لكن هؤلاء لا علم ولا إيمان. أما قبل النسخ والتبديل، فهم كانوا على الدين وعلى الإيمان، اليهود والنصارى قبل النسخ والتبديل كانوا على الإيمان، وأتباع موسى وعيسى عليهما السلام إنما كفروا بعد النسخ والتبديل.

[٢] ابن سينا من الفلاسفة، وهو ينتسب إلى الإسلام، لما رأى القرآن والسنة، ورأى أنهم ما يتوافقون مع قول الفلاسفة، أراد أن يلفق بين قول الفلاسفة وبين ما يدل عليه القرآن الكريم، فألبس الفلسفة ثوبا من التدين، وزعم أنها لا تخالف القرآن. وهذا تزييف على الناس، يجمع بين النقيضين الضدين، فهذا من التلبيس على الناس.

فَأَخَذُوا أَشْيَاءَ مِنْ أُصُولِ الْجَهْمِيَّةِ(١)، وَالْمُعْتَزِلَةِ(٢)، وَرَكَّبُوا مَذْهَبًا قَدْ يَعْتَزِي إِلَيْهِ مُتَفَلْسِفَةُ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَفِيهِ مِنْ الْفَسَادِ وَالتَّنَاقُضِ مَا قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَهَؤُلَاءِ لَمَّا رَأَوْا أَمْرَ الرُّسُلِ كَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ، قَدْ بَهَرَ الْعَالَمَ، وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ النَّامُوسَ، [١].

الشرح:

[١] الناموس هو الشرع والوحي.

---

(١) الجهمية أتباع الجهم بن صفوان الملحد العنيد الزائغ، تلميذ الجعد بن درهم، رأس المعطلة، لم يثبتوا أن في السماء ربًّا، وينتهي قولهم إلى جحود الخالق ﷻ، وقالوا بخلق القرآن، وقد قتل سنة ١٢٨هـ على يد سلم بن أحوز رحمه الله. انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٦٧)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، والملل والنحل (١/ ٨٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠).

(٢) المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله في أوائل المائة الثانية، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد، صنف لهم أبو الهذيل العلاف كتابين، وبين مذهبهم، وبناه على الأصول الخمسة، التي سموها العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل، وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه سبحانه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا. بمقتضى ذلك القياس الفاسد. انظر: الملل والنحل (١/ ٤٦)، ومنهاج السنة (٨/ ٥)، وشرح الطحاوية (ص٥٨٨).

الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْظَمُ نَامُوسٍ(١) طَرَقَ الْعَالَمَ، وَوَجَدُوا الْأَنْبِيَاءَ قَدْ ذَكَرُوا الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ، أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَقْوَالِ سَلَفِهِمُ الْيُونَانِ، [١] الَّذِينَ هُمْ أَبْعَدُ الْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،

الشرح:

[١] اليونان ينكرون الملائكة، وينكرون الجن، وينكرون علم الغيب، ولكن ابن سينا وأقرانه لما رأوا الرسل جاؤوا بذكر الملائكة وذكر الجن، أرادوا أن يلبسوا هذه الأشياء على المسلمين، فكسوها شيئا من التزوير، وقالوا: إنها لا تخالف ما جاءت به الرسل، وسموا الملائكة بكذا وكذا، وأحدثوا أشياء يبررون بها الفلسفة القديمة، ليبرروها عند الناس، ويدخلوها على الناس؛ لأنه يعز عليهم أن ينكشف عورها وبطلانها.

---

(١) كلمة الناموس لها معان متعددة منها: الشرع الذي شرعه الله، ذكره الجرجاني في التعاريف (ص٦٨٩)، ومنها: أنه صاحب سِرِّ الرَّجُلِ الذي يُطْلِعُهُ على سِرِّه وباطن أَمْرِه ويَخُصُّهُ بما يَسْتُرُهُ عن غيره يقال: نَمَسَ يَنْمِسُ نَمْسًا ونامَسْتُهُ منامسةً إذا سَارَرْتُهُ، فَسُمِّي جبريلُ ناموسًا لأن الله تعالى خَصَّهُ بالوَحْي، قال أبو عمرو الشيباني: الناموس سِرُّ الخيْرِ والجاسوسُ صاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ. ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث (٢/ ٤٣٧)، ومنها: أن الناموس مَكْمَن الصَّيَّاد فشُبِّه به موضِعُ الأسَد، وأن الناموس: المكرُ والخداع. ذكره ابن الأثير في النهاية (٥/ ٢٥١).

وَأُولَئِكَ قَدْ أَثْبَتُوا عُقُولًا عَشَرَةً يُسَمُّونَهَا: الْمُجَرَّدَاتِ وَالْمُفَارَقَاتِ.

وَأَصْلُ ذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنْ مُفَارَقَةِ النَّفْسِ لِلْبَدَنِ، وَسَمَّوْا تِلْكَ الْمُفَارَقَاتِ لِمُفَارَقَتِهَا الْمَادَّةَ وَتَجَرُّدِهَا عَنْهَا. وَأَثْبَتُوا الْأَفْلَاكَ لِكُلِّ فَلَكٍ نَفْسًا، وَأَكْثَرُهُمْ جَعَلُوهَا أَعْرَاضًا، وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهَا جَوَاهِرَ. [١].

الشرح:

[١] بعضهم جعلها أعراضا، يقول: الأفلاك لا وجود لها في الخارج، وإنما هي أعراض، والعرض هو ما يقوم بغيره، العرض هو ما يعرض، ويزول؛ مثل: الألوان؛ مثل: السواد والبياض، الألوان التي لاتقوم بنفسها، وإنما تقوم بغيرها هذه الأعراض، وأما الجواهر، فهي الأجرام المركبة، أو التي يتركب منها الأجرام، يسمونها الجواهر الفارقة التي يتركب منها الجسم، ويتركب منها الموجود، عند الكثير هي الجزئيات، التي تتركب منها الأجسام.

وَهَذِهِ الْمُجَرَّدَاتُ الَّتِي أَثْبَتُوهَا تَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ إِلَى أُمُورٍ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ؛ كَمَا أَثْبَتَ أَصْحَابُ فِيثَاغُورْسَ(١) أَعْدَادًا مُجَرَّدَةً، وكَمَا أَثْبَتَ أَصْحَابُ أَفْلَاطُونَ(٢) [١].

الشرح:

[١] كلها تخيلات، الجوهر والعرض هذه كلها تخيلات من عندهم، لا وجود لها.

---

(١) ابن منسارخس من أهل ساميا، وقيل: كان في زمان سليمان النبي ابن داود ﷺ، له علم في الهندسة، والكيمياء، والسحر، وغيرها، وأصحاب فيثاغورس هم القائلون بالأعداد المجردة في الخارج. انظر: الملل والنحل (٢/ ٧٤)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٤٥٦).

(٢) أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينية [اليونان]، تتلمذ على سقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم ومات قام مقامه، وهو آخر المتقدمين الأوائل معروف بالفلسفة والحكمة، كان قبل المسيح ﷺ بحوالي أربعة قرون. انظر: الملل والنحل (٢/ ٨٨).

الْأَمْثَالَ الأفلاطونية الْمُجَرَّدَةَ؛ أَثْبَتُوا هَيُولَى(١) مُجَرَّدَةً عَنْ الصُّورَةِ، وَمُدَّةً وَخَلَاءً مُجَرَّدَيْنِ، وَقَدْ اعْتَرَفَ حُذَّاقُهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ. [١] فَلَمَّا أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ -كَابْنِ سِينَا- أَنْ يُثْبِتَ أَمْرَ النُّبُوَّاتِ عَلَى أُصُولِهِمْ الْفَاسِدَةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ النُّبُوَّةَ لَهَا خَصَائِصُ ثَلَاثَةٌ مَنْ اتَّصَفَ بِهَا فَهُوَ نَبِيٌّ. [٢].

الشرح:

[١] الهيولي هي المادة، والصورة هي المتركب من هذه المادة. نحن ما لنا شأن بهذه الأمور، لكن الشيخ يريد أن يبين من أين أخذ الصوفية هذا الكلام الخبيث، هم أخذوه عن الفلاسفة، والفلاسفة هذا مذهبهم.

[٢] عندهم أن النبوة تكتسب، ليست اصطفاء من الله ﷻ، وإنما هي تكتسب بصفات توجد في الإنسان: ثلاث صفات، تأتي.

---

(١) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.
والهيولي في لغتهم بمعنى المحل، ويقال للفضة هيولي، والخاتم، والدرهم، والخشب هيولي الكرسي، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض، ويدعون أن الجسم هيولي محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه. انظر: التعريفات (ص٣٢١)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٢/ ٤٥).

الْأَوَّلُ: أَنْ تَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ عِلْمِيَّةٌ -يُسَمُّونَهَا: الْقُوَّةَ الْقُدْسِيَّةَ- يَنَالُ بِهَا مِنْ الْعِلْمِ بِلَا تَعَلُّمٍ. [١].

الثاني: أَنْ يَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ تَخَيُّلِيَّةٌ تُخَيِّلُ لَهُ مَا يَعْقِلُ فِي نَفْسِهِ، بِحَيْثُ يَرَى فِي نَفْسِهِ صُوَرًا، أَوْ يَسْمَعُ فِي نَفْسِهِ أَصْوَاتًا كَمَا يَرَاهُ النَّائِمُ وَيَسْمَعُهُ، [٢] وَلَا يَكُونُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَزَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ هِيَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ، وَتِلْكَ الْأَصْوَاتُ هِيَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى. [٣].

الشرح:

[١] ينال بها العلم بلا تعلم بقوته القدسية، التي هي بلا تعلم، وهل يمكن أن يوجد علم بلا تعلم في المخلوقين؟!

[٢] تخيل للناس، يقوى على التخييل للناس، أشياء لا حقيقة لها، يقول لهم: هناك بعث، ونشور، وجنة، ونار، هذه أشياء تخيلها، لا حقيقة لها، لكن لأجل مصلحة الناس؛ لكي يبتعدوا عن بعض الأمور غير المناسبة، فإذا ذكر لهم الجنة والنار، تركوا هذه الأشياء غير المناسبة، إذا ذكرت لهم الجنة، يمدون في الأمور النافعة، وإلا ما لها حقيقة، إنما هي خيالات، هذا قول الفلاسفة.

[٣] ليس هناك ملك في الخارج، وليس هناك وحي، وإنما هذا شيء لصفاء ذهنه وقوته على التخيل، صار يتصور، أو يعرض له صور في نفسه وأصواتا، فالصور هي الملائكة بزعمهم، والأصوات هي الوحي، كله ما جاء من الله ﷻ، وإنما هذا شيء في نفسه وتخيله.

الثالث: أَنْ يَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ فَعَّالَةٌ يُؤَثِّرُ بِهَا فِي هَيُولَى الْعَالَمِ، وَجَعَلُوا مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَخَوَارِقِ السَّحَرَةِ هِيَ قُوَى النَّفْسِ، فَأَقَرُّوا مِنْ ذَلِكَ بِمَا يُوَافِقُ أُصُولَهُمْ؛ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً دُونَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ وُجُودَ هَذَا.

وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَؤُلَاءِ فِي مَوَاضِعَ، وَبَيَّنَّا أَنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا أَفْسَدُ الْكَلَامِ، وَأَنَّ هَذَا الَّذِي جَعَلُوهُ مِنَ الْخَصَائِصِ يَحْصُلُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ لِآحَادِ الْعَامَّةِ وَلِأَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي أَخْبَرَتْ بِهَا الرُّسُلُ أَحْيَاءٌ نَاطِقُونَ أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَهُمْ كَثِيرُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، وَلَيْسُوا عَشَرَةً وَلَيْسُوا أَعْرَاضًا، لَا سِيَّمَا وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّادِرَ الْأَوَّلَ هُوَ الْعَقْلُ الْأَوَّلُ، وَعَنْهُ صَدَرَ كُلُّ مَا دُونَهُ، وَالْعَقْلُ الْفَعَّالُ الْعَاشِرُ رَبُّ كُلِّ مَا تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ. [١].

الشرح:

[١] وليسوا العقول العشرة الذين يقولون، وإنما هم لا يعلم عددهم إلا الله، وليسوا قوى نفسانية أو هواجس نفسانية؛ كما يقول الفلاسفة: الهواجس النفسانية إن كانت ملائكة، فهي طيبة، وإن كانت خبيثة، فهي شياطين، وليس هناك في الخارج لا ملائكة ولا شياطين إنما هي أشياء نفسية فقط.

وَهَذَا كُلُّهُ يُعْلَمُ فَسَادُهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرُّسُلِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُبْدِعٌ لِكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ. [١].

وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ الْعَقْلُ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثٍ يُرْوَى: «أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْت خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْك، فَبِك آخِذُ، وَبِك أُعْطِي، وَلَك الثَّوَابُ، وَعَلَيْك الْعِقَابُ». [٢].

الشرح:

[١] الملائكة لا تخلق شيئا؛ لأنهم مخلوقون، عباد لله ﷻ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، إنما ينفذون أوامر الله، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧] هؤلاء هم الملائكة، وهم رسل: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١]، فهم رسل، وخلق من خلق الله، ولهم وجود، يشاهدون، يرون.

[٢] الفلاسفة المنتسبون للإسلام الذين يريدون أن يروجوا الفلسفة القديمة أخذوا هذا الحديث الموضوع المكذوب على الرسول ﷺ: أن أول ما خلق الله العقل. هذا كذب؛ أول ما خلق الله القلم، والقلم مسبوق بالعرش على الصحيح، فليس هو أول ما خلق الله.

وَيُسَمُّونَهُ أَيْضًا: الْقَلَمَ؛ [١] لِمَا رُوِيَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»، الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(١) [٢] وَالْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرُوهُ فِي الْعَقْلِ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ(٢)، [٣].

الشرح:

[١] هذا من التحريف؛ القلم غير العقل، القلم كائن خلقه الله: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فهو مخلوق لله ﷻ، وليس هو العقل، هناك فرق بين العقل والقلم، لكن هؤلاء يخلطون ويلبسون على الناس، ويتلمسون ما يبرر باطلهم ولو من الأحاديث المكذوبة الموضوعة كهذا الحديث.

[٢] ويقولون: المراد بالقلم العقل. نعم، أول ما خلق الله القلم؛ كما في الحديث، لكنه ليس العقل. أما الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»، فهو صحيح، لكنه ليس العقل.

[٣] أبو حاتم البستي هو ابن حبان صاحب الصحيح.

---

(١) الترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٥/ ٣١٧).

(٢) انظر: المجروحين لابن حبان (١/ ٣٤٣).

وَالدَّارَقُطْنِيّ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ[1]، وَغَيْرُهُمْ. [١] وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْحَدِيثِ الَّتِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا، [٢] وَمَعَ هَذَا فَلَفْظُهُ لَوْ كَانَ ثَابِتًا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ لَفْظَهُ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَقْلَ قَالَ لَهُ...»، وَيُرْوَى: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ...»، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ خَاطَبَهُ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِ خَلْقِهِ؛ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ، [٣].

الشرح:

[١] هؤلاء الأئمة ذكروا أن هذا الحديث مكذوب موضوع على رسول الله ﷺ، والحمد لله أن قيض للسنة فرسانا يحرسونها من هؤلاء الوضاعين والكذابين، فرد الله كيدهم في نحورهم -والحمد لله-، لا أحد يجرؤ أن يكذب على رسول الله إلا ويقيض الله له من يفضحه.

[٢] هذا الحديث ليس في كتب الحديث، فلو كان حديثا عن الرسول، لما أهمله أئمة الحديث والرواة.

[٣] لو صح (أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل، ثم قال له: أدبر) فالأولية ليست أنه أول المخلوقات، الأولية أنه من أول ما خلقه الله، كلمه مثلما قال في القلم: «أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب» فالأولية إنما هي في تكليم الله له، لا أنه هو أول المخلوقات، فـ(أول) منصوب على الظرفية، قال له أول ما خلقه: أقبل، قال للقلم أول ما خلقه: اكتب، فهي أولية نسبية، وليست أولية مطلقة؛ كما يقولون.

---

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٧٤).

وَ(أَوَّلُ) مَنْصُوبٍ عَلَى الظَّرْفِ؛ كَمَا فِي اللَّفْظِ الآخَرِ (لَمَّا)، [١] وَتَمَامُ الحديث: « . . . مَا خَلَقْت خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْك . . . »، [٢]، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ خَلَقَ قَبْلَهُ غَيْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: « . . . فَبِك آخُذُ، وَبِك أُعْطِي، وَلَك الثَّوَابُ، وَعَلَيْك الْعِقَابُ»، فَذَكَرَ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ الْأَعْرَاضِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ جَمِيعَ جَوَاهِرِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ صَدَرَ عَنْ ذَلِكَ الْعَقْلِ. فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟! وَسَبَبُ غَلَطِهِمْ أَنَّ لَفْظَ الْعَقْلِ فِي لُغَةِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ هُوَ لَفْظُ الْعَقْلِ فِي لُغَةِ هَؤُلَاءِ الْيُونَانِ، [٣].

الشرح:

[١] أما لو كان أولُ بالرفع، صار مبتدأ، وقد يوهم ما يقولون، لكن جاء في الحديث لفظ (أولَ) ظرفية، أنه قال له أولَ ما خلقه.

[٢] (مَا خَلَقْت خَلْقًا)، انظر: كذبهم صار عليهم، «مَا خَلَقْت خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْك»؛ يعني هناك خلق قبله، ولكن هو أفضل مما سبقه، هذا على التنزل أنه حديث، وإلا فهو باطل، لكنه يريد أن يرد عليهم من كذبهم.

[٣] نعم، العقل موجود، والعقل مخلوق، لا شك أن هناك عقلًا، وأنه مخلوق، لكن ليس هو العقل الذي يريده الفلاسفة، إنما هو العقل الذي خلقه الله، وأودعه في الإنسان؛ يميز به بين الضار والنافع، والحق والباطل، ويتصرف به العقل نعمة من الله ﷻ، ولذلك إذا فقد الإنسان العقل، صار أحط من البهائم، العقل نعمة، وهو مخلوق لا شك، وموجود،

لكنه ليس العقل الذي قال عنه الفلاسفة: إنه هو المرجع للكون، وإنه هو الذي خلق الكون، وإنه، وإنه....

فَإِنَّ الْعَقْلَ فِي لُغَةِ الْمُسْلِمِينَ مَصْدَرُ عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، [١] كَمَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** [الرعد: ٤]، **[٢].**

الشرح:

[١] فالعقل يطلق على العقل الذي به يتصور الإنسان الأشياء، وهو صفة أودعها الله فيه، ويطلق العقل على التعقل وفهم الأشياء: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤]؛ يعني: لا يفهمون، وإلا هم عقلاء ليسوا مجانين، لكن (لا يعقلون)؛ يعني: لا يفهمون الأشياء على حقيقتها، (يعقل عن الله)؛ يعني: يفهم عن الله، ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥]؛ يعني: من بعد ما فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

[٢] **(يعقلون)**؛ يعني: يفهمون عن الله ﷻ، ويدركون المراد من الآيات والأحاديث.

وفي قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، [١] وَيُرَادُ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْسَانِ يَعْقِلُ بِهَا. [٢] وَأَمَّا أُولَئِكَ فَالْعَقْلُ عِنْدَهُمْ جَوْهَرٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ كَالْعَاقِلِ، [٣].

الشرح:

[١] ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾؛ يعني: يفهمون بها، وليس معناه أنهم لو ساروا في الأرض، خلقت لهم قلوب، القلوب مخلوقة فيهم، وموجودة، لكنهم لا يعلقون بها؛ كما قال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.

[٢] انظر: يراد بالعقل شيئان: الغريزة التي في الإنسان التي تميز بينه وبين الحيوانات، وبينه وبين المجانين، ويطلق العقل على التعقل، والفهم، والإدراك.

[٣] (جوهر) يعني: جسم. عندهم العقل ليس شيئًا يُرى، شيء يودعه الله في الإنسان من أسراره ﷻ؛ مثل الروح لا يرى ولا يشاهد، ولا تفرق بين عاقل ومجنون إذا رأيته، ما تفرق بين العاقل والمجنون إلا من خلال التصرفات، أما لو مررت على عاقل ومجنون وهما ساكتان، ما تميز بينهما؛ لأن العقل لا يرى، سر أودعه الله ﷻ في هذا الإنسان، أما الفلاسفة، فيقولون: لا، العقل مخلوق، شيء موجود في الخارج له جسم، ويدبر،

ويأمر، وينهى. هذا كذب؛ العقل ليس له وجود في الخارج يراه الناس، وإنما هو شيء سري لا يعلمه إلا الله؛ مثل الروح التي في الإنسان وفي الحيوان؛ شيء سري، هم يقولون: لا ، ليس بشيء معنوي، إنما يقولون: هو شيء محسوس، يخلق، ويرزق، ويدبر؛ قال الله له: أقبل. وقال له: أدبر. هذا كذب، كل هذا كذب.

وَلَيْسَ هَذَا مُطَابِقًا لِلُغَةِ الرُّسُلِ وَالْقُرْآنِ. [١].

الشرح:

[١] ليس هذا مطابقا للغة الرسل والقرآن؛ أن العقل شيء قائم بنفسه، وأنه جواهر تظهر، وليس عرضا، وإنما هو جوهر كما يقولون. هذا كذب، من الذي رأى العقل؟! هل أحد منكم رأى العقل يمشي أو...؟! لا أحد رأى العقل، هو سر مودع في الإنسان؛ مثل الروح، لاتراها، وهي تدخل، وتخرج، وتصعد وتنزل، ولكن أنت لا تراها، الله ﷻ له مخلوقات لا يعلمها إلا هو.

وَعَالَمُ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ -كَمَا يَذْكُرُهُ أَبُو حَامِدٍ-(١): [١] عَالَمُ الْأَجْسَامِ الْعَقْلُ وَالنُّفُوسُ، فَيُسَمِّيهَا: عَالَمَ الْأَمْرِ،[٢].

الشرح:

[١] أبو حامد الغزالي رحمه الله تأثر أيضا بالفلاسفة، صار عنده بعض الشطحات، خصوصا في كتابه «إحياء علوم الدين»، فيه شطحات جاءته من الفلاسفة، ولو سلم من الفلاسفة، فهو عالم جليل، لكنه ابتلي بالدخول في الفلسفة، حتى قال تلميذه الإمام ابن العربي: إن شيخنا ابتلع الفلسفة، ولم يستطع أن يتقيأها.

[٢] أبو حامد يسمي النفوس والعقول عالم الأمر؛ لأنها عالم يشاهد ويرى عند الفلاسفة، هو يحكي قول الفلاسفة.

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، تفقه ببلده أولًا ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين، له تصانيف كثيرة منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، وغيرهما، رجع قبل موته للسنة، ومات وصحيح البخاري على صدره، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: ترجمته في تبيين كذب المفتري (ص٢٩١)، والمنتظم (٩/ ١٦٨)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢)، والعبر (٤/ ١٠)، والوافي بالوفيات (١/ ٢٧٤)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١) وشذرات الذهب (٤/ ١٠).

وَقَدْ يُسَمَّى الْعَقْلُ: عَالَمَ الْجَبَرُوتِ، وَالنُّفُوسُ: عَالَمَ الْمَلَكُوتِ، وَالْأَجْسَامُ: عَالَمَ الْمَلِكِ، [١] وَيَظُنُّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ لُغَةَ الرُّسُلِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ ذِكْرِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ مُوَافِقٌ لِهَذَا، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. [٢].

وَهَؤُلَاءِ يُلَبِّسُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَلْبِيسًا كَثِيرًا، كَإِطْلَاقِهِمْ أَنَّ الْفَلَكَ مُحْدَثٌ، أَي: مَعْلُول، مَعَ أَنَّهُ قَدِيمٌ عِنْدَهُمْ، وَالْمُحْدَثُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَسْبُوقًا بِالْعَدَمِ، [٣] لَيْسَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَلَا فِي لُغَةِ أَحَدٍ أَنَّهُ يُسَمَّى الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ مُحْدَثًا، وَاللَّهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُحْدَثٌ، وَكُلُّ مُحْدَثٍ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ [٤].

الشرح:

[١] وهذا كله خطأ.

[٢] لقول الفلاسفة الذي ذكره أبو حامد الغزالي.

[٣] يقولون: الفلك محدث. وهم يقولون: قديم. فيتناقضون.

[٤] هم يريدون التلبيس، يقولون: محدث. ثم يقولون: قديم.

يتناقضون في هذا، إنما يقولون: محدث. من باب التلبيس على الناس، يقولون: العالم محدث، وأن المخلوقات كلها محدثة، وليس فيها شيء قديم. فليس هناك شيء قديم، فكل شيء من الخلق، فهو محدث وكائن بعد أن لم يكن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وكل شيء فهو مخلوق، والمخلوق موجود بعد أن لم يكن.

لَكِنْ نَاظَرَهُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مُنَاظَرَةً قَاصِرَةً لَمْ يُعَرِّفُوا بِهَا مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، [١] وَلَا أَحْكَمُوا فِيهَا قَضَايَا الْعُقُولِ، [٢] فَلَا لِلْإِسْلَامِ نَصَرُوا، وَلَا لِلْأَعْدَاءِ كَسَرُوا، [٣].

الشرح:

[١] **(أهل الكلام)** يعني: ما عندهم علم إلا الكلام، وهو علم المنطق. أراد الجهمية والمعتزلة أن يناظروا الفلاسفة، لكنهم ليس عندهم علم يناظرون به؛ لأنهم يعتمدون على علم المنطق والجدل، فلم يحسنوا الرد عليهم، لم يحسنوا الرد على الفلاسفة، فانتصر الفلاسفة عليهم؛ لأنهم لم يتسلحوا بالكتاب والسنة، وإنما تسلحوا بعلم المنطق والجدل، فالفلاسفة أقوى منهم في هذه الأمور، فردوا عليهم، وهكذا من يتعرض للرد على أهل الباطل، وهو ليس عنده علم، فإن أهل الباطل ينتصرون عليه؛ فلا يجوز الرد إلا بعلم.

[٢] معناها: أنهم اعتمدوا على العقل والمنطق والجدليات.

[٣] هؤلاء الجهمية والمعتزلة لا للإسلام نصروا، ولا للباطل كسروا؛ لأنهم ليس عندهم علم، ولم يردوا بعلم منزل من الله ﷻ.

وَشَارَكُوا أُولَئِكَ فِي بَعْضِ قَضَايَاهُمْ الْفَاسِدَةِ، [١] وَنَازَعُوهُمْ فِي بَعْضِ الْمَعْقُولَاتِ الصَّحِيحَةِ، [٢] فَصَارَ قُصُورُ هَؤُلَاءِ فِي الْعُلُومِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّةِ ضَلَالِ أُولَئِكَ، [٣] كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. [٤].

الشرح:

[١] شارك الجهمية والمعتزلة الفلاسفة في بعض قضاياهم الفاسدة.

[٢] هناك معقولات صحيحة، هم نازعوا فيها، والمعقولات الباطلة أقروها؛ لجهلهم وعدم علمهم، وهكذا كل من لم يتسلح بالكتاب والسنة عن فهم وإدراك، فإنه يصير إلى هذا المصير الذي صار إليه الجهمية والمعتزلة مع الفلاسفة.

[٣] ليس عندهم دليل من الكتاب والسنة وعلم الرسول، وليس عندهم معقولات سليمة؛ فلذلك انهزموا أمام العدو؛ لأنهم ليس معهم سلاح يقاومون به.

(العلوم السمعية): هي الكتاب والسنة.

[٤] الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يحيلكم على أشياء كتبها في غير هذا الموضع من مؤلفاته؛ مثل: (العقل والنقل)، ومثل: (الرد على المنطق)، له كتاب اسمه: نقد المنطق.

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَفَلْسِفَةُ قَدْ يَجْعَلُونَ جِبْرِيلَ هُوَ الْخَيَالُ الَّذِي يَتَشَكَّلُ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْخَيَالُ تَابِعٌ لِلْعَقْلِ، [١] فَجَاءَ الْمَلَاحِدَةُ الَّذِينَ شَارَكُوا هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةَ الْمُتَفَلْسِفَةَ، [٢] وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنْ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ؛ [٣].

الشرح:

[١] كما سبق أن الملك عندهم إنه خيال يتخيله النبي ويسمعه ويكلمه، فيظن أن هذا شيء موجود في الخارج، وهو إنما هو في ذهنه فقط، نعم عندهم أن الملائكة هي الهواجس التي تأتي في خاطر الإنسان.

[٢] رجع إلى أول الكلام. والملاحدة من الصوفية الذين شاركوا الملاحدة من الفلاسفة.

[٣] كما سبق.

كَابْنِ عَرَبِيٍّ صَاحِبِ «الْفُتُوحَاتِ» و«الْفُصُوصِ»، فَقَالَ: إِنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُوحِي بِهِ إِلَى الرَّسُولِ، وَالْمَعْدِنُ عِنْدَهُ هُوَ الْعَقْلُ، وَالْمَلَكُ هُوَ الْخَيَالُ، وَالْخَيَالُ تَابِعٌ لِلْعَقْلِ، وَهُوَ بِزَعْمِهِ يَأْخُذُ عَنِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْخَيَالِ، وَالرَّسُولُ يَأْخُذُ عَنِ الْخَيَالِ؛ فَلِهَذَا صَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ فَوْقَ النَّبِيِّ، وَلَوْ كَانَ خَاصَّةُ النَّبِيِّ مَا ذَكَرُوهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ جِنْسِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ، فَكَيْفَ وَمَا ذَكَرُوهُ يَحْصُلُ لِآحَادِ الْمُؤْمِنِينَ؟! وَالنُّبُوَّةُ أَمْرٌ وَرَاءَ ذَلِكَ، فَإِنَّ ابْنَ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالَهُ وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مَنَّ الصُّوفِيَّةِ فَهُمْ مِنْ صُوفِيَّةِ الْمَلَاحِدَةِ الْفَلَاسِفَةِ، لَيْسُوا مِنْ صُوفِيَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، [١] فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ [٢].

الشرح:

[١] لا من الصوفية المعتدلة، وهذا يلبس به بعض الكتاب المعاصرين، فيقول: الصوفية على حق، وهم عباد، وهم...، نقول: نعم، هذا في أوائلهم، لكن أواخرهم، لا. فرق بين ابن العربي بالألف واللام، وابن عربي بدون. ابن عربي هذا هو الملحد الطائي الصوفي الخبيث، وأما ابن العربي، فهذا إمام من المالكية، له تفسير، وله شرح الترمذي تحفة الأحوذي، وله مؤلفات قيمة ومفيدة، وهو مالكي المذهب.

[٢] لأن الصوفية - كما سبق - على قسمين: صوفية بمعنى الزهاد والعباد، لكنهم لم يخرجوا عن الكتاب والسنة؛ مثل: الفضيل بن عياض، والجنيد، وبشر الحافي، وإبراهيم بن أدهم، هؤلاء صوفية معتدلة، وهم

يصدرون عن الوحي، غاية ما عندهم الزهد والعبادة الكثيرة، أما الصوفية المتأخرة، فهم ملاحدة، ففرق بين هذا وهذا، بعض الناس يلبس، يقول: الصوفية حق. ويأتي بسيرة الأوائل، ويقول: الصوفية حق. يلبس على الناس بذكر المتصوفة الأوائل، ويريد أن المتأخرين مثل الأوائل، هذا غلط.

كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ (١)، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ (٢)، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ (٣)، وَمَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ (٤)، وَالْجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٥)، وَسَهْلِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ (٦)، وَأَمْثَالِهِمْ، رضوان الله عليهم أجمعين. [١].

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي، ولد بسمرقند وسكن مكة وصار شيخ الحرم المكي، كان ثقة عابدًا إمامًا كثير الحديث، قال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض أفضل من الفضيل، وقال شريك: «الفضيل حجة لأهل زمانه» توفي بمكة سنة ١٨٧هـ. أنظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٧٥)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٥).

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، وقيل التميمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد سكن الشام، من أتباع التابعين، أصله من بلخ ثم انتقل إلى الشام توفي سنة ١٦٢هـ انظر: تاريخ دمشق (٦/ ٢٧٧)، والثقات لابن حبان (٦/ ٢٤)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٣٥).

(٣) سبقت ترجمته (ص ٣٩٧).

(٤) معروف بن الفيرزان المشهور بالكرخي، أبو محفوظ من عباد أهل العراق وقرائهم ممن له الحكايات الكثيرة في كرامته واستجابة دعائه، أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، كان من رفقاء بشر بن الحارث، توفي سنة ٢٠٠هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٩/ ٢٠٦)، وتاريخ بغداد (١٣/ ١٩٩)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٨٨).

(٥) سبقت ترجمته (ص ٢٩٨).

(٦) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق، سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره، توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: ترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٤٢٦)، وصفة الصفوة (٤/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، وشذرات الذهب (٢/ ١٨٢).

الشرح:

[١] هؤلاء علماء، هم صوفية، لكنهم علماء في الكتاب والسنة، ويتبعون الكتاب والسنة.

الحاصل أنه لا يُلَبَّسُ بالصوفية الطيبين على الصوفية الملاحدة، ويقال: التصوف فيه خير، انظروا إلى الجنيد، وانظروا إلى الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم. نقول: هذا غير موجود الآن، غير موجود عند متصوفة العصر، الذي يقول: أنا أجلس مع الله، وآخذ عنه، يأمرني، وينهاني، وأحضر لكم العلم من عند الله، هذا مثل الجنيد، ومثل الفضيل بن عياض؟!!

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله الجزء الأول